
كتابي
هاربة من الجنة
وكتب أخرى
حلمي مراد
٨ كتب
٨ قروش



الهاربة مِن الجنة

وكتب أخرى

كتب للمحرر

عندما تحب المرأة (مجموعة قصص مصرية) الناشر « **كتب للجميع** »
اوسكار وايلد (حياته ، وفنه ، ومآساته) الناشر « **البـ . لاغ** »
قلوب تحترق أو (حذار من الشفقة) لستيفان زفايج الناشر « **روايات الهلال** »
انا كارنينا لتولستوى الناشر « **روايات الهلال** »
رسول القيصر (ميشيل ستروجوف) لجول فيرن الناشر « **روايات الهلال** »
ذات الرداء الابيض لويلكى كولنز الناشر « **روايات الهلال** »
مصطفى كمال (لم ينشر بعد) الناشر « **كتاب الهلال** »
دافيد كوبرفيلد (لم ينشر بعد) لتشارلس ديكنز الناشر « **روايات الهلال** »
أوجينى جرانديه (لم ينشر بعد) لبلزاك الناشر « **روايات الهلال** »
ابن بورتوس (لم ينشر بعد) لالكسندر ديماس الناشر « **روايات الهلال** »
كاتالينا (لم ينشر بعد) لسومرست موم الناشر « **روايات الهلال** »

قصص وفصول ثقافية للمحرر

مجموعات مجلات وصحف : الهلال ، المصور ، الاثنين ، الكواكب ، مسامرات الجيب ، البلاغ ، الكتلة ، الرسالة ، الثقافة ، الراديو المصرى ، الحديث (دمشـــق)

كتابى

كتاب شهرى للقصة والثقافة الرفيعة

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

المكاتبات : ١٨ شارع العباسيين ، مصر الجديدة ـ **ت ٦٥٦٠٨**
الاشتراكات : عن ١٢ عددا : مصر والسودان: ٨٠ قرشا . سوريا ولبنان: ١١ ليرة سورية او لبنانية . الحجاز والعراق والاردن: ١١٠ قروش صاغ

الكتاب الثالث : مايو ١٩٥٢

رمز الكتاب : شعلة الفكر عند الاغريق

مطبعة شركة الاعلانات الشرقية

عزيزى القارئ ..

فى حديثى اليك فى العدد الماضى دعوتك الى ابداء رأيك فى «كتابى» ـ أو كتابك ـ كى نمضى به سويا نحو الغاية التى نتطلع اليها من الكمال المرجو..

ويسرنى انك قد استجبت لهذه الدعوة استجابة رائعة ، تجلت فى رسائلك الكريمة التى اغرقنى طوفانها ، منذ اليوم الاول لصدور الكتاب حتى كتابة هذه السطور .. وقد فكرت فى البداية ان اجيبك فى هذا الباب على رسائلك «العامة» وحدها ـ التى تتضمن آراء واقتراحات عملية يستطيع ان يشاركنا فيها بقية القراء الاعزاء ـ على أن اتولى اجابتك على رسائلك الاخرى التى ضمنتها تهانئك وتحياتك العطرة ، برسائل خاصة ارسلها اليك بطريق البريد ، كما تقضى اللياقة على الاقل ..

وشرعت فعلا فى هذا السبيل ، فكتبت وارسلت بالبريد عددا من الردود الخاصة على الرسائل الاولى التى وصلتنى فى بداية الشهر .. لكنى لم البث ان تبينت اننى لو واصلت ما شرعت فيه لاعجزنى ذلك عن التفرغ لاعداد هذا العدد الجديد من الكتاب واخراجه لك على هذه الصورة التى ترجوها ، وبالاتقان الذى ابغيه .. الامر الذى أعلم انك لا تحبه ، سواء لنفسك او لى.. سيما وانى لا احب أن اكون من الذين يوسطون بينهم وبين من يراسلونهم آلة كاتبة صماء او وسيطا آخر غريبا يجيبهم جميعا ببضع عبارات محفوظة ، مطبوعة او منسوخة ! .. وانما أنا اود أن تكون الصلة بيننا على الورق شخصية بحتة .. كما هى بين القلوب سواء بسواء .. !

لذلك آثرت ـ مؤقتا ـ أن اجيبك على رسائلك جميعا على صفحات هذا الباب من كتابى ، بقدر ما يسمح المقام ، مكتفيا فى الرد على رسائل التهنئة الكريمة ، بشكرى القلبى ، وباقتطاف بضع عبارات من تحياتك الجميلة التى ستظل تطوق عنقى على الدوام ، لعلنى بذلك اوفيك بعض حقك على من الامتنان والعرفان بالجميل ...

حلمى مراد

(البقية صفحة ١٧٠)

اقرأ فى «كتابى» .. قريبا

الابواب الجديدة التالية :

مآسى التاريخ الكبرى

سبايا «بيزنطة» الفاتنات ، ابن نابليون ، «جوانا» ملكة أسبانيا التى جنت من الحب والغيرة ، لغز الجلاد ، ماساة « تيبريوس » حاكم روما المتوحش ، لعنة « جلنكو » ، غلطة مفجعة لامير غسقونى (من قصص العصور الوسطى) ، امبراطورية «اتيلا» ، مأساة «جنيفر» ، الحانة ذات الفراش القاتل ، لغز مصرع سير ادموند جودفرى .. الخ

لكل رسالة قصة

اشهر الرسائل المتبادلة بين العظماء وقصة الظروف التى احاطت بكل منها : رسائل لنابليون ، جوته ، ليدى هاملتـــون ، مدام دى سيفينيه ، مدام دى بومبادور ، الإمبراطورة كاترين ، عشيقة جان جاك روسو ، لورد بيرون ، بلزاك ، هاينى ، بودلير ، بسمارك ، ميكيافيللى ، جورج صاند ، دانتى ، تشيكوف ، كبلنج ، لورنس بلاد العرب .. الخ

شهيرات النساء

باقة عطرة من سير نساء خلدت اسماؤهن وتفوقن على الرجال : كليوباترة ، ثيودورا ، جان دارك ، مارى ملكة اسكتلندة ، كريستينا ، مدام دى مانتنون ، شارلوت برونتى ، نل جوين ، «جورج» اليوت ، اليزابيث باريت براوننج ، فلورنس نايتنجيل ، سارة برنار ، ايزادورا دنكان ، مدام شيانج كاى تشيك ، هيلين كيلر (زائرة مصر الآن .. الخ

اعظم الخطب

خطب شائقة لاعظم خطباء العالم القديم والحــديث ، فى كل موضوع : فى السياسة والوطنية ، السلم والحرب ، الادب ، والفن ، والعلم ، والاختراع ، والدين ، والفلسفة ، وتأبين العظماء ، والدفاع عن النفس لنفى تهم ظالمة ، وخطب العظماء المحكوم عليهم بالاعدام ، على أثر صدور الحكم.. الخ .. الخ

اقرأ فيه خطبا لهؤلاء : بركليس ، سقراط ، ديموستين ، كاتو ، هانيبال ، شيشرون ، يوليوس قيصر ، مارك انطونى ، كرومويل ، فردريك الاكبر ، كامى ديمولان ، ميرابو ، دانتون ، مارا ، روبسبيير ، لنكولن ، رابندرانات تاغور ، غاندى ، هتلر .. ومن عظماء مصر : محمد فريد ، مصطفى كامل ، سعد زغلول .. الخ .. الخ


الهاربة من الجنة
قصة مصورية للمحرر

طامن الغمام من خطاه وهو يتمشى فى أديم السماء وئيدا رهيبا كأنما يشيع العام ، ملقيا على الارض فى طريقه ظلالا كالظلام •• وانطرح منه على المثوى الجميل الهادىء ، ظل عريض ، اختلط فى الحديقة بظلال الاشجار ، وتطفل من خلال زجاج النافذة على مخدع الزوجة الشابة ، فأطفأ فيه ما بقى من ضياء النهار الراحل ، ولم يبق متألقا فى الغرفة غير •• بريق عينين !

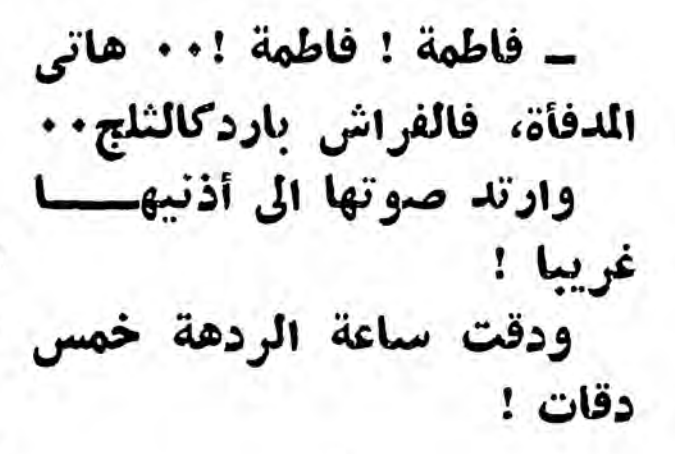
كانت « سعاد » تتمطى فى فراشها الوثير وسنانة ، وقد غاص رأسها فى الوسادة الناعمة ، وانتثر شعرها الاسود اللامع على وجهها ، فداعب أهدابها ، ودغدغ أنفها وأذنيها ، وتبعثرت منه خصلات على رقبتها ، وخصلات توسدت جيدها العارى واستكانت عليه ••

انها قد أوت الى مخدعها منذ لحظات • أرادت أن تسترخى قليلا قبل أن تتزين وتخرج الى السهرة الخيرية الصاخبة ، حيث تشهد مولد العام الجديد ، العتيد أن يتمخض عنه الزمان بعد ساعات ••

بعد ساعات ؟•• هكذا سريعا ؟•• اذن فما أسعدك يا سعاد ؟ وما أقصر الزمن بينك وبين ••؟

وتولتها رعدة ! أمن رهبة ؟•• أو رغبة ؟•• أو من البرد ؟

وأحست كأن قطرة باردة تترقرق على ظهرها ، فنادت خادمتها :



ـ فاطمة ! فاطمة !٠٠ هاتى المدفأة، فالفراش باردكالثلج٠٠

وارتد صوتها الى أذنيهـــا غريبا !

ودقت ساعة الردهة خمس دقات !

❖

الخامسة ٠٠ فقط ؟٠٠ لكم تحس سعاد ان الانتظار يمضها ، وانها مضناة ٠ ما للنعـــاس لا يطاوعها فيسرقها من وعيهـا ، كى يريحها من نفسها ٠٠ ولو لحظات !؟ لـكن ، أحقـا ان راحتها فى النعاس ، أم انهـا تستمرىء اليقظة كى تفكر فى أمرها ، وفيما هو آت ؟٠٠ ان الخواطر لتنثال الى رأسها فى أشتات من الافكار والصور ٠٠ وانها لتستعرض يومها : لقد تطور الامر سريعا !٠٠ منذ ساعتين فقط كانت ما تزال تنتظر مقدم طاهر ـ زوجهـــا ـ من مقر عمله فى مستشفى مركز قريب ، كى يقضى معها عطلة الاسبوع كعادته ، ثم يخرجان الى السهرة معا ، ككل مرة ٠ واذا التليفون يدق ، واذا هـــو يعتذر لها بأن جراحة خطيرة تستلزم بقاءه فى المستشفى ، ملحا عليها فى أن تحضر الحفلـة مع صديقتهـــا «كوثر» ، كى لا تحرم نفسها من المتعة التى تهيأت لها طـــويلا ٠٠ لكنها ترددت ، تأثرت للهجتـــه البريئة ، برهة فقط ، حتى ذكرت كوثر و ٠٠ أخاها « رشاد » ! فذاب ترددها ، كأنما من حرارة

الذكرى •• واتصلت بالصديقة ترجو منها أن تنتظرها حتى تمر عليها فى المساء كى تذهبا الى السهرة سويا••!

وقضى الامر •• تم ذلك كله فى لحظات ، دون سابق تفكير أو تدبير ، فانها لم تبدأ تستوضح نفسها عن مغزاه ومداه الا بعد أن وضعت سماعة التليفون فى المرة الثانية ، ولاذت بمخدعها تفكر !•• تمثل لها رشاد فى شريط متتابع الصور •• **رأته يوم أن قدمته اليها أخته منذ شهور ، فى احدى حفلات الاستقبال ، فضغط على يدها طويلا وهو يرمقها بنظرة ما تزال تذكرها ، كلما خلت الى نفسها !•• ثم تراءى لها فى حشد من الرؤى فى المقابلات العديدة التالية : فى منزل اخته ، أو منزلها ، أو معهما فى السينما ، أو الاوبرا ، أو حول مائدة صغيرة وهم يتسلون بلعب الورق فى امسيات الخريف الحلوة، وعصارى الشتاء الدافئة ••• ودائما كان يرمقها بنفس النظرة النفاذة التى تقول انه •• فى الانتظار !**

وكم سخرت من انتظاره ، وكم هزأت بجرأة خياله •• وكم تسخر منها نفسها الآن ، وهى تتبين انها قد أدمنت ـ مع الايام ـ جلسته وحديثه وضحكته •• وانها مسوقة اليه آخر الامر ، فان انتظاره قد أثمر •• وضعفها قد غلب !

وانها لتراود الآن تزمتها ، وانها لتحس أن جديدا سيقع الليلة ! •• لكم التقوا ثلاثتهم وخرجوا معا من قبل ، **ولكن الليلة غير الليالى !•• فان السهرة التى ستجمعهما سوف تكون صاخبة •• وسيلهوان ، وسيرقصان •• وسيعذرهما الناس ، فان الخمر تدير الرؤوس !**

وستطفأ الانوار يا سعاد ! وسيسود الظلام !•• كما هو سائد الآن !

❖



تنبهت سعاد من غمرة أفكارها، فاذا المخدع غارق فى ظلام أخفى معالم الاشياء ، الا حيث تتوهج أسلاك المدفأة فى ركن منه ٠٠ واذ هى تتمرغ فى فراشها ، ثملة بالخيال ، استدارت على جنبها . . فالتقى بصرها بوجه شاحب لا يبين الا على وهج الاسلاك الحمراء ٠٠ وأجفلت ! . . . . . انه زوجها ، يطل عليها من صورة له على منضدة زينتها ، ومن عينيه تهطل نظرة عتاب حزينة صافية ، وكأنه يسأل فى ضراعة :

ـ « **ماذا تبيتين لشرفى يا سعاد ؟** »

وأغمضت عينيها ٠ لم تقو على مواجهة عينيه ، أو لعلها أرادت أن تستعدى عليه شبحا آخركان فى خيالها له بالمرصاد : شبح رشاد !٠٠ واختلطت فى لوحة ذهنها الاشباح والصور ، شبح يطرد آخر ، وصورة تهتز وتنطفىء فتخلفها أخرى أوضح وأثبت ٠٠٠ رأت طاهرا فى ثياب الجراحة البيضاء ، لا يبين منه غير عينيه ، وهو مكب يجرى جراحة لمريض ٠٠ وجبينه يتندى بالعرق فتتلقاه الممرضة بمنشفة ، قبل أن يقطر على الجسد الدامى ٠٠

وان الصورة لتوشك أن تكتمل وتحتل خيال سعاد ٠٠ واذا بساعة الردهة المجاورة لمخدعها تدق : دقة ٠٠٠ فدقة ٠٠ ست دقات ! ٠٠ السادسة ؟ ترى أين رشاد الآن ؟ **ووجدت نفسها تفكر فيه من جديد ، ها هو يبتسم ويفتح لها ذراعيه ، وعيناه تومضان ببريق خلاب ، وتستجديان الزمن أن يسرع**

به اليهـــا ، فان الانتظار يضـــنيه ، الانتظار .. الانتظار ! ما أثقله من ضريبة ، فلكم هو مشوق الى فاتنته !

ولكم هى مشوقة اليه !.. وأحست ســـعاد بحنين طاغ يشقيها، انها لم تعد تملك أن تفكر ، وانما هى تحس.. تحس مزيجا حلوا من المشاعر يتخطفها ويسلمها كل عذب منه الى ما هو أعذب . لقد فات أوان التراجع .. وانها ستلقاه .. وسيلهوان .. وسيرقصان .. وسيعذرهما الناس .. فان الخمر تدير الرؤوس !

وستطفأ الانوار يا سعاد ! وسيقرك ضميرك .. فما أنت مسئولة بحال ، ما أنت الا مسيرة ومسوقة .. مسوقة بارادة علوية فوق ارادتك .. وهل يملك الانسان من أمر نفســـه خيرا أو ضرا ؟

وراق لسعاد أن تخلد وتستكين الى هذا اليقين الاخير .. فضحك الشيطان فى كمه .. وأحست بنفسها تسكن الى راحة عذبة ، لكم تود أن تنام قليلا .. ومدت ذراعيها تحت الغطاء وهى تتمطى وتتثاءب وو ..

وسرق وعيها النعاس !

... ...
... ...

انتشت بالسمع وبالبصر ، وهى تصعد الدرج الرخامى العريض الى حيث الحفلة الخيرية الصاخبة ، ثم تخطر مختالة بين ذراعى كوثر و .. رشاد ، نحو الصالة الكبرى ، والنظرات تتلقفها من كل جانب ، فياضة باعجاب الرجال .. وحســد

العوانس ·· وغيرة النساء !·· **وكانت القاعة الفسيحة تموج وتتلألأ : أنوار ·· وأنغام ·· وحور ·· وكل ما يغرى جموعا لم تعد تستسيغ الاحسان الا فى** « برشامة » **من رقص وخمر ! واذا الكؤوس تدار ، فاذا الرؤوس تدور ·· وها هو الرقص يصطخب فيخاصرها رشاد ·· ويضيعان معا فى الزحام !**

ثم ·· ثم كأن الليل قد طفر فجأة ساعات ، فاذا العـام قد دنا أجله ، فكاد أن يلفظ آخر أنفاســه على أنغام التانجو الحائرة ، لولا أن أوقفت الرقصة قبل نهايتها ، كى تستبدل برقصة أخرى منتقاة ··· **وعزفت الموسيقى فالس** « **الشموع** » **·· كان اللحن رائعا أخاذا ، فدارت الســـيقان والابدان ، وماست قدود الغيد ، ولانت خصور الحسان ·· وضاع فى الاسماع حفيف أثواب الســهرة كلما تلاقت وهى تدور فى الهواء ··· ثم أخذت العيون تعلق بالساعة الكبيرة ، وتنتظر فى لهفة تعانق عقربيهـــا ·· وبدأت الموسيقى تخافت من أنغامها ، والشموع تنطفىء شمعة فشمعة ، والظلال تتكاثف وتختلط ·· حتى لم يعد يبين غير أشباح تدور ··**

ثم تلاقى العقربان أخيرا فساد الظلام ، واذا بسعاد تفلت من مراقصها ـ امعانا فى الدلال ـ ويروغ خصرها الاملس من يده ، فيلاحقها همسه حلوا :

ـ « **تعالى يا هاربة ·· من الجنة !** »

وتجاوبه ضاحكة : « **أجنة هى أم ··** » ولا تزيد ، فانه قد لحق بهـا ، وأدركتها أنفاسه ·· وكانت شفتاه دافئتين على رقبتها ونحرها و ·· وأحست أنها تختنق تحت قبـــلاته ،

وتراءى لها شعره أشعث ، وعينــاه كالدم ٠٠ أين فتنته قد ذهبت ؟ أين فتنته يا سعاد ؟

❖

وأفاقت من حلمها مذعورة ، وجبينها يتفصــــد عرقا ، وصوت كفحيح الافعى يملأ أذنيها :

ـ « ماذا تريقين من شرف الغائب يا غادرة ؟ »

ففتحت عينيها مرتاعة ودار بصرها حولها ، ثم ارتد الى جيدها العارى ، فانتفضت ٠٠ خيل اليها أن يدا بيضاء آثمة قد امتدت الى صدرها ٠٠ ثم اطمــأنت ٠ انه القمر قد أطل من بين الغمام ، فلما رآها ، غافله وتسلل من النافذة ، ليرتمى على بدنها يلثمه ٠٠ ووجدت سعاد نفسها تضم قميصها عــلى صدرها وهى تتنفس الصعداء : « انه حلم فقط٠٠ حلم فقط٠٠ لم يحدث قط ! »

وصكت سمعها طرقات متكررة على الباب :

ـ « من ؟ فاطمة ؟ »

ـ نعم٠٠ أكنت نائمة يا سيدتى ٠٠ معذرة ، فان الحلاق بالتليفون يقول ان الموعد قد فات

ـ ابلغيه اننى لن أخرج الليلة ٠٠ اننى متعبة ٠٠ اننى متعبة ، فقط خذى المدفأة معك ، واغلقى خشب النافذة ٠٠ ان القمر يقلقنى ٠٠

وارتد صوت سعاد الى أذنيها ، كرجع الصدى ، غريبا !

وبينما الخادم ترفع المدفأة ، أضاء وهجها الاحمر صورة «طاهر» .. كانت نظرة العتاب قد أخلت مكانها من عينيه لنظرة أخرى تقول :

ـ « **شكرا يا سعاد !** »

وغرق المخدع فى الظلام .. ولمعت فى عينى سعاد دمعتان ، وندت من صارها أنة تقول :

ـ « اطمئن يا طاهر .. اننى باقية .. فى الجنة .. أنتظرك »

وصر الشيطان على أسنانه كمدا .. فقد ضاعت ضحكته هباء !

ودقت ساعة الردهة سبع دقات .. كأنها معول الزمان ، يعد نعشا لعام .. ومهدا لعام !

عزيزى القارىء ...

فى العدد الاول من «كتابى» قدمت لك مسرحية من لون «الدراما» هى : «خطايا الحب» او (A Woman of no Importance) لاوسكار وايلد ... وفى العدد الماضى قدمت لك مسرحية من لون آخر ـ هو لون « التراجيدى » ـ واعنى بها مسرحية « الحب الآثم » او سلطان الظلام (The Power of Darkness) لتولستوى ..

وفى هذا العدد اقدم لك لونا ثالثا من الوان الادب المسرحى هو لون «الكوميديا» الساخرة ، وقد اخترت لك نموذجا له هذه التمثيلية الخالدة التى كتبها الاديب الروسى الكبير جوجول باسم « المفتش العام » ، ثم مثلت على مسرح «دوق اوف يورك» بلندن سنة ١٩٢٠ باسم « مفتش الحكومة » ـ وقد آثرت ان اسميها « نزاهة الحكم ! » ـ وسترى انها تحفل بروح الدعابة البارعة والسخرية المستملحة التى يتفوق فيها جوجول على جميع ادباء الروس ، بما فيهم « تشيكوف » .. !

وفى الاعداد القادمة ستقرا فى هذا الباب بمشيئة الله مجموعة منتقاة من اعظم ما كتب هؤلاء السادة الخالدين من اقطاب المسرح ، القدماء والمحدثين : اوسكار وايلد ، ابسن ، شيللر ، موليير ، هوجو ، راسين ، برنارد شو ، شكسبير ، بن جونسون ، جوته ، جوجول ، تشيكوف ، تولستوى .. الخ

عندما ترفع الستار ..



روائع المسرح العالمى
(التمثيلى .. والغنائى)



نزاهة الحكم!

كوميديا تمثيلية كبرى
لنيكولاى جوجول

شخصيات الرواية

انطون انطونوفيتش	:(«المامور» او حاكم بلدة صغيرة)	Anton Antonovitch
أنا اندرييفنا	:(زوجته)	Anna Andreyevna
ماريــــا	:(ابنتهما)	Marya
لوقــــا	:(ناظر مدرسة البلدة)	Luka
خليستاكـــوف	:(موظف فى العاصمة «سانتبطرسبرج»)	Khlestakov
اوســــيب	:(خادمه)	Osip
بوبشنسـكى	:(سيدان من اهل البلدة)	Bobchinski
دوبشنسـكى	:	Dobchinski

ثم القاضى .. ومفتش الصحة .. ورئيس جمعية البر .. ووكيل البريد .. والكونستابل .. وساقى الحانة .. الخ

زمان الرواية :**منتصف القرن الماضى**

مكان الرواية : **بلدة صغيرة فى روسيا**

المؤلف



.. هو « نيكولاى فاسيليفتش جوجول » ، ولد فى اوكرانيا (القسم الجنوبى من روسيا) يوم ٣١ مارس سنة ١٨٠٩ ، من اصل قوزاقى .. ومنذ صباه ظهرت عليه اعراض التهوس الصوفى المنتشر بين افراد الجنس «السلافى» ..

وبعد ان تلقى علومه فى موطنه الاصلى انتقل سنة ١٨٢٨ الى العاصمة « سانت بطرسبرج » — لينينجراد الآن — حيث عمل فترة من الوقت كاتبا صغيرا فى احدى وظائف الحكومة .

وفى العام التالى ، وكان فى سن العشرين ، نشر ديوان شعر من نظمه اطلق عليه « ليالى الريف » .. لكن نقاد الصحف قسوا فى نقده فعمد الى شراء نسخ الكتاب جميعا من الاسواق واحرقها عن آخرها !!

وفى سنة ١٨٣٤ وطد مجده الادبى بنشر مجموعة من القصص باسم « مرجورود » تدور حول الحياة فى اوكرانيا وبلاد القوقاز ، من بينها قصة « تاراس بولبا » التى تعتبر بمثابة حجر الاساس للقصة الروسية الطويلة ! .. فلقيت المجموعة من ترحيب النقاد والقراء ما شجع مؤلفها على التفكير جديا فى احتراف الادب .

ثم اعلن جوجول عن فكرة مبتكرة لكتابة التاريخ بطريقة جديدة ! ورغم انه لم ينفذ مشروعه فانه تلقى على الفكرة المقترحة درجة « استاذ » فى التاريخ بجامعة بطرسبرج ! .. لكن التجربة اثبتت انه لم يخلق ليكون مدرسا .. ففقد منصبه !

وعاد يواصل انتاجه الادبى ، من الشعر والقصص ، فكتب تحفتيه الخالدتين : « المفتش العام » — وهى المسرحية الكوميدية الساخرة التى اقدمها لك فى هذه الصفحات باسم « نزاهة الحكم » — وقد وضعها سنة ١٨٣٦ .. ثم «ارواح ميتة» ، القصة الطويلة الصوفية التى تعتبر من اشهر ما كتب ، وقد اصدرها سنة ١٨٤٢

وقد عاش جوجول خارج وطنه عشر سنوات (من ١٨٣٦ الى ١٨٤٦) قضى اكثرها فى روما .. وفى سنواته الاخيرة غشيت عقله غمامة من الانقباض والتصوف الدينى جعلته ينظر الى انتاجه الادبى باعتباره « خطيئة » كبرى ، فاتلف مخطوطاته — ومنها الجزء الثانى من « ارواح ميتة » ! — وعاش فى موسكو منهوك الجسم والنفس من فرط افراطه فى الصوم والصلاة ، حتى مات فى ٣ مارس سنة ١٨٥٢

الفصل الاول

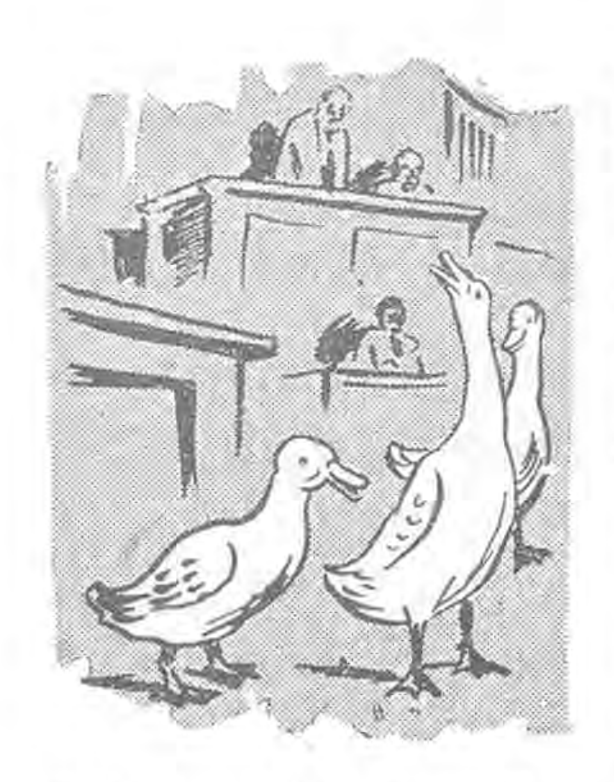
نحن فى بلدة صغيرة من بلاد الاقاليم فى روسيا القيصرية ، يتمثل فى كبار موظفيها الرسميين ، وتجارها : فساد الذمم .. والغش .. والاحتيال .. والغباء .. والنفاق ! .. فهم أشبه بعصابة من الانذال : المأمور والقاضى يرتشيان .. ووكيل البريد يتجسس على مكاتبات الناس فيفتح جميع الخطابات !.. ومفتش الصحة يسرق اموال المستشفى ! .. وناظر المدرسة يتلاعب بميزانية التعليم ! .. والتجار يغشون فى بضائعهم ! .. وبالاختصار فان كل شخص فى البلدة يحتال على غيره .. !

وتجرى الحال على هذا المنوال زمنا .. وذات يوم تقذف الاقدار فجأة حجرا يحدث اضطرابا فى المستنقع الراكد ــ مستنقع هذا الفساد الشامل ! ــ فان صديقا «للعصابة» يقيم فى العاصمة (بطرسبرج) يخطر افرادها بان الحكومة تعتزم ارسال « مفتش » من طرفها كى يتفقد الاحوال فى البلدة .. وان هذا المفتش سوف ياتى متنكرا!

يا للطامة الكبرى ! .. من يدرى ؟ قد يكون المفتش مندسا بينهم الان وهم عنه غافلون !؟

ويجتمع افراد « العصابة » فى منزل المأمور ليتدبروا الموقف :

المأمور : ايها السادة ، انها مسألة خطيرة للغاية ! .. لكنى بادرت من جانبى فاتخذت جميع الاحتياطات الكافية لستر



موقــفى .. ونصيحتى اليــكم جميعــا ان تحــذوا حذوى **(يستدير الى مفتش الصحة)** : وبهــذه المناســبة لا تنــس يا « ارتيمى فيليبوفتش » ان تأمر بغسل طواقى الرأس الخاصة بمرضى المستشفى ، كى لا تبدو فى قذارة وسواد مكنسة المدفأة!

مفتش الصحة : سأرى مــا يمكن عمله فى هذا الصدد ..

المأمور : ويحسن ان تشترى بعض الدواء لتدخــل فى روع المفتش انك تحاول شفاء المرضى بدلا من ترك الطبيعة تأخذ معهم مجراها .. !

مفتش الصحة : اشكرك على النصيحة ..

المأمور (موجها كلامه الى القاضى) : وانــت يا « ليابكــين تيابكين » ، انقل الاوز والبط من فناء المحكمة ، فقد صارت رائحة المكان عفنة لا تطاق !

القاضى : حسنا .. سوف انقلها الى المطبخ .

المأمور : وأوص كاتبك بان يتناول « شربة » مطهرة ، فان رائحة انفاسه كريهة !

القاضى : ساحاول .. لكنى اخشى ان يكون مستعصيا على التطهير !

المأمور : وانت يا « لوقا لوقتش » ، يجب ان تتخلص من

مدرس التاريخ ، فلست احب الطريقة التى يهرش بها لحيته ؛ ويلوى سحنته .. وقد يحسب المفتش انه يسخر منه !

ناظر المدرسة : حسنا جدا .. وسوف اتولى تدريس التاريخ بدلا منه ..

المأمور : هل لك المام بالتاريخ ؟

ناظر المدرسة : كلا ، لكنى لا اهرش لحيتى ولا الوى سحنتى !

المأمور : ان اسوأ ما فى الامر كله ان المفتش يأتى متنكرا !.. واذن فانه يحتمل ان يفاجئنا فى اية لحظة !

وهنا يدخل اثنان من « اعيان » البلدة يعدوان لاهثى الانفاس ، هما « بوبشنسكى » ، و « دوبشنسكى » :

بوبشنسكى : انه هنا ، فى هذه البلدة !

دوبشنسكى : فى الفندق !

بوبشنسكى : لقد رأيته بعينى !

دوبشنسكى : كلا ، بل انا الذى رأيته اولا !

المأمور (محتدا) : حسنا ، حسنا .. كلاكما رآه .. استمرا !

بوبشنسكى : انه شاب فى مقتبل العمر ..

دوبشنسكى : انيق الهندام ، وسيم الخلقة ..

بوبشنسكى : حين رايته لم املك نفسى فشهقت من فرط اعجابى به !

دوبشنسكى : بل انا الذى شهقت اعجابا به !

المامور (يكاد يفقد صبره) : حسنا ، كلاكما شهق اعجابا به .. وماذا حدث بعد ذلك ؟

بوبشنسكى : ناديت صاحب الفندق ..

دوبشنسكى : وسألته : من يكون هذا الشاب ؟

بوبشنسكى : فاجاب: هذا الشاب من كبارموظفى الحكومة، اسمه « ايفان الكسندروفتش خلسناكوف » ... وهو شاب غريب الاطوار ، لا يدفع فواتير الحساب المطلوبة منه ! انه هنا منذ اسبوعين ، وقد أتى من العاصمة ! ..

المامور : موظف حكومة ؟ ومن العاصمة ؟ اواه يا الهى !

مفتش الصحة : ماذا عسانا ان نفعل لمواجهة هذا المأزق ؟ هل نذهب جميعا الى الفندق ؟

المأمور (يسترد ثباته وثقته بنفسه) : كلا ، بل اتركوا الامر لى . ساعجم عود الشاب بطريقتى الخاصة .. وحسبكم انتم ايها السادة أن تعتنوا بالامور الاخرى . احفروا حفراً فى أماكن متفرقة من الشوارع حتى يظن اننا نتولى اصلاح البلدة . واعيدوا المساجين جميعا الى السجن . واوصوا الجنود بالا ينسوا ارتداء سراويلهم حين يخرجون الى الاماكن العامة ..

واذ يلقى المامور لسامعيه بهذه « النصيحة » ، يهرع منصرفا .. ليزور مفتش الحكومة فى الفندق !

الفصل الثانى

.. فاذا كان الفصل الثانى فنحن فى غرفة صغيرة من غرف الفندق يشغلها الشاب « خلستاكوف » ، الذى نعلم من

حديث خادمه « اوسيب » مع نفسه انه ليس مفتشا حكوميا منتدبا لتفقد مرافق البلدة ، وانما هو صاحب مكتبة يقضى مدة اجازته متجولا ، وقد انفق كل ما معه من مال ولم يعد يستطيع .ن يدفع حساب الفندق ، مما اضطر صاحب الفندق الى ان يهدده بالطرد :

اوسيب (يحدث نفسه وهو راقد على فراش سيده !) : يا للشيطان ! انى اكاد اموت جوعا . لقد انقضى شهران منذ غادرنا العاصمة ، وقد بدد سيدى كل ماله فى الطريق . وها نحن اولاء لا نملك روبية واحدة ! . . ان الاب المسن لا يبخل على ابنه بالمال ، لكن هذا لا يكاد يتلقاه حتى ينفقه عن آخره ثم يضطر لان يرهن ثيابه الى اخر سترة ! . . والان ، هذا هو صاحب الفندق يعلن أنه لن يقدم لنا طعاما قبل ان ندفع ثمنه مقدما . . آه ، ها هو سيدى يطرق الباب

(ينهض من الفراش من فوره . . ثم يدخل خلستاكوف) :

خلستاكوف : انزل واطلب لنا طعاما نأكله . .

اوسيب : اوه ، كلا . . لن يسمح لنا صاحب الفندق بأى طعام ، فهو يصفنا باننا نصابون ويهدد بالقائك فى السجن !

خلستاكوف : فلتذهب الى الشيطان ! . . استدع صاحب الفندق ! **(يخرج اوسيب)** لكم انا جائع ! . . وقد غشنى ذلك الضابط اللعين اثناء اللعب وتركنى مفلسا ! . يالها من بلدة تعسة صغيرة . ان حوانيت بقاليها لا تقرض بالاجل ! **(يدخل احد السقاة)**

الساقى : صاحب الفندق يسأل عما تريد . .

خليستاكوف : ارجو ان تحضر لى غذائى على الفور ، فعندى عمل ينبغى ان انجزه بعد الغداء مباشرة

لكن الساقى يجيب بان صاحب الفندق يرفض امداده بمزيد من الطعام ، بل ويعتزم ابلاغ الامر الى المأمور ! .. وفيما هما يتحدثان يدخل خادم آخر حاملا الطعام المطلوب ! .. ثم يدخل فى اثره « اوسيب » معلنا لسيده ان المأمور قد حضر ، وانه يبغى مقابلته !

خليستاكوف : (محدثا نفسه) : ماذا ؟ اذن فقد وشى صاحب الفندق بى ؟ .. فلأتخذ مظهر الترفع واسأله كيف جرؤ ان ..

وهنا يدخل المأمور واجف القلب ، منتفخ الجيب برشوة دسمة ! .. فيستقبله الشاب واجف القلب بدوره ، ظنا منه ان المأمور قد جاء ليلقى القبض عليه بسبب عجزه عن دفع دينه للفندق !

المأمور (فى خضوع وتذلل) : ارجو ان تكون بخير يا سيدى ..

خلستاكوف (فى تهيب) : اشكرك .

المأمور : من واجبى ، بصفتى مأمور البلدة ، ان اطمئن الى ان زائريها يلقون المعاملة التى يستحقونها .. !

خلستاكوف : (يحمل قول المأمور على محمل آخر) : انى جد آسف يا سيدى ، ولكن صدقنى انى كنت مجبرا .. هذا فضلا عن ان الطعام هنا فاسد ، والغرفة تموج بالحشرات ..

المامور : لعلك اذن تود الانتقال الى مسكن آخر ؟

خلستاكوف (يهمس لنفسه مرتاعا) : لابد انه يقصد السجن ! **(يحاول ان يربح المعركة بالتحدى ، والتظاهر بالغضب)** كيف تجرؤ يا سيدى ؟ الا تعلم انى موظف رسمى من العاصمة .. وانى .. وانى .... ؟



المامور (محدثا نفسه فى انزعاج) : يا للسماء ! لكم هو منفعل ! لابد انه قد عرف كل شىء .. يبدو ان اولئك التجار الملاعين قد وشوا بى لديه !؟

ويلحظ الشاب تردد المامور وانزعاجه فيمضى فى ثورته المفتعلة مهددا بابلاغ الامر الى وزير الداخلية ! .. وهنا يوقن المامور ان امره قد افتضح ، فيخر على ركبتيه جاثيا ويهتف مذعورا :

المامور : اتوسل اليك ان ترحمنى يا سيدى ! اى ضرر فى ان اقبل هدية صغيرة بين حين وآخر ؟ اننى رب اسرة ، ولى اولاد اعولهم ! .. ولا تصدق يا سيدى ما قد يفتريه خصومى من انى اظلمهم واجلد نساءهم .. انهم رعاع كاذبون !

خليستاكوف : اى شأن لى بخصومك وبالنساء اللواتى تجلدهن ؟ لا تحاول ان تخدعنى .. والان اصغ الى : انى سوف ادفع حسابى لهذا الفندق ، لكنى فى الوقت الحاضر لا املك المبلغ المطلوب .. وهذا سبب بقائى هنا حتى اليوم .

المامور (محدثا نفسه) : يا للماكر الخبيث ، انه يسهل مهمتى (يخرج من جيبه كيس نقوده)

خليستاكوف : اتعرض على قرضا ؟

المامور : اتوسل اليك ياسيدى الا تجد فى ذلك غضاضة ! (فى لباقة) فما دامت نقودك قد نفدت فانى فى خدمتك ! .. كم من المال يلزمك فى الوقت الحاضر ؟

خليستاكوف : ماقولك فى مائتى روبية ؟

(يعطيه المامور المائتى روبية، ويدس له معها مائتين اخريين!)

خليستاكوف : اشكرك .. الان استطيع ان اتخلص من صاحب الفندق !

المامور : نعم ياسيدى .. والواقع ان هذه الغرفة رطبة ، وصغيرة ، ومعتمة ! .. فهلا تعطفت على فقبلت ضيافتى فى منزلى ، فى غرفة فسيحة مريحة هادئة عذبة الهواء ؟ ارجو الا تجد فى ذلك غضاضة !

خليستاكوف : ابدا .. بالمرة !

المامور : ان زوجتى وابنتى سوف ترحبان بهذا الشرف العظيم ..

خليستاكوف : زوجتك ؟ وابنتك ؟ .. بالتأكيد ، سوف يسرنى ان انتقل الى منزلك !

الفصل الثالث

ويفطن المامور الى ان « المفتش الحكومى » المزعوم يفضل مواصلة مهمته متخفيا ! .. فيعتزم أن يبادله اغضاء باغضاء ، ويغرقه فى طوفان من البيانات الكاذبة عن سير الامور فى البلدة ! .. وهكذا لا يرى صاحبنا باسا فى ان يدعو ضيفه الى زيارة مختلف المؤسسات والمرافق العامة ، مطمئنا الى اغضائه عن كل فساد .. !

وتتم الجولة كمارسم المامور خطتها .. ثم يستقر بالرجلين المقام آخر الامر فى بيت المامور ، وحولهما بقية رجال « العصابة » من كبار الموظفين :

خليستاكوف : يالها من مؤسسات رائعة حقا ! .. فى البلاد الاخرى التى زرتها لم يرنى احد شيئا يماثلها !

المأمور (منتفخ الاوداج) : فى البلاد الاخرى لا يفكر المسؤولون الا فى مصالحهم الخاصة .. اما هنا فنحن لا نبغى الا ان نظفر بتقدير الحكومة ورضا المواطنين !

خليستاكوف : ان غداء اليوم كان فاخرا ، والسمك الذى اكلناه كان لذيذا للغاية ! فى اية مؤسسة تناولنا غداءنا ؟ الم يكن ذلك فى المستشفى ؟ اذكر انى رأيت اكثر سراير المرضى فارغة .. او شفى اغلب المرضى ؟

المأمور : نعم .. فمنذ عينت مأمورا والمرضى يتماثلون للشفاء بسرعة هائلة ، لا بفضل الطب وانما بفضل الأمانة والنظام فى التمريض .. شكرا لله ، ان كل شىء هنا يسير على خير وجه وادعاه الى الارتياح ! .. وقد كان اى مأمور غيرى خليقا بان يهتم بمصالحه الخاصة ، اما انا فصدقنى يا سيدى انى حين اضطجع فى فراشى لأنام أستهل صلاتى لله مبتهلا : « اواه يا الهى ، عسى ان تلحظ الحكومة اخلاصى وهمتى فى عملى فترضى عنى .. ! » ثم أخلد للنعاس مستريح الضمير ..

خليستاكوف : الا توجد هنا نواد للعب الورق ؟

المأمور : معاذ الله ياسيدى ! .. انك فى بلدتنا لا تسمع عن شىء يقال له نوادى القمار ، ولا تقف لها على اثر ! .. بل انى اشمئز من مجرد رؤية ورق اللعب ، ولم تلمسه يداى طيلة عمرى ! ... وقد حدث ان بنيت لاولادى ذات يوم بيتا من ورق اللعب المقوى ، فلبثت الليلة باكملها فريسة للاحلام المزعجة !

لوقا (محدثا نفسه) ان اللعين قد ربح منى فى القمار امس فقط مائة روبية !

القاضى (يدخل مضطربا) : لى الشرف ان اقدم نفسى اليك يا سيدى . انا قاضى البلدة منذ عشرين عاما ، وقد انعم على بوسام « فلاديمير » من الطبقة الرابعة .

خليستاكوف : وما هذا الذى تحمله فى يدك ؟

القاضى (وقد سقطت من يده بضع اوراق « بنكنوت » من فرط اضطرابه) : لا شىء ! . . لا شىء !

خليستاكوف : كيف لا شىء ؟ انى ارى نقودا سقطت منك على الارض !؟

القاضى (محدثا نفسه وهو يرتجف) : يا للسماوات ، لقد ضعت ! . . هانذا ارى نفسى فى قفص الاتهام ، وعربة السجن فى طريقها الى كى تأخذنى الى المنفى السحيق !

اما خليستاكوف فيجمع الاوراق المالية المتناثرة على الارض ، مستأذنا القاضى فى ان ياخذها « كقرض » ، فانه قد انفق نقوده التى احضرها معه عن آخرها ! .. ويعده بان يردها اليه بمجرد عودته الى العاصمة .. لكن القاضى يحتج قائلا ان شرف اقراض المفتش الكبير يكفيه !

ثم يدخل فى اثره وكيل البريد ، مرتديا سترته الرسمية، وبعد حديث قصير مع المفتش يرى الاخير ان «يقترض» منه بدوره ثلاثمائة روبية .. فيحصيها الوكيل ويسلمها اليه ثم ينسحب .. !

ويتعاقب على دار المامور بقية افراد « العصابة » .. وكلهم يستعطفه كى يغمض عينيه عن مخازيهم ، ويفتح جيبه لرشاواهم ! .. وهو لا يرى بأسا فى اجابتهم الى الالتماسين !..

ومع كل قادم يتضخم جيب « المفتش » اكثر فأكثر ، وتزداد غطرسته شيئا فشيئا .. !

خليستاكوف (وقد انفرد بنفسه بعد خروج الجميع) : ما اكثر الحمقى فى هذه البلدة . انهم يحسبوننى «مفتش الحكومة» ! .. فلأكتب الى صديقى « تربابتشكين » فى العاصمة كى يضحك معى من غفلتهم .. ترى كم بلغ مجموع المال الذى اقترضته من هؤلاء البلهاء ؟ أوه .. اكثر من الف روبية !!

ويجلس ليكتب الخطاب الى صديقه .. لكن خادمه الامين «اوسيب» يدخل لينبهه الى ان الحيطة تقتضى ان يبادرا بالاختفاء من البلدة قبل ان يفتضح امرهما ويكتشف الجميع حقيقة شخصيتيهما ! .. فيقره على رأيه ويوصيه بان يحمل الخطاب الى دار البريد ثم يحضر عربة ذات جوادين سريعين كى تقلهما فى رحلتهما ..

وفجأة يدخل نفر من تجار البلدة وقد احضروا فى جعبتهم للمفتش هدايا سخية من النبيذ والكعك واللحم ! .. ويشكون اليه المأمور الذى يظلمهم ويبتز اموالهم ، طالبين من المفتش ان يسعى لعزله من منصبه .. فيعدهم هذا بتنفيذ رغبتهم ، لكنه يرفض هداياهم محتجا بانه لا يقبل رشوة ! .. اما لو قدموا اليه « قرضا » بثلاثمائة روبية مثلا ، فهذا شىء آخر !!

ويفعلون .. ثم ينصرف كل منهم الى سبيله !

وبينما الرجال يمطرونه هكذا برشاواهم ، تمطره النساء بقبلاتهن ! .. ولا سيما زوجة المأمور « انا » وابنتها « ماريا » ، اللتين تحمى المنافسة بينهما وتشتد ! .. اما هو فيوزع ابتساماته وقبلاته عليهما بالعدل والقسطاس !

وفيما الشاب منهمك فى عد نقوده ، تدخل « ماريا » وقد بدا عليها الانفعال :

ماريا (مستدركة) : اوه !

الشاب : ما الذى يزعجك ؟

ماريا : لا شىء .. كنت احسب امى هنا . آسفة لكونى قطعت عليك اعمالك الهامة ..

الشاب : لكن عينيك اجمل من اعمالى الهامة !

ماريا : انك تخاطبنى بلهجة شبان العاصمة !

الشاب : هل تسعديننى فتسمحين لى بان اقدم اليك مقعدا ؟ ولكن ، كلا .. انك تستحقين «عرشا» ، وليس مقعدا ! .. انى اهبك حبى ، الذى غرسته فى قلبى نظرتك الاولى !

ويطبع قبلة على كتفها ، وحين تهم بالنهوض متظاهرة بالغضب يركع امامها على ركبتيه مستعطفا .. وفى هذه اللحظة تدخل امها !

ماريا : لا تؤاخذينى يا اماه ، فنحن انما كنا ..

الام : نعم ، اعلم ذلك .. انما كنتما ...

الشاب : الخطأ كله خطئى انا يا سيدتى ..

الام (فى تهكم) : بلا شك ! .. اخرجى من هنا يا ماكرة يا ..

(تخرج الابنة ، فيدير الشاب فى الحال دفة غزله الى الام):

الشاب : ايتها المراة العذبة .. دعينى اقبل شفتيك اللتين تقطران شهدا !

المرأة : كنت احسبك واقعا فى هوى ابنتى ؟

الشاب : كيف امكن ان يجول بخاطرك شىء كهذا ؟

المرأة (فى دلال) : ولكن ، يا سـيدى المفتش .. اننى متزوجة كما تعلم !

الشاب : وماذا فى ذلك ؟ (يخر جاثيا على ركبتيه) سيدتى، وانا راكع امامك اتوسل اليك ان تمنحينى (يلمح ماريا تدخل الغرفة وتقف على عتبتها مذهولة ، فيسـتطرد مصححا) : يد ابنتك !

اما الام فتوبخ ابنتها على اقتحامها الغرفة هكذا دون استئذان ! .. ثم يدخل المامور لاهثا يطعن فى مسلك تـجار البلدة المفترين الذين يغتابونه وينسبون اليه اتهامات هو برىء منها كل البراءة !

لكن زوجته تقاطعه لتفضى اليه بالنبا السعيد الذى يذهله: انالضيف العظيم قد شرفهم بطلب يد ابنتهم لتكون زوجة له !

ويفيق المأمور من ذهوله ليجد « الخطيبين » متعانقين ، فيمنحهما بركته ودعاءه .. فى الوقت الذى يدخل فيه الخادم «اوسيب» ليعلن لسيده ان العربة قد وصـلت .. فينبىء الضيف مضيفه بانه سيتغيب يوما او يومين كى يزور عما غنيا من اعمامه يهمه ان يبارك زواجه ! ..

وبعد ان يوصيهم بالا يقلقوا لغيابه ويودع « خطيبته » وداعا حارا تنطلق العربة به وبخادمه بين تهليل افراد الاسرة وتحياتهم ، وأطيب تمنياتهم ..

الفصل الرابع

فاذا كان الفصل الرابع فنحن فى دار المامور ايضا ، وقد جلس رب البيت وزوجته وابنتهما يتحدثون فى معدات الزفاف

المرموق .. ويدخل ضابط بوليس استدعاه المأمور لمقابلته ، فيبتدره قائلا :

المأمور : ايفان كاربوفتش ، اريدك ان تحضر الى هنا اولئك التجار الانذال ! أو يجرؤون على الوشاية بى لدى مفتش الحكومة ؟ سنرى من الذى يضحك اخيرا ، ومن الذى شرفته السماء فمنحت ابنته زوجا ليس له بين رجال الدنيا مثيل !.. فلتعلن النبأ على رؤوس الاشهاد .. اخطر به كل انسان ، واذعه باعلى صوت على مسامع الجميع .. بل دق الاجراس احتفالا به ! .. وليذهب خصومى جميعا الى الشيطان ، فانى سوف انتصر عليهم .. نعم ، سانتصر !

وينسحب ضابط البوليس .. فيستأنف المأمور وزوجته حديثهما العذب ، ويهدهدان آمالهما فى المستقبل الضاحك الذى ينتظرهما . انهما لن يبقيا طبعا فى هذه البلدة الصغيرة المغمورة، وانما سينتقلان الىالعاصمة ليعيشا مع زوج ابنتهما العظيم !..

وفجأة يدخل تجار البلدة ليهنئوا المأمور بخطبة ابنته ، فيستقبلهم بوابل من عبارات القدح والتوبيخ .. فيعربون له عن ندمهم ويسالونه الصفح والمغفرة ، واعدين اياه بالتكفير عن فعلتهم باغداق هداياهم الثمينة عليه وعلى ابنته .. فيوصيهم بالا ينسوا ذلك ، اذا طمعوا فى الصفح !

وينسحبون متخاذلين ، بينما تتقاطر افواج متلاحقة من المهنئين « والمنافقين » ، الذين لا يكاد الواحد منهم ينصرف من البيت حتى يطلق لسانه باقذع الفاظ البغضاء والاحتقار للمأمور واسرته ، والتنديد بما طرأ على مسلك زوجته من عجرفة وترفع مفاجئين !

اما فى داخل البيت ، فانت لا تسمع غير عبارات الملق والمداهنة : « ياله من عريس محظوظ ! » .. « وعروس

محظوظة !)) .. ((اذا فسوف تنتقلون جميعا الى العاصمة ؟)) .. ((لا تنس ان تذكرنى بكلمة طيبة حين تقابل القيصر !)) .. ((واذكرنى انا ايضا)) .. ((وانا !)) .. ((وانا !)) .. ((من قال ان عصر المعجزات قد انقضى !؟)) .. ويدخل مفتش الصحة فيتساءل : ((ولكن .. اين العريس السعيد ؟))

المأمور : لقد انطلق لتوه كى يحصل على بركات عمه الغنى بمناسبة الزواج .. وسيعود بعد يوم او اثنين

وكيل البريد (مقاطعا وهو يدخل لاهثا ، ملوحا بخطاب مفتوح فى يده) : سيداتى وسادتى .. انه لن يعود ابدا ! .. ان ذلك الافاق الذى حسبناه ((مفتش الحكومة)) ليس مفتشا، ولا موظفا على الاطلاق .. انه نصاب كذاب ونذل مزور ! .. لقد اكتشفت هذه الحقيقة من خطاب كتبه الى العاصمة ، فخشيت ان يكون فى داخله تقرير عن نقائص اكتشفها فى اعمالنا .. فشعرت بدافع لا يقاوم يغرينى بفضه ..

المأمور : او جرؤت على فض خطاب مفتش عظيم مثله ؟

وكيل البريد : انه ليس مفتشا ولا عظيما كما ذكرت لكم . واليكم نص خطابه : ((ابادر فاقص عليك ايها العزيز تريابتشكين اطرف ما وقع لى فى رحلتى . لقد صادفنى فى البداية ضابط استدرجنى الى المقامرة ، فخسرت كل ما كان معى من مال ! .. وحين عجزت عن دفع اجر الفندق كاد صاحبه يلقى بى فى السجن ، لولا ان شاءت المصادفة ان يحسبنى القوم ((مفتش الحكومة)) !.. فانقلبت الاوضاع، وصرت موضع ترحيب الجميع وتكريمهم ! وهانذا اعيش الان فى بيت المأمور ، مستمتعا بمغازلة زوجته وابنته ! .. والجميع هنا يقرضوننى من المال ما اشاء ، فالمأمور غبى احمق ، ووكيل البريد مرتش ، ورئيس جمعية البر خنزير يرتدى ثياب انسان .. الخ))

المامور : لقد ضعت .. ضعت .. سحقنى اللعين سحقا .. الحقوا به !

وكيل البريد : وكيف نلحق به ؟ لقد كنت انا الذى اوصيت له بالعربة التى فر بها ، والتى تجرها ثلاثة من أسرع الجياد فى البلدة !

المامور : يالى من غبى ! .. ان لى فى الخدمة ثلاثين عاما ، لم يخدعنى فيها انسان ، بل لقد خدعت انا ابرع المحتالين !

زوجة المامور : لكن ذلك غير معقول يا « انتوشا » ! .. انه خطيب ابنتنا ماريا !

المامور (حانقا) : خطيب ابنتنا ؟ هراء !.. ايتها الانسانية، اشهدى على غبائى ! .. انا الذى حسبت ذلك النذل نبيلا رفيع المقام ! .. وهو الان يدق اجراس عربته التى تنهب به الطريق نهبا ! .. من منكم كان اول من قال انه « مفتش الحكومة » ؟ اجيبوا !

يشير الجميع الى بوبشنسكى ودوبشنسكى ، اللذين يعمد كل منهما الى اتهام الاخر ! .. ويسود الهرج والمرج .. وتبدو على الكل علامات الحنق واليأس : اذن فقد ضاعت كل الاموال التى اغدقوها على النصاب اللعين ؟ .. والبلدة قد صارت اكثر قذارة واهمالا عما قبل ؟ .. يالها من ورطة ! .. ياله من مأزق !

وفجأة يفتح الباب على مصراعيه ، ويقف على عتبته حارس يعلن قدوم : « صاحب الفخامة مفتش الحكومة » ..!

.. المفتش الحقيقى ! ! !

(ستار)

عزيزى القارىء ...

فى العددين الماضيين من «كتابى» قصصت عليك سيرة اثنين من انبياء الوطنية الذين بلغوا ارفع مراتب العظمة فى السياسة ..

لكن للعظمة ميادين اخرى كثيرة غير السياسة .. ومن حق عظماء العالم عليك ـ ايا كان ميدان عظمتهم ونبوغهم، وايا كانت الدولة التى انجبتهم ـ ان تعرف شيئا عن سيرة حياتهم ، وقصة نبوغهم وكفاحهم الشاق فى سبيل ارتقاء قمم الشهرة والخلود ، فى الطريق الذى اختاروه لانفسهم ، او اختارته لهم الاقدار .. !

فتعال معى اعرفك بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منذ بعيد : باستير برنارد شو .. دانتى ، ملتون ، بيرون، شيللى ، براونتج .. مايكل انجلو ، رافاييل ، ليوناردو دى فنشى .. بيتهوفن ، شوبرت ، شوبان ، فردى ، تشايكوفسكى .. سقراط ، افلاطون ، ارسطو ، فولتير ، شوبنهاور ، نيتشه .. بوذا ، كونفوشيوس .. داروين ، اينشتين.. شكسبير ، جوته ، ماركونى، روكفيلر ، اديسون ، فورد .. بلزاك والتر سكوت ، ديماس ، ديكنز ، دوستويفسكى ، زولا ، موباسان .. كولمبس ، الاسكندر الاكبر ، ماركو بولو .. وغيرهم وغيرهم !

الخالدون



عظماء .. فى غير السياسة


LOUIS PASTEUR
by
DANA LEE
لويس
باستير
الرجل الذى أنقذ حياة الملايين من الناس !
قصة حياته وكفاحه ضد المرض والجهل

◆ **« انه اهدأ واصفر واكسل طالب فى الفصل ! »** .. تلك كانت شهادة المدرس عن التلميذ « لويس باستير » .. لكن الفتى كان ذا فضول نهم لا يشبع ولا يقنع ، فلم يكن يكف عن توجيه الاسئلة المحيرة الى مدرسيه ؛ حتى اضطر احدهم الى ان يصدمه يوما بهذه الملاحظة : « اسمع يابنى ، دعنى اذكرك انه ليس من واجب التلميذ ان يسأل ، بل ان يجيب على الاسئلة ! »

وبقدر ما كان الطالب لويس باستير فضوليا لحوحا كانت فيه صفة اخرى نادرة ، هى جلده وصبره على العمل ، فكتب مرة يقول . **« ان اهم ثلاث كلمات فى القاموس هى : « العزيمة ، والعمل ، والانتظار» .. وهى الدعائم الثلاث التى سوف ابنى عليها هرم نجاحى ! »**

ابن الدباغ !

◆ وقد كان ابوه دباغا للجلود ، فورث « لويس » رائحة الجلود فى دمه .. حتى انه حين استبد به الشوق والحنين الى والديه اثناء غربته فى باريس والتحاقه بمدرسة (النورمال) كتب الى ابيه خطابا يقول فيه : « آه لو امكننى، فقط ان اتنسم الآن رائحة الجلود المدبوغة ، لشفيت على الفور من حنينى الى بلدتى ! »

وكان لويس قد انتوى منذ صباه الباكر ان يصير «كيميائيا» ــ فما بين الدباغة والكيمياء الا خطوة قصيرة ! ــ **لكن اهل قرية ((أربوا)) كانوا يتحسرون آسفين على هواية الصبى للكيمياء ، فيقولون لابيه : ((من دواعى الاسف ان يضيع لويس وقته فى هذا العلم العقيم !)) ... لكن ((باستير)) الاب كان مؤمنا بابنه ، فكان يجيبهم فى ثقة ويقين : ((انا واثق اننى استطيع الاعتماد على رايه فى شان مستقبله !))**

ولكن حتى الاب بدأت تساوره الشكوك فى صحة اختيار ابنه لمهنة مستقبله ، حين حصل لويس على دبلوم العلوم بدرجة «متوسط» ــ فقط ! ــ فى الكيمياء ! .. لكن الفتى كتب لابيه يقول : « تذرع يا ابى بالصبر ، وثق بى ... فلسوف اتقدم فى مهنتى بمرور الايام . »

الجوع فى سبيل العلم !

◆ وواصل « باستير » فعلا دراسته لنيل الدكتوراه فى فى الكيمياء .. واضطر فى سبيل تحصيل نفقاتها الى اعطاء دروس خصوصية لبعض التلاميذ فيما بين الساعة الخامسة والسابعة صباحا ! .. كما اضطرته حاجته لمزيد من المال الى الاقلال من كمية طعامه ونفقات لهوه وخشب مدفاته ، الى ادنى حد ممكن ، فكانت تمر به ايام يقاسى فيها آلام الجوع ، وفى هذا يقول : «كان من حسن حظى اننى كنت كثيرا ما اصاب بصداع فى راسى يطغى على آلام معدتى وينسينى مرارة الجوع ! »

التلميذ يصبح استاذا !

◆ وفى خلال تلك الفترة تلقى لويس «وقودا» جديدا لاطماعه هو محاضرات الكيميائى الشهير (ج.ب. دوماس)

فكتب يصفها لابيه بقوله : « انك لن تستطيع تصور الاقبال الذى تلقاه هذه المحاضرات من الجمهور .. فمسيو دوماس ليس كيميائيا فحسب ، بل هو شاعر يعرف كيف يثير خيال وفضول سامعيه ! »

وبفضل « الدفعة » القوية التى استحثه بها علم هذا العالم الكبير كتب باستير رسالتين ـ بدلا من واحدة ـ لنيل درجة الدكتوراه ! .. فلما بلغت انباء حصوله على الدرجة مسامع اسرته فى (اربوا) شملهم الفرح والابتهاج ، واحتفل البيت بنجاح الفتى المغترب . وكتب الاب لابنه يقول : « اننا لا نستطيع تقدير رسالتيك ، لان مداركنا تعجز عن فهمهما ، ولكننا نستطيع تقدير خلقك القويم، فانك لم تمنحنا غير اسباب الرضى الدائم »

ولقد فتح نجاح لويس امامه فعلا ابواب مستقبل جدير بالرضى التام ، بل مستقبل باهر حقا .. فقد عين من فوره مساعدا للبروفيسور (لوران) استاذ الكيمياء بمدرسة (النورمال) التى تلقى بها علومه .. وهكذا صار التلميذ بها استاذا ، فتحقق حلمه الذى كد وسهر من اجله الليالى !

العالم يصير جنديا .. !

◆ .. ولكن فجأة ، ضحى لويس بذلك المركز الكبير الذى بلغه بشق النفس ، فقد نشبت فى فرنسا ثورة ١٨٤٨ فابى عليه حبه لبلاده الا ان يبذل لها « على مذبح الحرية » اكبر تضحية فى مقدوره ، فتبرع لقضية الوطن بمبلغ المائة وخمسين فرنكا الذى كان قد ادخره ، وترك عمله فى الكلية كى يلتحق بالحرس

الوطنى لمدينة (اورليان) مبديا استعداده للتضحية بعد ماله بحيـــاتــه !

العلم يفتدى امامه !

◆ ولكن كان من حسن حظ الانسانية ان لم تتـــح للفتى فرصة الاشتراك فى القتال ، فقد انتهت الثورة قبل ان يجىء دوره فى التجنيد العام ، فعاد الى معمله ودراساته الكيميائية ؛ وبخاصة دراسة نظريات (التبلور) التى انتهت ابحاثه فيها آخر الامر الى عدة كشوف علمية هامة لمركبات ومستحضرات كيميائية كثيرة وصفها باستير بانها : **« اشبه بتشييد ابنية جديدة تخالف الابنية القديمة فى التراكيب كل المخالفة ، وان كانت مادتها جميعا واحدة هى الطوب والاحجار ! »**

على ان تلك المكتشفات التى تواضع باستير فنســـب الفضل فيها الى « محض الصدفة » ـ وان كانت قد كلفتــه شهورا طوالا من البحث الشاق المتواصل ـ سرعان ما بلغت مسامع مسيو (بويى) استاذ الطبيعة بجامعة (السوربون) ، فاعجب بها ، ومن ثم زود باستير بخطاب توصية فتح امامه ابواب جامعة ستراسبورج ، وقد جاء فى الخطاب : « أن مسيو باستير كيميائى نابه .. ولقد تم اخيرا سلسلة بحوث وتجارب تسترعى النظر ؛ وما من شك فى انه لو اعطى الفرصة الملائمة فى احدى جامعات الدرجة الاولى ، لصار له شأن كبير .. الخ »

ساعة لقلبك .. !

◆ وهكذا ، وفى يناير سنة ١٨٤٩ ، تســلم باستير منصبه الجديد كاستاذ للكيمياء بجامعة ستراسبورج ! .. وللحـال بدأ الفتى ابحاثه فى ميدان جديد ، ميدان الحظوة بقلب المرأة !

وكانت الفتاة موضع « ابحاث » باستير تدعى مدموازيل (ماری لوران) ـ ابنة عميد جامعة ستراسبورج ـ التى لم يكد باستير يدخل الجامعة ويراها حتى علق بها ، فكتب الى ابيها خطابا طريفا قال فيه : **«ان ابى دباغ جلود فى (اربوا) ، واخواتى الثلاث يعاونه فى عمله وفى بيته ، مكان امنا التى فجعنا بوفاتها فى مايو الماضى .. واسرتنا ليست غنية وانما متوسطة الحال .. اما عن نفسى فقد اعتزمت منذ زمن ان اتنازل لاخواتى عن نصيبى فى الميراث .. واذن فانا لا املك شيئا من المال . كل ما املكه : صحتى ، وشجاعتى ، ومنصبى ... وانى انوى تكريس حياتى للابحاث الكيميائية التى اعتقد اننى سوف الاقى فيها نجاحا لا باس به ... وبهذه المؤهلات المتواضعة اتقدم طالبا يد ابنتك ! »**

ممانعة ، فالحاح ، فقبول !

◆ وككل اب متعقل ، احال والد الفتاة خطاب باستير الى ابنته ، كى تبدى فيه رايها .. وكان الرأى مخيبا لامل لويس ! .. لكنه كان أحصف من ان يترك التجربة نهائيا لمجرد فشله فيها مرة ، فاعاد الكرة بخطاب آخر وجهه فى هذه المرة الى أم الفتاة قائلا : « **اخشى ان تكون مدموازيل (لوران) قد بنت قرارها على الاثر الذى احدثته فى نفسها رؤيتها اياى لاول مرة ، التى ما كان يمكن ان تؤدى الى غير هذه النتيجة ، فانه ليس فى هيئتى ما يجذب الفتيات . لكن ذاكرتى تقول لى ان جميع الذين عاشرونى مدة كافية .. احبونى ! »**

ولم يكتف الشاب بهذا الخطاب الثانى ، بل دفعته طبيعة العالم المثابر الى ان يردفه بخطاب ثالث ـ الى الفتاة نفسها فى هذه المرة ! ـ جاء فيه : « كل ما أسالك اياه يا آنسة الآ تتسرعى

فى الحكم على ، فقد تخطئين فى حكمك ، ولسوف تظهر لـك الايام ان خلف هذا المظهر البارد الذى رأيتــه ، قلبا يفيض شغفا بك .. »

الزوجة .. ام انبوبة الاختبار ؟

◆ واحدث الالحاح أثره . فربح الفتى المعركة ! .. وحدد للزواج مساء يوم ٢٩ مايو سنة ١٨٤٩ .. ولكن فى اللحظة الاخيرة حدث هرج ومرج .. **فقد وصل المدعوون ، والعروس، وأهلها ، والقسيس ، ولكن العريس لم يظهــر له اثر ! .. فتساءل الناس قلقين : « أين الكيميائى الشاب بربكم ؟ »**

واين يمكن ان يكون ، الا فى معمله ؟ .. وحين هرع اليه صديقه (كابيوس) وجده مكبا على انابيب الاختبار ، لاه عما عداهــا !

ـ أنسيت ايها الاحمق موعد زواجك ؟

ـ كلا ..

ـ اذن فماذا تصنع هنا ؟

ـ أتمم عملى ، ايها الغبى ، أو تنتظر منى ان اترك التجربة قبل نهايتها ؟

الشهرة .. والغيرة .. والحسد !

◆ ولم تأسف (مارى لوران) قط على زواجها من باستير .. وان مرت بها أوقات انبته فيها على استغراقه الزائد فى عمله ، ومعمله .. اما هو فكان يهدىء من ثائرتها بقوله انه سوف يفتح امامها طريق الشهرة والمجد !

وقد كان .. فتح باستير لنفسه ولزوجته طريق الشهرة والمجد .. لكنه فتح معه طريق الآلام والمتاعب ايضا ، اذ لم يكن من الممكن ان تنجو من المتاعب زوجة عالم قد اثار نبوغه حفيظة وغيرة وحقد زملائه العلماء غير الموهوبين .. !

وقد بدات الغيرة والكراهية تحوطانه منذ البداية ، منذ قادته ابحاثه من ميدان الكيمياء إلى ميدان الطب البيولوجى ، فكتب الى صديقه (كابيوس) يقول : **« اننى اطارد بكل قوتى غوامض المشكلة الازلية الرهيبة ، مشكلة الحياة والموت ، وارجو ان اصل بشانها فى القريب العاجل الى كشف حاسم ! »**

ورغم نصيحة اخلص اصدقائه له بالكف عن اضاعة وقته فى موضوع شائك عقيم كهذا ، فانه مضى فى ابحاثه دون ان تثبط نصائحهم همته .. وكان اول ما تصدى له فى مجال بحثه هدم النظريات التى كانت شائعة فى عصره عن امكان انبثاق الحياة فى بعض الكائنات الضئيلة والحشرات من اجسام ميتة تماما .. وقد تشيع للنظرية اثنان من ائمة العلم فى عصره ، هما البروفيسير (بوشيه) والبروفيسير (جولى) ، اللذان راحا يوزعان النشرات المليئة بالقدح فى باستير والطعن فى علمه ، الى حد اتهامه بانه «مهرج ودجال وبهلوان !» .. لكنه كتب الى ابيه يقول : « فليزعم خصومى ما يشاؤون ، اما الحق فهو فى جانبى ! » ..

ثم وطن باستير نفسه على ان يقابل مطاعن حساده بابتسامة ساخرة ، وكان يقول لزوجته : **« ان رجل العلم يجب ان يعبا بما سوف يقال عنه فى الاجيال المقبلة ، وليس بالاهانات والحملات التى توجه اليه اثناء حياته ! »**

واخيرا أحيلت مشكلة «منشأ الحياة فى الـكائنات» الى لجنة من اكبر العلماء لمناقشة حجج الطرفين وتجاربهما ، فانتهت اللجنة الى الاقتناع بصدق نظرية باستير وخـــطأ خصومه ، وقررت ان « الاجسام الحية لا يمكن ان تستمد حياتها الا من اجسام حية ! » ..

غزواته ضد الجراثيم

◆ اما وقد فرغ باستير من معركة « اصل الحياة » ، فقد نقل نضاله الى ميدان جديد ، ميدان « المحافظة على الحياة » ! .. **فان وباء خطيرا غامضا كان قد تفشى فى تلك الفترة فى دود القز بمقاطعة (اليه) ، مما هدد صناعة الحرير فى فرنسا كلها بالخراب ! .. فدعى باستير ـ الذى كانت انتصاراته السابقة قد أهلته لعضوية « الاكاديمية الفرنسية » ـ للقيام بتحقيق علمى للاهتداء الى سبب الوباء واكتشاف طريقة لايقافه ..**

ولكن شهورا مرت دون ان يتمـكن العالم المنتـــدب من النجاح فى مهمته ، فرأى خصومه فى ذلك فرصتهم للنيل منه واستئناف الحملة عليه ، وامتدت عدوى الحملة الى الزراع والفلاحين الذين كانوا يرون ديدانهم تموت كل يوم بالالوف ، فراحوا بدورهم يتساءلون غاضبين : « ماذا يستطيع «كيميائى» ان يفعل فى أمر كهذا ؟ » .. لكن باسنور صمد لهجمات خصومه مكتفيا فى الرد عليهم بكلمته المأثورة « صبرا ! »

فواجع ثلاث !

◆ لكن الاقدار لم تلبث ان احوجته ـ هو لا هم ـ الى ذلك الصبر الذى نادى به ، اذ بينما كان منهمكا فى تجاربه مات احد اولاده ، ثم لحق به الثانى ، فالثالث .. ! .. حتى علق صديق

له على تلك الكوارث المتلاحقة قائلا : « ان مضى باستير فى عمله رغم فواجعه فى ابنائه الثلاثة لهو شيء يحتاج الى نصيب كبير من الشجاعة ! » .. اما باستور فاجاب فى هدوء : « لست اعرف شيئا عما يقال بصدد شجاعتى . كل ما اعرفه هو واجبى ! »

وعكف فعلا على واجبه ثمانية عشر ساعة كل يوم ، من الخامسة صباحا الى الحادية عشر مساء ! .. وكان المجهود اكثر من طاقته فاصيب فجاة بالشلل .. وظل الاطباء اياما يائسين من حياته .. ولكن عقله لم يكف عن نشاطه بينما كان جسمه طريحا ! .. ففى تلك الساعات الصامتة الطويلة ، ساعات مرضه ، اهتدى عقله الى سر الوباء الغامض : وهو ان عدوى المرض تسرى الى الديدان عن طريق بويضات الديدان المريضة ، جيلا بعد جيل ، فلو ابيدت البويضات الموبوءة لانقرض الوباء فى خلال ايام ! ..

لكن تجار بذور ديدان القز رأوا فى تلك الابادة خطرا يهدد تجارتهم ، فشنوا على باستير حملة شعواء من المطاعن والشائعات ، نشرت فى كل مكان انباء مكذوبة تزعم ان باستير قد فشل فى مهمته وغادر البلدة مشيعا بوابل من الطوب والاحجار ! .. فلما بلغته هذه الاقاويل اكتفى بان هز كتفيه فى غير احتفال وهو يكرر كلمته المأثورة : « صبرا ! »

وكوفىء العالم على صبره الطويل ، فقد جرب الزراع علاجه فأدى الى نتائج باهرة ، حتى لقد اقاموا تمثالا له فى بلدتهم عرفانا بجميله ! .. اما عزاؤه هو عن مجهوده وتضحياته الشخصية فقد وصفه بانه : « ذلك الشرف الكبير ، شرف التضحية بالمصلحة الذاتية فى سبيل القضاء على كارثة كانت تهدد وطنى .. »

اكتشاف نظرية التعقيم

◆ وكانت تضحيات العالم المجد قد تركت آثارها فى تجاعيد وجهه الشاحب وعينيه المتعبتين . . ورغم الخدمة الحيوية التى اداها لمواطنيه ولجمهور المشتغلين بتربية الديدان وصناعة الحرير ، فانهم لم يكافئوه المكافأة المادية اللائقة ! . . **فلما حظى بمقابلة الامبراطور نابوليون الثالث والامبراطورة اوجينى ابديا له دهشتهما من عجزه عن الافادة من عمله ماليا وماديا فائدة تناسب النتائج التى احرزها ، فكان جوابه « ان العالم يفقد منزلته اذا جعل رائده المصلحة الذاتية »**

◆ وفى تلك الاثناء نشأت فى افق كفاح باستير مهمة اخرى خطيرة ، هى الاهتداء الى سبب وعلاج لفساد وحموضة النبيذ الذى تصدره فرنسا الى انحاء العالم ، الامر الذى كلف المصدرين خسارة ملايين من الجنيهات فى السنة الوحدة ! . . فانتهت ابحاث باستير « رجل الساعة » الى ان سبب ذلك الفساد والحموضة هو تكون (بكتريا) فى السائل المخمر . . ولكن بقى اكتشاف علاج لتلك (البكتريا) يبيدها دون ان يسبب تلفا للنبيذ او يغض من جودته . . فجرب باستير اضافة مواد مطهرة مختلفة للسائل ذاته، ولكن التجربة لم تفض الى نتيجة . . **واخيرا اهتدى الى الكشف الخالد الذى يتبع حتى الان فى تعقيم الخمور والالبان ومنتجاتها ، والذى سمى باسم مكتشفه** (Pasteurization) . **وطريقته هى تسخين السائل المراد تعقيمه الى درجة « ٥٥ » سنتجراد او «١٣١» فرنهايت ،** وهى الدرجة التى تموت فيها جراثيم البكتريا دون ان تضار خواص السائل ذاتها بأى سوء . . !

نداء الوطن مرة اخرى

◆ وبينما كان باستير يتأهب لمواصلة ابحاثه ومساعيه فى سبيل تحقيق هدف حياته الأسمى وهو « خدمة الانسانية بتحسين صحة الانسان، واطالة حياته قدر الامكان ، وتخفيف آلامه » . . شاءت مطامع قيصر المانيا غليوم الاول ومستشاره الدموى «بسمارك» ان تشهر المانيا حربا عدوانية على جارتها فرنسا . . . فلم يكد الجيش البروسى يتوغل فى الارض الفرنسية حتى وضع باستور نفسه تحت تصرف جيش بلاده ، ولكن اصابته بالشلل حالت دون قبول اشتراكه فى القتال ، فعن له ان يعبر عن احتقاره لالمانيا بطريقة ما ، **وكانت جامعة (بون) الالمانية قد منحته الدكتوراه الفخرية فى «الطب» . . فما كان من العالم الساخط الا ان رد الشهادة الفخرية الى الجامعة واردفها بخطاب قال فيه : « يدفعنى ضميرى الى ان اطلب منكم محو اسمى من سجلات جامعتكم واسترداد شهادتكم ، اظهارا منى لاحتقار عالم فرنسى متواضع (يقصد نفسه) لبربرية وانانية قيصركم الذى تدفعه مطامعه الاجرامية الى سفك دماء شعبين عظيمين بلا مبرر ! »**

. . فجاءه من الجامعة الالمانية الرد التالى : « يسر الموقع على هذا ـ عميد كلية الطب بجامعة بون ـ ان يرد التحدى الذى جرؤتم فوجهتموه الى الشعب الالمانى فى شخص امبراطوره المقدس غليوم ملك بروسيا . . بان يعرب لكم عن احتقاره البالغ لكم ـ ملحوظة : ورغبة فى حفظ ملفات الجامعة طاهرة من كل دنس تعيد الكلية اليكم خطابكم بالتالى » . . !

هل من فجيعة رابعة ؟

◆ وجاءت الانباء تحمل الى الفرنسيين عامة ، نذير هزيمة وارتداد الجيش الفرنسي الذى يقوده الجنرال (بورباكى) امام جحافل الالمان الزاحفة .. وكان هذا النذير العام يحمل فى طياته الى باستير نذيرا خاصا ، فان ابنه الرابع ـ الذى نجا من قبل من الموت الذى اختطف اخوته الثلاثة ـ كان من بين جنود ذلك الجيش المدحور !... **فلم يجد الاب والام المنكوبين بدا من استئجار عربة والرحيل بها الى المناطق القريبة من ميدان القتال ، بحثا عن فلذة كبديهما ، آملين ان يجداه بين الاحياء ! .. وتابعت العربة سيرها فى الطريق الذى تغمره الثلوج ، والذى عبره الجيش المتقهقر ، مارة بين اشلاء القتلى والجرحى والمعذبين الذين يئنون الما وجوعا وبردا .. وفى كل مكان كان الاب القلق يسال الجرحى فى جزع بالغ : ((هل رأيتم الملازم باستير ؟)) .. لكن الجواب كان دائما هزة من الراس ،علامة النفى ! .. وكان اقصى ما استطاع معرفته من لسان احدهم : ((ان فرقته المكونة من الف ومئتى رجل لم يبق منها غير ثلاثمائة رجل من الاحياء !))**

◆ وهكذا اخذ امل الوالدين يخبو ويتبدد تدريجيا .. ولكن اخيرا لاحت لهما بارقة امل ، كانت عربتهما المحطمة قد بلغت اقليم (بونتارلييه) ، وهناك وجدا جماعة من الجرحى ملتفين حول نار اشعلوها للتدفئة ، فقال لهما احدهم انه قد راى ابنهما بالامس ، « وكان ما يزال حيا ! » .. ولم يكد يرشدهما الى الطريق الذى يرجح انه سلكه حتى الهبا ظهر الجواد بالسياط ، مندفعين فوق الارض المغطاة بالجليد صوب قرية (شافوا) .. وفى الطريق ، وعلى كومة من القش لمحا رجلا ممددا فى اعياء وقد غطى جسمه بسترة مهلهلة .. وكان الظلام

قد بدأ يخيم على الكون ، فاعياهما ان يتبينا ملامح الرجل .. فقال باستير الاب واجف القلب متسائلا : « هل رايت يا سيدى الملازم باستير ؟ » .. فرفع الجندى راسه هاتفا : « ابى ! .. امـــى ! »

وشفى الابن بعد ايام من جراحه .. وعاد الى فرقتــه بالجيش ، حيث ظل يقاتل حتى انتهت الحرب .. وخرج منها سليما ، اشبه ما يكون « بدرهم » عزاء فى حياة ابيه المليئة بالآلام ، والتى توزن فيها المباهج بالدراهم !

اكتشاف نظرية الجرثومة

◆ استأنف باستير بعد الحرب نشاطه العلمى فى محاربة المرض والوباء . وكانت ابحاثه الخاصة بوباء دود القز و (بكتريا) النبيذ قد هدته الى حقيقة ثابتة هامة ، هى ان المرض فى الحالين كان منشؤه وجود كائنات حية سامة ضئيلة هى (الجراثيم) ! .. فماذا يمنع من تجربة اثر هذه الجراثيم فى امراض البشر ؟

وهكذا عكف باستير على تجربتها فى ميدان الجراحة .. **وكانت نسبة الوفيات عقب العمليات الجراحية كبيرة الى درجة مخيفة ، حتى صار اعتزام اجراء عملية جراحيــة للشخص بمثابة حكم باعدامه ! .. فلما طبق باستير نظرية الجراثيم التى اكتشفها فى ابحاثه السابقة على بحثه الجديد خرج بنتيجة مثيرة شرحها فى اجتماع اكاديمية الطب بقوله : « ان الجـــرح المفتوح معرض للايين الجراثيم ، التى توجد فى الهواء ، ويد الجراح ، واسفنجة غسل الجرح ، واسلحة ومباضع الجراحة ، واللفائف التى يربط بها الجرح .. وغير ذلك .. »**

.. فلم يكد اعضاء الاكاديمية يسمعون هذا القول العجيب حتى ابتسموا وهم يهزون رؤوسهم ساخرين .. ثم تابعوا

بعد ذلك عملياتهم الجراحية لمرضاهم بطريقتهم القديمة ، مودين بحياة المئات منهم بل الالوف ! .. ولم يقتنع بنظرية باستير من الاطباء غير طبيب اسكتلندى يدعى (جوزيف ليستر) كان استاذا للجراحة فى جامعة (ادنبره) .. فقد عمد الى تطهير ادوات الجراحة وعصائب الجروح بمحلول حامض الكربوليك ، فاحرز بذلك نتائج باهرة ، وانخفضت نسبة وفيات مرضاه من تسعين فى المائة الى خمسة عشر فى المائة ! .. ورغم ذلك ظل جراحو الاكاديمية الفرنسية على عنادهم البغيض ، يحاربون طريقة ونظرية باستير بكل قواهم ، ويقتلون الوف المرضى بلا رحمة ..!

القضاء على حمى النفاس

◆ وفى وجه جميع تلك العراقيل والمثبطات ، تابع باستير كفاحه بلا هوادة ، قائلا لاصدقائه : « لسوف ارغم خصومى على ان يروا صدق نظريتى رغم انوفهم .. يجب ان يروا ويقتنعوا ! »

وذات يوم ، بينما كان احد اساتذة الاكاديمية يلقى محاضرة طبية عن «حمى النفاس» ـ التى كانت قد قضت فى سنة ١٨٦٤ على اكثر من ثلاثمائة والدة فى مستشفى باريس للولادة وحده ! ـ انتقل المحاضر الى شرح ارائه حول سبب تلك الحمى .. واذا بصوت يرتفع من بين الصفوف صائحا فى جرأة : « هراء .. محض هراء ! .. ان المسؤول الاول عن تفشى وفيات حمى النفاس هو انتم معشر الاطباء والمولدات . انتم الذين تنقلون جرثومة المرض من جسم المريضة الى جسم السليمة .. ! »



وعندئذ اجابه المحاضر ساخرا : « وهل تستطيع ان تدلنى على (هيئة) جرثومتك التى تزعم وجودها ؟ » .. فنهض باستير من مكانه على الفور وتقدم نحو (السبورة) ثم تناول قطعة من الطباشير واخذ يرسم بسرعة شكلا أشبه بالسلسلة ، ثم قال : « هاك رسم الجرثومة يا سيدى ! »

واستحالت المحاضرة الى هرج ومرج ، فقد انبرى الاطباء القدامى لباستير يسفهون آراءه وينعتونه باقسى النعوت ، بينما انحاز طلبة الطب وصغار الاطباء الى صفه ..

وكانت تلك « المعركة » بداية فجر جديد فى عالم الولادة ، اذ لم تكد تعم نظرية باستير فى التعقيم والتطهير حتى كفت مستشفيات الولادة فى باريس عن ان تكون « مقابر للوالدات » !

اكتشاف نظرية التلقيح بالامصال

◆ وحفز الانتصار باستير على مواصلة كفاحه الشاق فى خدمة البشرية .. فانبرى لخصومه يفند مزاعمهم ويخطىء آراءهم العتيقة .. وخلال الفترة التالية من مراحل كفاحه توصل الى اكتشاف نظرية طبية خطيرة لا تقل اهمية ونفعا عن نظرية الجرثومة ، تلك هى نظرية حقن الجسم بكمية مخففة ـ عاجزة عن الايذاء ـ من جراثيم المرض المعين ، لاعطاء الجسم مناعة ضد ذلك المرض فى صورته العنيفة .. وهى نظرية «المصل» التى اصبحت اليوم من بديهيات الطب وعوامل انقاذ ملايين الارواح ..

مصل داء الكلب

◆ ثم جاءت أحفل مراحل حياة باستير بالكفاح : مرحلة عراكه الجبار ضد داء الكلب ، الذى كانت الكلاب المسعورة تنشره بين الناس على صورة مخيفة ! .. وقد استغرقت تلك المعركة من باستير سنوات كاملة ، عكف فيها على تجارب تلقيح الارانب بلعاب الكلاب المسعورة ، بتعريض الارانب للعقر من جانب الكلاب مباشرة .. ولكن حدث اثناء تلك التجارب ان كلبا مصابا من نوع (البولدج) ابى رغم قسوة آلامه وتساقط الزبد واللعاب من فمه ان يعقر الارنب الذى ادخل الى قفصه ! .. فلم يكن بد من استخلاص اللعاب من بين فكى الكلب ثم حقن الارنب به ! .. وهكذا قيد الكلب فوق احدى موائد المعمل ــ **وهنا حانت أروع واحسم لحظة فى حياة « البطل » باستير ! .. فقد تناول انبوبة زجاجية مفتوحة من كلا طرفيها ، فوضع طرفها فى فمه ثم انحنى بطرفها الاخر على فم الكلب المسعور ، واخذ يمتص لعابه المميت بواسطة الانبوبة ، محاذرا ان يبلغ اللعاب فمه هو ! .. ولكن دون ان يفقد هدوءه، بل دون ان يبدو عليه انه «يغازل» الموت اخطر المغازلة ! ..** حتى جمع من اللعاب الكمية الكافية ، وعندئذ رفع الانبوبة من فمه والتفت الى مساعديه قائلا وهو يبتسم : « والآن يا اصدقائى ، فلنتابع التجربة ! »

تجربة المصل فى الانسان

◆ وبعد اشهر من تلك التجربة عقر كلب مسعور صبيا يدعى (جوزيف ميستر) فاخذته أمه الى باستير .. فحانت له بذلك فرصة تجربة مصله فى الانسان لاول مرة ، بعد ان اثبتت التجارب نجاحه فى الارانب . ولكن باستير تردد واجفا : **من ادراه ان كمية الجراثيم التى سيدخلها فى جسم الطفل المصاب**



لن تزيد اصابته خطورة وعنفا ؟!.. وباى حق يخاطر بحياة انسان اخر على هذه الصورة .... ؟

واخيرا تغلب على تردده واجرى التجربة ! .. ونجحت التجربة .. فانقضت الواحد والثلاثون يوما دون ان تظهر على المصاب اية اعراض لعودة المرض .. وهكذا شفى الصبى !

وبذلك انتصر باستير على داء الكلب !

ايام المجد والتكريم !

◆ كانت السنوات التالية لذلك من حياة باستير حافلة باروع صور التكريم والتمجيد ، فقد انهالت عليه الاوسمة ، والمداليات ، والدبلومات ، وحفلات التكريم .. ومنح وسام الليجون دونور .. وانتخب عضوا فى الاكاديمية التى طالما حاربه اعضاؤها ! .. **ورغم ذلك فقد ظل كما كان فى بداية حياته متواضعا شديد الحياء ، لا يفكر الا فى السعى وراء الكشوف الطبية** . ومن طريف ما حدث له فى هذا الشأن انه بعد ان انتخبته الحكومة الفرنسية كى يمثلها فى المؤتمر الطبى الدولى بلندن ، دخل قاعة المؤتمر (قاعة سان جيمس الكبرى) وسط عاصفة من التصفيق الذى لم يدر بخلده انه هو المقصود به ، فالتفت الى من بجواره قائلا : « يظهر ان البرنس اوف ويلز قد وصل .. ليتنى وصلت قبل ذلك ! »

◆ ثم عاد الى باريس ، الى مواصلة تجاربه فى **معهد** «باستير» الذى انشىء باسمه تخليدا لذكراه .. وحين بلغ السبعين من

عمره جعلت الحكومة يوم عيد ميلاده عطلة رسمية ، واقيمت له حفلة تكريم كبرى فى « السوربون » . وعندما وقف ليلقى كلمة شكر للمحتفلين به ـ القادمين من مختلف اقطار العالم ! ـ كان بادى الضعف والهزال ، فكلف ابنه ان يتلو كلمة الشكر نيابة عنه ، وقد جاء فيها : « **سادتى .. انكم لتسعدوننى بهذا الحفل سعادة لا توصف ، وتغمروننى باروع شعور يمكن ان يحسه رجل يؤمن ايمانا لا يتزعزع بان العلم والسلام سوف ينتصران على الجهل والحرب ! .. فلا تسمحوا لســـاعات الضعف والاسى التى تنتاب الشعوب ان تثبط عزائمكم .. وآمنوا ان الشعوب ستتعلم كيف تتحد ، لا من اجل التدمير ، بل من اجل التعمير .. وان المستقبل ليس للغزاة الفاتحين ، بل لمحبى لانسانية ومنقذى بنى البشر ! »**

◆ وكانت رسالة الوداع من باستير .. الى البشرية ! .. ولكن ، ترى هل بلغت الرسالة مسامع البشرية ورسخت فى وعيها ؟ .. ام نسيتها قبل ان تتحلل عظام صاحبها فى قبره .. ؟

أترك لتاريخ الحربين العالميتين الماضيتين .. ان يتولى الجـــــواب !

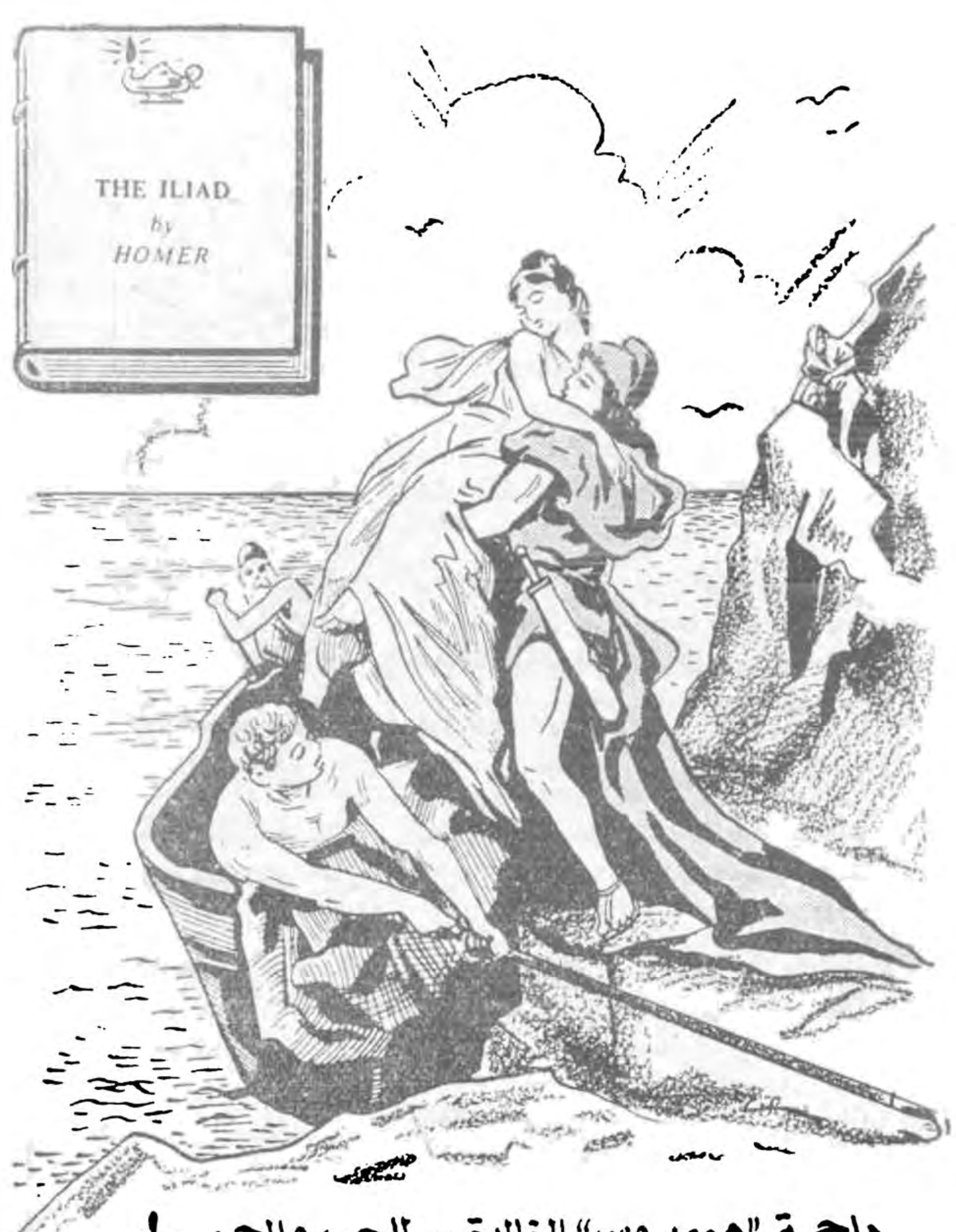
كتب الأولون



كنوز الكتب القديمة

عزيزى القارىء ...

((استخرجت)) لك فى كتابى الاول من كنوز الكتب القديمة كتاب ((ديكاميرون)) او (الف ليلة وليلة الايطاليه) لبوكاشيو .. وفى كتابى الثانى ((دون كيشوت)) لسرفانتس .. واليوم انتقل بك من ايطاليا واسبانيا الى ((اثينا)) القديمة، فاستخرج لك ((الياذة)) هوميروس الخالدة . وفى الاعداد القادمة اعتزم ان اقدم لك بعون الله من هذه الكنوز القديمة : الكوميديا الالهية (لدانتى) ، والاوديسة (لهوميروس)، العقد الاجتماعى و ((اميل)) (لجان جاك روسو) ، الامير (لمكيافيللى) ، اصل الانواع (لداروين) ، السياسه (لارسطو) ، الجمهورية (لافلاطون) ، يوتوبيا او الدولة المثالية (لتوماس مور) ، الفردوس المفقود (لملتون) ، التاريخ (لهيرودوت) راس المال (لكارل ماركس) انحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية (لجيبون) ، هكذا تكلم زرادشت (نيتشة) ، الشخصيات (لباونارك) ، الاخلاق (اسنيكا) ، التربية (لهربرت سبنسر) ، كتاب الموتى (من تراث مصر القديمة) ، رباعيات عمر الخيام .. ولن اغفل تراث العرب الخالد ومنه : رسالة الغفران لابى العلاء المعرى ، الحيوان والبخلاء للجاحظ ، اسطورة حى بن يقظان لابن طفيل ، طوق الحمامة لابن حزم الاندلسى، تزيين الاسواق لداود بن عمر الانطاكى ، الصادح والباغم لابن الهبارية (على طريقة كليلة ودمنة) .. الخ .



ملحمة "هوميروس" الخالدة .. للحب والحرب !

الإليـــاذة

قصة الكتاب .. ومؤلف الكتاب

لكى تتذوق قصة « الالياذة » الخالدة ، كما احب لك ان تتـذوقها ، ينبغى ان امهد لك اولا الطريق الوعر الى اغوار هذه الملحـمة الاغريقية الشعرية الرائعة التى تتغنى بها الانسانية منذ اجيال الاجيال ، والتى ترنم بها اليونان كما ترنم اليهود بمزامير داود ! .. وكادوا يقدسونها كما قدس هؤلاء «التوراة» ، فلقنوها لصغارهم .. وحفظها كبارهم عن ظهر قلب !

والواقع ان هذه «الاعجوبة» التى ترجع الى تسعين جيلا ، ما تزال تحتفظ بكل روعتها وجدتها ، بل وخلودها الذى هو خلود الفن الصادق الاصيل .. وهى اليوم تبهر الاذهان بمثل السناءوالتألق اللذين بهرت بهما الاسماع لاول مرة يوم تغنى بها المنشدون فى مآدب امراء اثينا الاقدمين !

ولنقرأ وصف «افلاطون» للاثر الذى كان يحدثه ترنيمها فى المآدب والمحافل يومئذ : «كان المنشدون حين يتغنون بها يرتجفون نشوة ، وتجيش نفوسهم طربا ، لمجرد سماعهم صدى موسيقى الابيات التى يرددونها ! »

تتداولها « الذاكرة » خمسة قرون !

◆ وقد ظلت « الالياذة » غير مكتوبة او مسجلة الا فى «ذاكرة» اولئـك المنشدين نحوا من خمسة قرون ـ او على وجه التحديد منذ نظمها الشاعر الضرير «هوميروس» فى القرن العاشر قبل الميلاد ، حتى سجلتها البعثة التى الفها « بيزيستراتوس » ، فى القرن الخامس قبل الميلاد ، خصيصاً لهذا الغرض .. وقد تقصت ابياتها من مختلف حفاظها ومنشديها وحققتها تحقيقا دقيقا ثم سجلتها فى صورتها الرسمية الراهنة التى يعرفها بها العالم الحديث ، وانشدتها على الملأ فى احتفال وطنى كبير ..

حياة مؤلفها أسطورة

◆والى ما قبل القرن الثامن عشر كان المجمع عليه ان ناظم « الالياذة » منشد ضرير من شعراء الاغريق يدعى هومـيروس ، عاش فى فترة اختلف المؤرخون فى تحديدها فتارجحت رواياتهم بصدد ذلك بين عام ١٢٠٠ وعام ٨٥٠ قبل الميلاد .. وكما اختلفوا بشان تحديد العصر الذى عاش فيه هوميروس اختلفوا بشأن تحديد موطنه ومسقط رأسه .. فقال البعض انه مدينة من مدن آسيا الصغرى .. وقال آخرون انه جزيرة من جزر بحر ايجه ! ..



وقد بلغ من تنافس مختلف المـدن والجزر على الاستئثار بفخر انـجاب «هوميروس» ان سبعا منها قد تنازعت فيما بينها هذا الشرف ! .. وما يزال اللغز قائما بغير حل الى اليوم !

◆ ولكن فى ختام القرن الثامن عشر نادى بعض الباحثين بنظرية جديـدة مؤداها ان هومـيروس ليـس سـوى «اسطورة» لم يـكن لها فى الحقيقـة وجود ! .. او ـ ان كان لها وجود ـ لم تكن لها غير اهمية ضئيلة تافهـة .. وينسب اصحاب هذه النظرية ملحمة الالياذة ، لا الى هوميروس ، او اى شاعر بعينه ، وانما الى مجموعة من الشعراء المجهولين الذين كانوا ينظمون القصائد الحماسية للعامة اثناء حصار اليونانيين لمدينة «طروادة» خلال الحرب القديمة المشهورة بهذا الاسم .. !

على ان أكثر الباحثين المحدثين ينبذون هذه النظرية ، جازمـين بان الالياذة من خلق ذهن واحد .. استنادا الى الوحدة الملحوظة فى بنائها الفنى ، وطابعها ، وسياقها .. !

◆ والخلاصة .. انه برغم ان اسم «هوميروس» بات من اشهر الاسماء فى تاريخ الاداب العالمية قاطبة ، فان العالم لا يكاد يعرف عنه حتى اليوم سوى النزر اليسير ، بل لايكاد يقطع بما اذا كان رجلا واحدا ام مجموعة مـن الرجال ! .. كل ما نخرج به من الروايات التقليدية المتداولة عنه ـ والتى تفتقر الى دليل اكيد ـ انه كان شاعرا ضريرا ، فقيرا ، مسنا ، يجول من بلد الى بلد منشدا اشعاره ، كلما وجد مستمعا يدفع الثمن .. !

ملحمة الحب والحرب !

◆ ومهما يكن من شىء ، فالمتفق عليه ان « الالياذة » كانت ، وما تزال ـ وستظل ابد الدهر ! ـ صرحا ضخما من صروح الادب الانسانى ، ومرجعا فريدا من مراجع المعرفة ، واساسا راسخا من اسس الاخلاق ، وديوانا خالدا

من دواوين الحماسة والبطولة ، كان له على التربية .. والادب .. والثقافة ـ الاغريقية والعالمية ـ ابلغ الآثار واعظمها على مر الاجيال !

((والالياذة)) مدينة بخلودها الى قوة موضوعها ، و((حرارة)) ابياتها ، وسلاسة اسلوبها ، البسيط ، الوقور ، الرائع ! .. واخيرا الى تصويرها الناطق الحى لنفسيات الاغريق ـ رجالا ونساء ـ فى ذلك العصر من عصورهم الحافل بصور بطولتهم النادرة ، فى الحرب .. وفى الحب !

وتتألف ((الالياذة)) من خمسة عشر الفا وخمسمائة من ابيات الشعر .. وهى تصور حوادث واحد وخمسين يوما من ايام السنة العاشرة والاخيرة من حصار الاغريق لطروادة .. ومن ثم فانت لكى تقراها وتستمتع بها على الوجه الاكمل ، لابد أن تعرف أولا قصة حرب طرواده .. والغرام العارم الذى كان السبب المباشر لاشتعالها .. والابطال الذين اكتووا بنارها .. سواء من البشر ، أو الآلهة !

ذلك أن ابطال الالياذة خليط من البشر والآلهة .. فمن ابطالها البشريين: باريس ، وهكتور ، ابنى ملك طروادة .. وعدوهما منيلاوس ملك اسبرطة ، وشقيقه اجاممنون قائد جيشه .. اما ابطال الملحمة من الآلهة فمنهم : ((زيوس)) كبير الآلهة ـ ويطلق عليه الرومان جوبيتر ـ وابنته ((أتينا)) آلهة الفكر ـ ويطلق عليها الرومان ((منيرفا)) .. ثم أخيل ـ او (اشيل) ابرز ابطال جيش اجاممنون .. وهيلين ، زوجة ملك اسبرطة الفاتنة ، التى نشبت بسببها الحرب مع طروادة ! .. الخ

فدعنى أقص عليك طرفا من اساطير هؤلاء الابطال ، ومغامراتهم الشائقة فى الحب والحرب .. قبل ان أقدمهم اليك فى قصتهم الكبرى الالياذة ، كى يتهيأ لك الجو المناسب لفهم هذه الملحمة على اكمل وجه ..

يغار من ابنــــه

◆ كانت ((لاله البحر)) ابنة من الحور تدعى ((تيتيس)) ، وقعت عليها عين ((جوبيتر)) كبير الآلهة ، فاعجبته .. لكنه علم من ((الاقدار)) ان الحورية سوف تلد ابنا يصير اعظم من أبيه .. فابى ان يكون هو ذلك الاب ! .. ومن ثم قرر ان لا يضيفها الى قائمة عشيقاته العديدات ، بل يزوجها الى ملك بلد مجاور .. ولكى يضفى على الزواج رونقا وبهاء ،رأى ان يحضر بنفسه حفلة العرس ، مصحوبا بزوجته ((هيرا)) ـ آلهة الزواج ـ وغيرهما من آلهة جبل الاوليمب ...

التفـاحة .. دائما !

◆ وكان اله البحر ـ والد العروس ـ قد تعمد ان يغفل دعـــوة آلهة «الشقاق» الكريهة الى عرس ابنته ، لكن اللعينة ذهبت الى ذلك الحفل متطفلة ، وهناك القت وسط المدعوين الصاخبين «تفاحة» كتبت عليها هذا الاهداء الماكر : الى «الاجمل» الحاضرات ! .. فتنازعت عليها ثلاث منهن : هيرا ، الهة الزواج ، وابنتها «اتينا» آلهة الفكر ، ثم «افروديت» آلهة الحب .. كل تزعم انها احق بها من سواها ! .. وتشيع لكل آلهة من الثلاث فريق من انصارها والمعجبين بها ، حتى كاد العرس يتحول الى ميدان قتال ! .. لولا ان استقر رأى الحاضرين على ان يحتكموا فى النزاع الى راع وسـيم الطلعة يدعى « باريس » ، يرعى قطيع ماشيته على سفح جبل « ايدا » القريب ..

معشوق النساء !

◆ ورغم ان الراعى الشاب «باريس» كان يكسب عيشه من هذه الحرفة المتواضعة ، فانه كان سليل ملكين من اعظم ملوك ذلك الزمان : هما «بريام» ملك طروادة ، و «هيكوبا» ملكتها ! .. وكان عراف قد تنبأ له فى طفولته بانه سوف يجلب الخراب والكوارث على وطنه ، فآثر والداه ان يضحيا به فى سبيل طروادة ، فتركاه على سفح تل ليموت .. لكن الاقدار هيات له راعيا فقيرا عثر عليه فانقذه ، وتبناه ! .. وشب «باريس» فاتن الطلعة رائع الجمال ، الى حد اوقع جميع الحوريات والراعيات فى هواه .. اما هو فوقع فى هوى حورية تدعى «اوينون» ، وعاش الاثنان فى سفوح جبل ايدا حياة مترعة بالسعادة ..

الفتنة تسعى اليه !

◆ وذات يوم .. جاءته الالهات الثلاث المتنازعات على التفاحة : افروديت، وهيرا ، واتينا .. فالقين بالتفاحة الذهبية بين يديه ، وسألنه ان يحكم بينهن بالعدل ، فيمنحها لمن يراها احقهن بها !

ثم شرعت كل واحدة تحاول ان ترشوه ـ بغير استحياء ـ كى ينحاز الى صفها .. فوعدته «هيرا» بالسلطان والثراء .. ومنته «أتينا» بالشهرة والمجد الحربى .. اما «افروديت» فقد عرضت عليه ان تزوجه من اجمل نساء الارض !

وراقت له الامنية الاخيرة اكثر من سابقيتها ، فمنح تفاحة ((الجمال)) الذهبية لآلهة الحب !

ولم تمض ايام حتى هجر ((باريس)) زوجته .. وماشيته .. وابحر فى ركاب افروديت .. الى شواطىء اليونان !

أجمل نساء الارض !

◆ فى تلك الايام كان لملك ((اسبرطة)) زوجة تدعى ((ليدا)) ، راقت فى عينى كبير الالهة ((جوبيتر)) ، فانجبت منه طفلا وطفلة من الآلهة ، بعد ان انجبت من زوجها طفلا وطفلة من البشر .. فلما كبر الاربعة زوجت الطفلة ((البشرية)) من (اجا ممنون) ملك ((مسينيا)) فجلبت عليه الكوارث ـ كما سنرى ... اما الطفلة ((الالهية)) ـ وكانت تدعى ((هيلين)) ـ فقد خطبها شقيقه ((مينيلاوس)) فظفر بها وصار وريثا لعرش اسبرطة فى آن واحد !

وكان ملك اسبرطة الشيخ قد ادرك بفطنته ، ان زوج هيلين ـ التى كانت تعتبر اجمل نساء الارض قاطبة ! ـ لابد ان يتعرض بسبب جمالها لكثير من الاخطار والاحقاد .. فاقترح على جميع خاطبى ود هيلين ـ قبل ان يزوجها من احدهم ـ ان يقسم كل منهم قسما لا حنث فيه على ان يرضخ لحكمه فلا يحاول التعرض لها فيما لو صارت من نصيب سواه ، بل وان يخف لمساعدة الزوج الذى يظفر بها على استردادها ، فيما لو خطفها عاشق حسود .. !

وسنرى ان ذلك القسم كان السبب فى نشوب حرب طروادة ! ..

أفروديت تفى بوعدها !



◆ وتم زواج هيلين من ((مينيلاوس)) ، الذى صار الان ملكا لاسبرطة ، وعاش الزوجان اعواما سعيدين .. وذات يوم نزل ضيفا عليهما فى قصرهما امير شاب من امراء طروادة .. ولم يكن الامير سوى الراعى الوسيم ((باريس)) الذى منح افروديت تفاحة ((الجمال)) الذهبية فوعدته بان تمنحه بدورها اجمل نساء الارض . وتنفيذا لوعدها نصحته بان يعود الى قصر ابيه ملك طرواده فيعرفه بنفسه ويحصل منه على السفن اللازمة كى يقوم برحلة

بحرية الى بلاد اليونان ، حيث تقيم هيلين «اجمل نساء الارض» !.. فقد كان من سوء المصادفة ان الفاتنة التى وعدته بها افروديت كانت زوجة لسواه !.. لكن عقبة «تافهة» كهذه ما كانت لتعوق آلهة عن الوفاء بوعد قطعته على نفسها ! .. وهكذا ، بتاثير تحريض ربة الحب والجمال ، انتهز الشاب « باريس » فرصة غياب مضيفه مينيلاوس عن القصر .. فاختطف زوجته «هيلين» وفر بها الى طروادة !

وكانت خيانة وضيعة من جانب الضيف ، فان مضيفه كان قد استقبله بكل مظاهر الترحيب اللائق بالامير الشاب ، واكرم وفادته كاعظم ما يكون الاكرام ! .. فلما عاد من غيبته فوقف على نبأ فرار زوجته مع ضيفهما ، بادر فارسل رسله على عجل الى جميع طالبى يد «هيلين» السابقين ، مذكرا اياهم بقسمهم القديم على نجدته فى مثل هذا الظرف بالذات .. !

وهرع الجميع من فورهم اليه .. ودعى رؤساء العشائر لابداء رايهم فى الموقف الحربى الذى قد يتطور اليه النزاع .. فوقع اختيار المجتمعين على «اجاممنون» ــ زوج شقيقة هيلين ، وشقيق زوجها ــ كى يكون قائدا لهم فى عراكهم المقبل .. وبفضل دهاء احد الحاضرين ــ وهو «اوديسيوس» ملك احد الاقاليم المجاورة ــ ضم الى صفوفهم البطل الصنديد «اشيل» ابن الحورية «تيتيس» ، (التى حضرنا زفافها فى بداية القصة) .. وهو الذى كانت الاقدار قد تنبات له بانه سوف يصير اعظم من ابيه !

« أشيل » ونبوءة الآلهة !

◆ ويقترن اسم «أشيل» فى ادب القدماء ــ الاغريق والرومان ــ باكثر من اسطورة ، ويتوج باكثر من هالة من هالات المجد ، حتى ليعتبر من اعظم ابطال القصص الخياليين ، واحبهم الى الاذهان ..

وتقول تلك الاساطير ان «الاقدار» حين حضرت زفاف ابويه تنبات لهما بأن ابنهما الذى سيرزقان به سوف يحارب مملكة طروادة ، فيتساقط ابناؤها تحت ضربات سلاحه الفاتك البتار كما تتساقط سنابل الحنطة تحت ضربات منجل الحصاد ! .. وان حصون المدينة سوف تتداعى اخيرا امام هجماته ، فيدخلها دخول الفاتحين ، لكنه سيفقد حياته اخر الامر عند اسوارها !

ورسخت هذه النبوءة المفجعة فى ذهن الحورية العروس «تيتيس» ، فلما رزقت بابنها «أشيل» جعلت همها الاوحد ان تحميه بكل وسيلة من عدوان الاقدار ، وتكفل له الخلود على قيد الحياة .. فلما شب عن الطوق حملته

الى نهر «ستيكس» المقدس ، الذى يكسب ماؤه كل جسم يبلله مناعة ابدية ضد الموت ! .. وهناك امسكت بالصبى من عقب ـ كعب ـ قدمه والقت به تحت الماء .. فاكتسب جسمه تلك المناعة ضد جميع قوى الفناء ، ولم يبق للموت منفذ اليه الا عن طريق عقب قدمه الذى لم يبلله ماء النهر !

امرأة .. تعاند الاقدار !

◆ وحين ترعرع الغلام تولى احد العمالقة تدريبه على القتال ، وصار يغذيه بنخاع اقوى الاسود المفترسة ! .. لكن ذلك كله لم يطامن من مخاوف الام ، التى ما فتىء يقض مضجعها القلق على ابنها الحبيب من مخاطر حرب طروادة ، العتيدة ان تنشب يوما فتقضى على حياته ! .. وبتاثير هذا القلق البسته أمه ثياب النساء والحقته بسلك «وصيفات» البلاط الملكى ! .. لكن تنكره هذا لم يخف على عين الملك الماكر «اوديسيوس» ، فتنكر بدوره فى زى بائع متجول وذهب يعرض على وصيفات القصر بضاعته من الاساور والاقراط .. بعد ان دس بينها سيفا وخنجرا .. فلم يكد بصر الشاب المتنكر «اشيل» يقع على الاسلحة حتى بدرت منه حركة نمت عن خبرته بفنون القتال ! وهكذا انكشف امره ، فاخذه اوديسيوس معه ليشترك فى مقاتلة اهل طروادة بغية استرداد ملكة اسبرطة ـ «هيلين» ـ من أسرهم ، والاقتصاص لها من آسريها .. !

العذراء التى افتدت وطنها !

◆ وهكذا التام شمل جيش الاغريق ، بقيادة «اجاممنون» ، واخذ اهبته للابحار الى شاطىء آسيا الصغرى ـ حيث تقع طروادة ـ لمهاجمتها وكسر شوكتها .. ولكن فى اللحظة الاخيرة هبت رياح مضادة عاقت تحرك السفن التى تحمل الجيش المهاجم .. واستمر هبوب تلك الرياح اياما طويلة ، بحيث لجأ القوم آخر الامر الى استشارة عراف فى صدد ما ينبغى فعله لارضاء الآلهة التى تصب عليهم جام غضبها على هذا النحو ! .. فافتى العراف بان لا سبيل الى ارضاء الالهة غير التضحية بابنة «اجاممنون» الكبرى على مذبح الفداء لوطنها ! .. ولم يكن بد من الرضوخ لحكم الاقدار ، فارسل الاب التعس الى زوجته يطلب حضورها وبصحبتها ابنتهما الكبرى ، دون ان يصارحها بالسبب !

وحضرت الاثنتان .. وكانت الابنة مخطوبة للبطل الشاب «أشيل» ، فلما علم بفتوى العراف حاول عبثا انقاذ خطيبته من مصيرها المفجع .. لكن القوم هاجوا عليه ، وفي مقدمتهم اخلص انصاره ، واتهموه بخيانة وطنه ! .. وكادت تنشب في صفوفهم فتنة عمياء .. لولا أن حسمت الفتاة الموقف ، هاتفة بأمها ـ والتعبير هنا للشاعر اليوناني «يوريبيدس» في مسرحيته الخالدة التي استوحاها من الاسطورة : « أماه ، لقد امعنت الفكر في الامر . اصغي الى : انى ساختار الموت ، وساختاره راضية ، فلقد محوت الخوف من قلبي محوا .. ان الآلهة تطلب حياتي ، فهل أملك لطلبها رفضا ؟ .. اذن فلتكن حياتي فداء لوطني .. ولتنطلقوا لغزو طروادة ! »

ثم تمضي العذراء الى حتفها !

ويتغير اتجاه الريح ، فتنطلق «الالف سفينة» التي تحمل جيش الاغريق نحو غايتها ، تمخر عباب بحر قاتم اكسبت الظلمة ماءه لون النبيذ ..!

وبذلك تبدأ حرب طروادة المشهورة !

والآن ، وقد هيأت لك بهذه المقدمة ـ فيما ارجو ـ الجو المناسب لمطالعة «الالياذة» .. فلننتقل معا الى حيث نقلب صفحات هذه الملحمة الادبية الخالدة ذاتها :

الالياذة

◆ تبدأ الملحمة فاذا تسع سنوات قد انقضت على نشـــوب حرب طروادة ، والاغريق المهاجمون مايزالون عاجـــزين عن اقتحام اسوار المدينة المحصنة ٠٠ وطروادة صامدة للحصـــار الطويل المرير ، لايهن لها عزم ولاتلين لابنائها قناة !

لكن الملل قد تطرق الى نفوس جنـــــود « اجاممنون» ، والحنين الى وطنهم وبيوتهم قد فعل فعله فى قلوبهم واعصابهم ٠٠ سيما وقد اضطرهم طول الحصار الى القتال فى جبهتـــين ، وتقسيم قوتهم الى قوتين : قوة ترابط امام اسوار المدينـــة العاصية ، متحينة الفرص لمحاولة فتح ثغرة فى حصونهـــا الحصينة !٠٠ والقوة الاخرى تشن غاراتها المتواصـــلة عـلى المدن القريبة سعيا وراء توفير حاجات الجيش المختلفة من المؤن والطعام والذخائر ٠٠

ومن هنـــا نشب النزاع الرهيب الذى جلب فى اذياله الكثير من الكوارث !

العذراء التى اختطفت !

◆ فقد كانت بين البلدان التى هوجمت ونهبت على هـــذا النحو بلدة تدعى «كرايس» ، بها معبد مقدس من معابد الاله « ابوللو» ـ يقوم على شئونه كاهن اسمه «كرايسس » ـ عاث الجنود فيه فسادا وسلبا ، ونهبوا الكثير من محتوياته وكنوزه ،

ثم ختموا جرائمهم باختطاف ابنة الكاهن العذراء الجميلة «كريسيس»، واهدائها الى قائد جيشهم «أجاممنون» باعتبارها نصيبه من الغنيمة !

وهرع الكاهن المكلوم الى معسكر جيش الاغريق ، حاملا فى جعبته كل ماملكت يمينه من الذهب والحلى الثمينة ، كى يدفعها فدية للاعداء مقابل استرداده لابنته !٠٠ ورغم ان اكثرية أولى الامر فى الجيش كانوا راغبين فى قبول الفدية ورد الفتاة لابيها ، فان قائدهم الاعلى أجاممنون أبى هذا العوض ، بل وصرخ فى وجه الكاهن غاضبا : « **فلتغرب عن وجهى أيها الشيخ ، والا ساء مصيرك ٠٠ فعندما يتم لى غزو طروادة سوف آخذ ابنتك معى الى وطنى !»**

◆ ولم يجد الكاهن بدا من ان يعود ادراجه محزونا كسير الفؤاد ، مبتهلا الى الهه «ابوللو» ان يتولى عقاب الاغريق من أجل قسوتهم وعدوانهم ٠٠!

واستجاب «ابوللو» لصلاته ، فهبط من مقره فى جبل « أوليمب » ، وراح يرمى بسهامه الذهبية المسمومة جياد الاغريق وكلابهم ، ثم رجالهم ٠٠ فتفشى للحال فى معسكراتهم طاعون مخيف ، بحيث تكاثفت فوق الشاطىء سحب الدخان السوداء المتصاعدة من اكوام جثث موتاهم التى كانت تحرق أولا بأول ٠٠!

استشارة المنجمين !

◆ وراقبت «هيرا» ــ الهة الزواج وزوجة جوبيتر ــ هذه الكوارث مشفقة ، وهى التى انحازت الى الاغريق وحقدت على طروادة منذ منح «باريس» تاج الجمال لمنافستها افروديت !٠٠

فطلبت الآن الى « أشيل » أن يدعو جميع الرؤساء والقواد الى مؤتمر يبحثون فيه الامر ، لعلهم يهتدون الى مخرج ينقـذهم من شر الوباء ..

ورحب اشيل بالفكرة ، ونفذها .. وحين عقد الاجتماع طلب الى العراف «كالشاس» أن يقول كلمته فيالامر .. **فوقف هــذا ـ متجاهلا غضب أجاممنون ـ وطالب المجتمعين برد العذراء الاسيرة الى ابيها ، دون اخذ فدية ما عنهـا .. بل واوصاهم ان يرسلوا معها مائة ذبيحة كى تقـدم الى الاله «ابوللو» استغفارا له واستجلابا لرضاه ..!**

وغضب اجاممنون لدى سماعه هــذا القول ، وثارت ثائرته .. فنهض اشيل يقسم له ان يكافئه الرؤساء جميعـا أضعافا مضاعفة يوم تسقط طروادة اذا هو رد الاسـيرة الآن الى ذويها !

ونشب علىالاثر نزاع شديد بين الرجلين ، كاد أشيلفيه أن يستل سيفه ليطعن به غريمه ، ولا أن أوحت اليه الالهــة « هيرا » أن يتذرع بالصبر ويتجاهل اهانة أجاممنون ، ففعل ، وهو يقسم لنفسه بصولجانه الذهبى ان ينتقم من خصمه يوم تحين له الفرصة ..!

انتقام اجاممنون !

◆ لكن أجاممنون كان السابق الى الانتقام ، فانه لم يكد يطلق سراح اسيرته «كريسيس» مرغمــا ، كى تعــود الى ابيها ، حتى **طالب غريمه أشيل بالتنازل له عنأسيرته الخاصة «بريسيس» التى كانت نصيبه من الغنيمة عقب احدى غارات**

الجيش على المدن المجاورة !٠٠ وأردف القائد طلبه بارسال اثنين من جنوده الى خيمة آشيل كى يحضرا له الحسناء قسرا ، اذا اقتضى الامر ٠٠!

ولم يرأشيل جدوى من المقاومة ، فأمر بتسليم «بريسيس» الى الرسولين ، واندفع غاضبا الى مخدعه وهو ينثر من لسانه وقلبه حمم سخطه على القائد الظالم !٠٠

وفى نوبة حنقه الاسود اقسم لينفضن يده من القتال ٠٠ ثم ناشد أمه «تيتس» أن تبتهل الى كبير الآلهة « جوبيتر » ـ المعجب القديم بجمالها ! ـ وتسعى لديه بكل الوسائل كى ينصر الاعداء ـ أهل طروادة ـ على خصومهم الاغريق فى الحرب!

الخلافات الزوجية ٠٠ عند الآلهة !

◆ لكن «جوبيتر» كان فى ذلك الوقت متغيبا عن جبل «أوليمب» ، يحتفل بالعيد مع رعاياه الاتقياء اهل «ايثيوبيا»٠٠ فلما عاد من رحلته ، بعد اثنى عشر يوما ، خفت اليه الحورية ذات القدم الفضية «تيتس» ـ والدة أشيل ـ كى ترفع اليه ابتهالات ابنها ٠ ٠ فلما صعدت جبل الآلهة ، ومثلت فى حضرة « رب الارباب » ، ركعت على ركبتيها أمامه ولمست بيسراها ركبته ، وبيمناها لحيته ـ كالعرف المتبع ـ ثم توسلت اليه ان ينصر طروادة على أعدائها الاغريق ، الذين أذلوا ابنها الحبيب ٠٠!

فوعدها جوبيتر بأن يذكر ملتمسها هذا ، وأكد وعده بايماءة من رأسه «فتماوج الشعر على رأسه واهتز جبل الاوليمب باسره !»

◆ وهنا نرى أنفسنا فى السماء ، فى مجلس الآلهة .. وقد اجتمع شمل جوبيتر ، وزوجته هيرا ، وأبوللو ، وأفروديت ، وزوجها فولكان (اله النار والمعادن ، ابن جوبيتر وهيرا) .. فتؤنب هيرا زوجها على تعضيده لاهل طروادة ، ويبين فى نهجتها الحقد على هؤلاء بسبب انحياز اميرهم «باريس» الى منافستها أفروديت ضدها هى !.. وهكذا يشتبك الزوجان الالهيان فى شجار لايهدىء من حدته غير تدخل ابنهما فولكان ، الذى يطوف حول المجتمعين يظلع بقدمه العرجاء حاملا كأس النبيذ فى يده ، مناشدا أمه وابيه بخطاب طويل يثير ضحك الآلهة ، جاء فيه : «**هذه المشاجرات التعسة التى يألفها البشر لاتليق بنا نحن الآلهة ، فدعوها لاولئك الحمقى الذين يقضون أيامهم فى كفاح عقيم لامعنى له ، ولنقض نحن ايامنا فى سلام ابدى وفرح دائم .. وانت يا أماه ، اطيعى زوجك ومولانا ولاتفصمى عرى الاتحاد المقدس للسماء .. اطيعيه ، واصبرى !**» ..

ويدور فولكان على المجتمعين بكؤوس النبيذ ، فيشربون نخب وحدتهم المقدسة وهم يضحكون ضحكا تهتز منه جدران السماوات ..

الخدعة الكبرى !

◆ وتذعن الزوجة لزوجها فتطلق يده فى التصرف ، راغمة !.. ولكنه مع ذلك يؤثر - حرصا على سلامه البيتى - أن لاينحاز الى جانب أهل طروادة صراحة ، وانما يعمل الى حل ماكر ، فينتهز فرصة استغراق الآلهة والبشر جميعا فى النعاس ويرسل الى اجفان أجاممنون حلما خداعا يهيب به ان «**انهض**

يا اجاممنون ، وشن هجوما ساحقا على طروادة ، فلقد حل يوم سقوطها المحتوم ، ولسوف تحارب الآلهة فى صفك ، ضدها !»

وينهض القائد من فزع فيرتدى عباءته ويتمنطق بسيفه ، ثم يتناول صولجانه الذى يرمز الى تفوقه على جميع أمراء اليونان ، ويدعو حراسه الى ان ينفخوا فى النفير ليوقظوا الجيش للقتال ٠٠ وحين يتخذ الجنود أهبتهم لامتطاء جيادهم وعرباتهم الحربية والانطلاق بها فى هجمة جبارة نحو اسوار طروادة ، يبتهل اجاممنون الى جوبيتر ان يكفل له النصر ٠٠
لكن «رب الارباب» لا يعيره سمعا !

هيلين ٠ تلقى عن وجهها القناع !

◆ وحين رأى اهل طروادة جيوش خصومهم تتجمع وتزحف نحو اسوار مدينتهم انطلقوا يتصدون لهم وهم يطلقون صرخات أشبه بصرخات سرب من الطيور الجارحة !٠٠ اما الاغريق فقد اشتبكوا فى القتال وهم لائذين بالصمت المطبق ٠٠

وكان يتقدم صفوف الاولين ابنا ملك طروادة : هكتور ، وباريس ٠٠ فاندفع الاخير بجواده الى خارج اسوار المدينة ، صائحا بأعدائه انه على استعداد لمنازلة اقوى ابطالهم وأشدهم بأسا !٠٠ واذذاك قفز غريمه «مينيلاوس » ـ ملك اسبرطة وزوج «هيلين» ! ـ من عربته الحربية متصديا لمنازلته ٠٠ لكن الامير الشاب ـ الذى كان له وجه اسد وقلب غزال ! ـ لم يكد يراه حتى اجفل متراجعا ، كمن برزله اثناء سيره منفردا

ثعبان سام !٠٠ فلما رأى شقيقه هكتور جبنه ، وبخه وانتهره بشدة ٠٠ فخجل باريس من نفسه وقبل ان يبارز خصمه مبارزة فردية ، على أن تصبح هيلين من نصيب الظافر منهما ، ويوقف القتل بشأنها بين البلدين !

ومضى هكتور الباسل الى صفوف الاغريق فأبلغهم هذه الرسالة ، فقبلها مينيلاوس مرحبا ٠٠ **وفيما اجراءات المبارزة تعد أقبل بشير الآلهة على هيلين حيث كانت فى قصرها فانبأها بخبر تأهب الغريمين للمبارزة من اجل الظفر بها !٠٠ فاتشحت هيلين بعباءة بيضاء ومضت الى أسوار المدينة ، حيث جلس ملك طروادة وشيوخها واولى الرأى فيها ٠٠!**

وانها المرة الاولى التى تظهر فيها هيلين لقارىء الالياذة٠٠ فكيف يظهرنا هوميروس على مبلغ جمالها ؟ أيصفه لنا وصفا تفصيليا دقيقا ؟ كلا ، فتلك طريقة كتاب القصص فى العصور التالية لعصر هوميروس ، لكنها ليست طريقة هوميروس !٠٠ وانما هو يصور لنا جمال المرأة كما ينعكس فى تعليقات شيوخ المدينة الذين تمر بهم فى طريقها الى مكان المبارزة ٠٠ فاذا هم يلوكون بين ألسنتهم، مغمغمين، عبارات الحنق والسخط عليها ، ويصبون على رأسها اللعنات باعتبارها منشأ البلاء وسبب الحرب الضروس التى يكتوى بنارها الشعبان !٠٠ لكنهم يجدون انفسهم مع ذلك مضطرين الى ان يعترفوا ، راغمين ، انها على قدر من الحسن الباهر يؤهلها لان تكون ملكة السماوات! ٠٠او على حد تعبير هوميروس : «**٠٠كانت ملكة اسبرطة تقترب متهادية نحو سور طروادة ، فلم يملك الشيوخ انفسهم من الاحساس بوطأة جمالها وسطوته التى لاتقاوم ٠٠ فصاحوا برغمهم : « لاعجب فى ان يشعل هذا الحسن السماوى نار الحرب على الارض طيلة تسع سنوات !٠٠ اى جلال آسر لها !٠٠**

واية طلعة مهيبة ! انها تختال كالهة ، وتبدو كملكة !٠٠ ومع ذلك ، فلتحجبى ياسماء هذا الوجه الفاتك ٠٠ ولتحمى شعب طروادة من الفناء !»

وهكذا أقبلت هيلين بابتسامتها الخالدة التى تطالعنا من خلال الاجيال ، وطلعتها التى « أطلقت نحو طروادة الف سفينة مسلحة ، واحرقت لأبراج حصونها التى تناطح السحاب !»٠٠ أقبلت ولحظها الفاتك وخطوها المهيب يتغنى بسحر اجمل غادة خلبت الالباب وسبت العقول !

«باريس» وملك اسبرطة ٠٠ يتبارزان !

◆ وتأخذ المبارزة مجراها ، فيتولى هكتور و «أوديسيوس» تحديد مكان وقوف الخصمين ٠ ويجريان قرعة لاختيار الذى يبدأ منهما باطلاق رمحه على الآخر ، فيفوز باريس بالاولوية!٠٠ وهكذا يطلق الشاب رمحه على مينيلاوس ، فيصيب درعه ، لكنه لاينفذ منه !٠٠ ثم يطلق مينيلاوس رمحه ، فيصيب درع باريس ، لكنه لايجرحه !٠٠ واثناء المبارزة يتمكن الاول من تشديد قبضته على خوذة الشاب المفتون ، فيجرجره بواسطتها فوق أرض المكان ، فى اتجاه معسكرات الاغريق ٠٠!

وفجأة تنقض افروديت من السماء فتكسر طرف الخوذة فى يد ملك اسبرطة وتحمل «باريس» وسط سحابة كثيفة من الغبار الى حجرته داخل حصون طروادة !٠٠ ثم تهرع الى هيلين فتنبئها بماجرى لغاصبها ٠٠!

واذذاك يعلن اجاممنون هزيمة الخصوم ، مادام بطلهم قد اختفى من الميدان !٠٠ ويطالبهم بتسليم « هيلين» ، حسب شروط المبارزة ، ودفع التعويضات الكاملة عن كافة الاضرار

والمتاعب التى لحقت به وبجيشه وشعبه طيلة السنوات التسع التى استغرقها حصارهم لطروادة !

ويختلف الفريقن فى تحديدكل من الظافر والمهزوم !٠٠ وينقسم الآلهة انفسهم فى هذا الصدد ، فينحاز جوبيتر الى صف شعب طروادة ٠٠ وتنحاز زوجته «هيرا» وابنته «اتينا» الى صف خصومه الاغريق !٠٠ ثم تتنكر الابنة فى زى امرأة من اهل طروادة وتغرى احد اقطاب جيش هذه المدينة بأن يطلق سهما من جعبته على ملك اسبرطة ، كى يخرق الهدنه بين الفريقين فيستأنف القتال ، ثقة منها بأن استئنافه فى صالح الاغريق ـ بعد ان تحرص على ان لايصيب السهم هدفه فى مقتل ٠٠!

وتفلح الحيلة فى تحقيق الغرض منها٠٠ فلايكاد اجاممنون يرى دم اخيه مينيلاوس يسيل حتى تثور ثائرة سخطه على الاعداء ، فينقض الهدنة ويهيب بجنوده ان يواصلوا القتال !

افروديت تشترك فى القتال !

◆ وتحتدم المعركة يومين كاملين ، يلمع خلالهما نجم «ديوميد» احد ابطال الاغريق ، الذى يبلى فى القتال احسن البلاء ، حتى ليصيب بأذاه «افروديت» ذاتها ٠٠ ذلك ان الآلهة أنفسهم قد اشتركوا فى المعركة الهائلة بنصيب فعلى ، فحاربوا كما يحارب البشر ، وجرح بعضهم كما يجرح البشر ـ وان لم يتعرضوا مثلهم للموت !٠٠

وتضطر افروديت بتأثير اصابتها الى أن تطير الى موطنها فى السماء ، حيث تسهر امها «ديون» على تمريضها ٠٠ بينما

تسوء الاحوال فى صفوف جيش طروادة ، فلاتكد الجماهير تلمح «هكتور» عند اسوار المدينة حتى تتكأكأ عليه زوجات وامهات المحاربين الغائبين ، يستفسرن منه عن انباء القتال .. فلا يجيبهن بغير مطالبتهن برفع صلواتهن الىالآلهة ، كىتحمى طروادة من اذى العدو الرهيب «ديوميد» !

دموع الزوجة .. وصرخات الطفل !

◆ ثم يمضى هكتور الى بيته ، ليرى زوجته « اندروماك » ، فيعلم انها خرجت لتلقاه عند اسوار المدينة ، ومعها طفلها الرضيع !.. فيعود ليبحث عنها ، حتى يعثر عليها .. فتستعطفه باسم طفلهما ، وشبابها ، وابيها واخوتها السبعة الذين قتلهم البطل «أشيل» فى يوم واحد ، وأمها التى لحقت بهم بدورها !.. تستعطفه باسمهم جميعا ان يرأف بحالها فلايعرض نفسه لمخاطر القتال ... العقيم !

فيجيبها فى أسى ظاهر : « **اعلم ان شعبنا وبلادنا قدكتب عليهما الهلاك .. لكنى لاأرثى لحالهما بقدر ما ارثى لحالك انت يوم تقعين اسيرة فى ايدى الاغريق ، فيسومونك الخسف والهوان .. ويتندرون فيما بينهم ساخرين : « هذه الاسيرة كانت زوجة هكتور ، أمير طروادة !»**

ثم مد الاب ذراعيه الى طفله .. لكن الطفلاجفل مذعورا من الخوذة النحاسية اللامعة والريشة المتدلية منها !.. فضحك هكتور والقى بالخوذة الى الارض ثم اخذ ابنه بين ذراعيه وقبله ، مبتهلا الى الهه ان «يصير يوما عظيما بين اهل طروادة ، وقرة عين امه !..»

وهنا بكت اندروماك ، وان حاولت جاهدة ان تبتسم من خلال دموعها !.. فطيب زوجها خاطرها قائلا ان كل

انسان قد كتب له قدره المقسوم ، وأوصاها ان تنصرف الى مهام بيتها وطفلها تاركة للرجال ان يفكروا في القتال !·· ثم تناول خوذته فلبسها ، بينما انصرفت الزوجة بطفلها وهي تلتفت الى الوراء كل بضع خطوات ، لتودعه بنظرة أخيرة ··!

مصرع البطل المزيف !

◆ وانطلق هكتور ، ليشتبك بعد قليل فى مبارزة مع البطل الاغريقى «آجاكس» ·· ويستمر النزال بينهما سجالا حتى يهبط الظلام ، فينتهى الى غير نتيجة حاسمة ·· بينما يكون الاغريق قد أقاموا المتاريس والاستحكامات لحماية سفنهم الرابضة على الشاطىء · لكن هكتور لايلبث ان يهاجمهم على رأس قوة كبيرة ، وتحتدم المعركة بين الفريقين زمنا ، يكاد لواء النصر يعقد خلاله لهكتور وقومه ، الذين ساقوا اعداءهم أمامهم نحو الشاطىء ، وتأهبوا لاشعال النار فى سفنهم ··!

·· و «اشيل» مايزال فى خيمته ، محجما عن القتال ، يذكى فى قلبه جذوة حقده على اجاممنون ·· ان سفن قومه توشك ان تذهب طعمة للنيران ، لكنه مع ذلك لن يتحرك لنجدتهم ··!

لكن صديقه «باتروكلاس» يدخل عليه مقترحا ان يستعير منه درعه وسلاحه البتار ، كى يلقى بهما فى روع الاعداء انه البطل المرهوب «اشيل» ، وبذلك يوقع الذعر فى قلوبهم !·· فلئن ابى اشيل ان يخف لنجدة قومه بنفسه ، فلااقل من ان يدع غيره ينجدهم !

ويذعن البطل لتوسلات صديقه ، فيعطيه زيه ·· وبركته ·· وينطلق هذا الى الميدان ، فلايكادالاعداء يرونه حتى يحسبونه خصمهم المخيف «اشيل» ، فيدب الرعب فى صفوفهم ويتراجعون

امام الاغريق فى غير نظام ٠٠ وكلما فروا طاردهم باتروكلاس بلاهوادة ٠٠ حتى يطير درعه منه تحت ضربة قوية من احد مهاجميه ٠٠ واذذاك ينتهز «هكتور» الفرصة فيطعنه الطعنة القاتله !

خروج الاسد من عرينه !

◆ وحين يبلغ النبأ مسامع اشيل يجن لوعة وحزنا على صديقه الشهيد ٠٠ فيرتمى على الارض ويروح يهيل التراب على رأسه ، ويمزق شعره ، ويصرخ طلبا للانتقام !٠٠

وتصك صرخاته اذنى امه الحورية «تيتيس» فى مكمنها فى اغوار البحر ، فتهرع اليه كى تشاركه حزنه وتواسيه ٠٠ ولكن انى له ان يتعزى وقد فقد عدته الحربية الكاملة التى أهدته اياها الالهة ؟ ـ وفقدها الى غير رجعة !٠٠ بعد أن انتزعها هكتور من جثة باتروكلاس وأخذها لنفسه !؟٠٠ أومعنى هذا انه قد قضى عليه أن يطلق القتال الى الابد ؟

وازاء هذا المأزق الحرج تسرع الام الى ابنها «فولكان» ـ اله النار والمعادن ـ تناشده أن يصنع لابنها حلة مدرعة جديدة وعدة كاملة من السلاح ، فيقبل توسلاتها واعدا بتسليم الحلة والعدة اليها فى فجر اليوم التالى ٠٠

وفى الموعد المضروب تتسلم الام منه ما أوصته بصنعه ، فاذا هو قد تفانى فى اتقانه حتى جاء أروع من كل ماتزود به محارب من قبل !٠٠ وتهرع الحورية بحملها الثمين الى ابنها ، الذى توسط بعض شيوخ القوم فى ازالة مابينه وبين أجاممنون من جفاء ، فيرتدى «أشيل» حلته الجديدة ودروعه ويأمر باعداد عربته الحربية وتزويدها بأسرع الجياد ٠٠ وقبل أن ينطلق بها لملاقاة الاعداء يستدير اليه جواد من جياد العربة ، كانت «هيرا» قد منحته موهبة التنبؤ بالغيب ، قائلا له وهو يحدجه

بعينين ناريتين : «**أشـــيل ، انك قد كتب لك أن تنتقم لمصرع صديقك (باتروكلاس) ، لكن مصرعك أنت ليس ببعيد !** ٠٠ » فيجيبه البطل الصنديد صائحا : «**أعلم ذلك ، لكنى لا أعبأ به ، فليصبنى ماقدرلى !**» ٠٠ ثم يطلق صرخة مدوية يرن صـــداها كأنها نفير المعركة ، ويطلق لجياد العربة العنان تنهب به الارض نهبا الى أسوار طروادة !

لقاء الغريمين !

◆ أما أهل طروادة ، فلا يكادون يلمحون البطل مندفعـا نحوهم بعربته كشهاب من نار ، ورمحه فى يده ، ودرعه يلمع على صدره ، وخوذته تتألق فوق جبينه ، وكأنه اله الحرب ! ٠٠ حتى تجمد دماؤهم فى عروقهم هلعا ، فيعم الاضطراب صفوفهم ، ويتساقط أبطالهم صرعى ، واحد فى أثر الآخر ! ٠٠ **ثم يشطر الجيش شطرين : فيفر نصفه فرار الارانب المذعورة الى داخـل أســـوار المدينة ٠٠ ويفر النصف الآخر نحو النهر ، حيث يطاردهم اشيل بسيفه ويمعن فيهم ذبحـا وتقتيـــلا ، حتى يصطبغ ماء النهر بلون الدم ٠٠ ولاينقذ البقية الباقيـة منهم غير هياج الامواج على حين غرة بفعل عاصفة مروعة ٠٠!**

◆ وبعد أن يأسر أشيل اثنى عشر من جنود الاعداء ، كى يضحى بهم على المذبح عند الاحتفال بتشييع جنازة صديقـــه الشهيد «باتروكلاس» ، ٠٠ يعـــود الى السهل الذى جرت فيه المرحلة الاولى من المعركة ، والذى لم يبق فيه الآن غير أشـلاء مبعثرة ٠٠ وفيما هو يتفقد المكان ، يجد نفسه وجهـــا لوجه أمام غريمه : هكتور ! ـ وكان آخر من بقى خارج أســـــوار طروادة بعد فرار جنوده جميعا الى جحورهم فى داخل المدينة ، أوالى حتفهم فى قاع النهر ٠٠!

لكن بطل طروادة الباسل قد صار بدوره أرنبا مذعورا !.. فهو لا يكاد يلمح غريمه الباسل بطل اسبرطة ، حتى ينخلع قلبه الذى كان على الدوام شديد البأس ، فيطلق سدقيه للريح .. كظبى يفر من نمر أرقط .. ويروح يدور حول أسوار طروادة ثلاث مرات ، محاولا أن يجد ثغرة ينفذ منها الى داخل المدينة !.. وفى هذه الاثناء تتآمر الالهة «أتينا» ضده كيما تنصر أصدقاءها الاغريق ، فتتنكر فى هيئة شقيق له .. وبهذه الصفة تنصح له أن ينازل غريمه ، مؤكدة له ان النصر سيكون حليفه !

وينخدع هكتور بهذا الايحاء .. فيتوقف ليواجه أشيل! .. وتتم المبارزة بين البطلين ، على مشهد من فلول جنودهما الذين أطلوا من خنادقهم متلصصين .. ومشهد من الآلهة الذين أطلوا من عروشهم السماوية ليتابعوا المعركة الحاسمة !.. فيصرع أشيل خصمه بطعنة تصيب منه مقتلا !..

انتقام أشيل !

◆ وحين يغمض الموت عينى هكتور ، الى الابد ، يعمد أشيل الى التمثيل بجثته ـ انتقاما لصديقه باتروكلاس ! ـ فيقيدها من قدميها الى عربته ، ويجرجرها بها حول أسوار المدينة .. تسعة أيام متوالية !

وفى اليوم التاسع يمضى الاب المكلوم الى خيمة أشيل ، حاملا له فدية من الهدايا والعطايا الثمينة .. **فلا يكاد يؤذن له فى الدخول على قاتل ابنه ، حتى يخر على ركبتيه جاثيا أمامه ، مقبلا اليدين اللتين سفكتا دمه ـ ودم الكثيرين من أبنائه الآخرين ! ـ مناشدا اياه ، ودموع المذلة تهطل على خديه ،**

أن يعفو عن جثة هكتور ويكف عنها غضبه وانتقامه ، وتمثيله بها على ذلك النحو الموجع المهين !

فيتحرك قلب أشيل ، ويذكر أيضا وصية أمه التى نقلت اليه رجاء الآلهة أن يصفح عن غريمه الصريع ·· وهكذا يقبل الشاب من الاب الذليل فديته لجثة ابنه ، ويأذن له فى أن يحملها الى حيث يحتفل بدفنها الاحتفـــال اللائق بمكانة صاحبها ، ومكانة أبيه ·· ملك طروادة !

استقبال ·· وتشييع !

◆ وتستقبل الجثة داخل المدينة بخليط من مظاهر الفــرح والحزن : الفرح باستردادها ، والحزن لفقد صاحبها ، البطـــل الذى كانت ترمقه القلوب !··

وبينما يحتفل الاغريق ببطلهم المنتصر احتفالات صاخبة تقام فيها المآدب ، وتعرض الالعاب ، وتمنح الجوائز !·· تلبس طروادة الحداد على فقيدها العظيم ، وتسكب على نعشه قلوبهـا التى فطرتها الفجيعة ··

·· وفى مقدمة القلوب المفطورة التى تنتحب عـلى نعش البطل الصريع : قلب أمه ·· وزوجته أندروماك ·· وهيلين·· التى تشيعه بمرثية بليغة باكية !

ثم يحرق جثمان هكتور ·· ويجمـع رماده فى وعاء من الذهب ، يدفن فى القبر !

نهاية اشـــيل

◆ وبوفاة هكتور وحرق جثته على هـــذا النحو ، تنتهى « الياذة » هوميروس ، بغير أن تنبئنا بمصير بقية أبطالها ··!

لكننا لو رجعنا الى بعض شعراء الاغريق الذين عاشوا فى عصور تالية لعصر هوميروس ، لاستطعنا أن نعرف منهم شيئا عما وقع لاشيل ، وباريس ـ وغيرهما من أبطال الالياذة ـ بعد مصرع هكتور ..

أما اشيل فتختلف فى شأنه روايات الاساطير .. فهناك اسطورة قديمة تقول انه قتل بيد الاله « ابوللو » ، الذى تنكر فى زى الشاب « باريس » واشتبك معه فى معركة حامية أثناء القتال الذى استمر بين الفريقين عند أسوار طروادة .. وخلال عراك الرجلين أفلح باريس فى أن يطعن خصمه فى عقب قدمه الذى لم يبلله ماء نهر (ستيكس) المقدس يوم أرادت أمه الحورية « تيتس » أن تحصنه ضد الموت !

لكن هناك أسطورة أخرى تصور نهاية « أشيل » تصويرا مخالفا، فتروى أنه تورط فى حب ابنة ملك طروادة ، الاميرة « بوليكسينا » ، ومضى معها ـ غير مسلح ـ الى معبد الاله (أبوللو) كى يعقدا زواجهما فيه .. وهناك تربص له أخوها « باريس » فرماه بسهم أصابه فى عقب قدمه غير المعصوم .. فأرداه قتيلا !

وخف من أصدقاء القتيل كل من « اوديسيوس » و « أجاكس » ، كى ينقذا جثة البطل الصريع من الوقوع فى أيدى أهل طروادة .. فحملها الاول ومضى بها عائدا الى قومه.. بينما بقى الثانى لينقذ أيضا درع أشيل الفولاذى المشهور ، واشتبك من أجله فى مبارزة انتهت باعلان هزيمته وأحقية الطرواديين فى الاستئثار بالدرع.. وهنا جن جنون «أجاكس»، واستبد به اليأس والغيظ فقتل نفسه !.. وقد ألهمت نهايته المفجعة هذه أديب الاغريق الخالد (سوفوكل) بفكرة مأساة رائعة من مآسيه التمثيلية التى تعتبر من أعظم كنوز الادب

حوافز الحياة



النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ...

هذا الباب بمثابة «عيادة نفسية» تقدم لك احدث الكتب التى تبسط لك فى أسلوب عملى شائق أفضل الطرق التى تكفل لك ولأولادك سلامة النفس من كل داء .. وتعينك على مواجهة الحياة ومتاعبها ومشكلاتها كما ينبغى ان تواجه ..

لذلك اقدم لك فى هذا العدد هذا الكتاب النافع عن « مركب النقص ، والعقد النفسية » ... بعد ان قدمت لك فى الشهر الماضى كتاب « طريق السعادة الزوجية » .. وفى الشهر الذى سبقه كتاب : « كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية » ..

وفى الاعداد القادمة اقدم لك باذن الله : كيف نجحوا فى الحياة (لديل كارنيجى) ، الزواج والاخلاق (لبرتراند رسل) ،وقصة الحياة (لهافاوك اليس)، التحليل النفسى (لسيجموند فرويد).. ثم سلسلة كتب : كيف تقهر الخوف.. والخجل .. والقلق .. والارق .. الخ ـ وكيف تنمى شخصيتك ، وتقوى ذاكرتك ، وعزيمتك ، وتحفظ اعصابك من التلف ، وكيف تنجح فى عملك ، وفى المجتمع ، وكيف تكسب الاصدقاء .. وكيف تربى اطفالك .. وكيف تسعد فى حياتك ..


THE
INFERIORITY
COMPLEX
by
W.J McBRIDE
مركّب النقص
والعقد النفسية
أسبابهما وعلاجهما
وأمثلتهما عند العظماء
للعالم النفساني الكبير
و. ج. ماكبرايد

هـــــدف الكتاب

شاعت فى العصر الاخير مصطلحات : « الشعور بالنقص » و «العقد النفسية» وغيرها .. وهى مصطلحات لم تعهد فى اللغة قبل مطلع هذا القرن ! .. فعلم النفس الذى يبحثها – وهو الصق العلوم واهمها بالنسبة للانسان – علم وليد ... لكنه برغم ذلك نما وترعرع فى سنوات معدودات حتى صار من اضخم العلوم واولاها بالاهتمام .. !

ولا غرو ، فهو العلم الذى يعالج مشكلات الحياة الحديثة ، والحياة الحديثة محيط واسع زاخر بالمشكلات .

والاستاذ الكبير « ماكبرايد » من اشهر من بسطوا مشكلات علم النفس للجماهير فى بلاد العالم المتمدين ، وقد ترجمت كتبه لجميع اللغات ...

وكتابه هذا على الخصوص يعالج اهم موضوعات علم النفس ومشكلات العصر : موضوع « مركب النقص » .. وهو الداء الذى لا يكاد يخلو انسان من عرض من اعراضه ، وان تفاوت الناس طبعا فى نصيبهم منه ...

وقد بسط العالم الكبير هذا المرض النفسى وبين مدى اتصاله الكبير باحوال الحياة ومتاعبها المختلفة ، كما بين وسائل العلاج له ، ووسائل الوقاية منه .. ولاسيما وقاية الصغار من هـــذه العوارض البعيدة التاثير فى الحياة .. !

فالكتاب الذى اقدمه لك اليوم هو بمثابة «مرآة نفسية» لكل شاب وشابة ، ومرشد ممتاز لكل اب وام فى التربية ، وخير معين على فهم الانسان لنفسه ، ولغيره .. !

السالب والموجب .. !

◆ الكهرباء سالب وموجب ، والناس فى هذه الدنيا كالكهرباء: فريق منهم « سالب » ينفعل بالحياة ويتأثر بها ، دون ان يحاول التأثير فيها .. والفريق الآخر « موجب » ، يحاول التأثير فى الحياة بقدر ما تؤثر فيه الحياة ، فله «شخصيته» وله «ذاتيته»

وقد درج الناس فى الزمن الاخير على اطلاق كلمة «مركب النقص» أو «عقدة النقص» ، على من يغلب عليهم الطابع السلبى دون الايجابى ، مستدلين بذلك فى عرفهم على ان هذا الموقف السلبى نتيجة «نقص» فى تكوين الشخص .. فالذى يتبادر الى عرف عامة الناس ان مركب النقص عبارة عن شىء ناقص كان ينبغى ان يوجد ـ كما ان العمى مثلا هو نقص حاسة النظر ! ـ فهو نقص حاسة كان من شأنها ان توجد .. او هو عبارة عن كمية امامها علامة ناقص (ـ) بدلا من علامة زائد (+) المعروفة فى الحساب .. فمن اصابه مركب النقص يعتبره العامة فى الغالب رجلا رصيده من قوة الشخصية ومقوماتها مسبوق بعلامة ناقص ، فحسابه فى «بنك الحياة» مدين .. لا دائن !

◆ والواقع انه قلما تطابق الفكرة العامة عن شىء حقيقة ذلك الشىء ، لكن فكرة عامة الناس فى موضوع مركب النقص بالذات من الافكار القليلة الصحيحة رغم شيوعها ـ اذ الاغلب ان الخطأ اقرب الى الشيوع بين الناس ! ـ **واذن فمعنى مركب**

النقص علميا هو هو ما ادركه الناس من هذه الكلمة ببداهتهم الفطرية ... فكل عرض من الاعراض الدالة على تزعزع الثقة بالنفس وثبوط الهمة معناه ان الشخص مصاب « بعقـــدة النقص » او « مركب الدونية » ــ ومعنى « الدونية » هنا ان الشخص يشعر انه « دون » المستوى الواجب لمجابهة موقف معين ، او جميع مواقف الحياة بصفة عامة ...

والد هذه النظرية

◆ ومبتدع اصطلاح « عقدة النقص » او « مركب الدونية » هو والد نظرية التحليـل النفسى « سـيجموند فرويد » . وقد وضع هذا الاصطلاح اصلا للدلالة على كل انفعال سلبى ناجم عن خوف القصور الجنسى او عن احساس فعلى بهذا القصور ، ولاسيما حين يتجسم ذلك القصور فى عيب ظاهر فى اعضاء التناسل .

ومرجع هذا الحصر لعقـــدة النقص فى مجال الوظيفة التناسلية ، ان سيجموند فرويد يرد كل مظاهر الحياة الوجدانيــة او النفسانيةالى التناسل، فالغريزة الجنسية فى اعتقاده هى « اساس الحياة جميعا » ، فكل ما يعـوق تيار الشهوة عن التحقق والاكتفاء التام يسبب تكـديرا لتيار حـياة الشــخص ، والتواءات فى وعيـه الباطن ، وعيوبا ومسخا فى مسلكه . ذلك ان كبت الرغبات الجنسية ــ وقد يحصل هذا الكبت دون وعى من الانسان ، فيقف تيار الرغبـة قبـــل ان يخرج من الـلاوعى ــ



« فرويد »

يسبب « خراريج » فى الوجدان أو العقل الباطن ، ينجم عنها هذا الاضطراب فى التصرفات ؛ ويسمى هـــــذا « الخراج » النفسانى « عقدة النقص » !

تعديل معقول

◆ وقد ظلت هذه النظرية الفرويدية قائمة وحدها بعبء التحليل النفسى والتعليل لكل اضطراب سيكولوجى ، الى ان قام « ادلر » ـ تلميذ فرويد ثم زميله وصنوه فى اقامة صرح التحليل النفسانى ـ بتعديل هذه النظرية علىَ ضوء التجارب الكثيرة التى مارسها مع استاذه اولا ، ثم منفردا بالعمل بعد ذلـــك .

واول ما نبه اليه آدلر ، ان « عقدة النقص » عامل فعال جدا فى ظروف نشأة الانسان ونموه ... وان مرد هذه العقدة الى اسباب كثيرة جدا ، ومتباينة جدا ، بحيث قد لا تمت فى احيان كثيرة الى الغريزة الجنسية بصلة ..

فربما كانت ((وحمة)) فى صدغ طفل سببا فى تكوين ((عقدة النقص)) عنده ، من جراء المضايقات التى قد يلقاها من زملاء الطفولة والصبا ، فيشب رجلا عزوفا عن الاختلاط ، قليل الثقة بالناس .. وليس لهذا بالغريزة الجنسية اى اتصال ..

◆ ومن هذا المثل يتبين لنا ان « الشـــعور بالدونية » او النقص راجع فى الواقع الى مجرد اى تجربة مؤلمة تصد الطفل عن فتح قلبه للاخرين ، وتجعله ينطوى على نفسه .. فاى تجربة تجرح كبرياء الشخص امام نفسه وتسلبه جانبا من تقديره لذاته واحترامه لشخصيته ، عرضة لان يكبر فى ظلها هذا «الجرح» ، ولاسيما بتكرار الاهانة او الصدمة ، حتى يتقيح ويصير «خراجا» نفسيا او «عاهة نفسية» يحرص الشخص على مداراتها ــ كما يدارى صاحب العاهة الجسمية عاهته عن

العيون ـ بالانطواء والبعد عن المجتمعات والانصراف عن المساهمة الكاملة فى النشاط الاجتماعى .. !

والفرد المصاب بهذا الشذوذ يقال ان لديه «مركب نقص» ... تختلف حدته أو درجة تعقده باختلاف «عمق الاصابة بالجرح النفسانى» وباختلاف زمنها ودرجة تقيحها ، فثمت عقد مزمنة ، واخرى حديثة ، وهكذا ...

فلباب عقدة النقص اذن هو «الخوف» من تجدد الجرح النفسانى أو الاهانة اذا ترك الشخص نفسه على سجيتها ، فيضطر ازاء هذا الخوف الى مداومة «كبت» رغباته المتعلقة بهذا الموضوع ، ويكون سلوكه فيما يتصل به سلوكا سلبيا ، ولاسيما بعد ان يكبر ويحس انه فقد الحماية التى كان يتمتع بها زمن الطفولة من والديه .. !

◆ والى هذا السبب يرجع ما نشاهده غالبا من « طفولة » فى تصرفات المصابين بعقدة النقص ، فهم «يحنون» الى العهد الذى كانوا فيه تحت حماية الاهل ، يدفعون عنهم الاذى ، ويشكون اليهم ما يلقونه من جرح او اهانة ، فيجدون الترضية والتدليل ... الترضية والتدليل اللذين لا يجدون اليهم اليوم سبيلا وقد كبروا وصاروا رجالا ، وباتوا يواجهون اللطمات دون حماية ، ودون مواساة .. !

ادمان الخمر والقمار .. مركب نقص !

◆ ويختلف رد الفعل الناشىء عن هذه اللطمات القديمة او عن « عقدة النقص » ، من النقيض الى النقيض : فهناك اشخاص يستولى عليهم الشعور بالفشل والعجز ، وتتلاشى ثقتهم بانفسهم تماما ، فلا يجدون لهم ملاذا الا الهرب من الواقع المؤلم .. ولا يتسنى ذلك الهرب الا عن طريق شاذ ومرضى ، مثل ادمان الخمر ! .. ذلك ان الخمر تطلق العنان للمكبوتات

تحت تأثير التخدير الوقتى ، فينفس السكران بعض ما تجمع فى «الخراج النفسانى» من القيح والصديد الذى ثقل عليه . وكم من شخص يبدو ذليلا ، حتى اذا شرب وانتشى صار متفتح النفس للفكاهة ، جريئا ، بل انه قد يصل فى الجرأة الى حد السلاطة والعدوان .. !

◆والميسر او انقمار منفس آخر كبير للمصابين بعقدة النقص : فان هزات القمار العصبية المفاجئة تعوض الشخص عن خموله فى الحياة الواقعية وقعوده عن كل نشاط فعال ...

وقد يعجز الشخص عن الادمان على الخمر او المخدرات او الميسر ، مضطرا .. كأن تحول ظروف حياته دون ذلك ، او ان يكون امرأة محجبة محاطة بالقيود ، وفى هذه الحالة تكون اعراض عقدة النقص او «رد الفعل» الناجم عنها هو « القلق الخالى من الغرض» فيتحرك الشخص دائما ولا يستقر ، ولكن حركاته لا هدف لها ولا نفع فيها ، وانما هى مجرد مظهر لعدم الاستقرار الداخلى ، او «الحمى النفسانية» التى تقيم الشخص وتقعده ، كما تقيمه وتقعده الحمى الجسمانية سواء بسواء .

◆ ولكن هذا السلوك المتمثل فى الخمر او الميسر او القلق ، سلوك سلبى فى مجموعه، يدل على معاناة الشعور بالنقص او الهرب من المعترك .. بيد ان هناك نوعا آخر من السلوك الناجم عن عقدة النقص ، مضاد للسلوك السالف الذكر تماما ، فهو لا يتمثل فى الهرب او الاذعان ، بل يتمثل فى عكس ذلك وهو الاقتحام والتبجح وفرض الذات ؛ والى هذه الفئة ينتسب البلطجية وجميع الشواذ من المجرمين والرقعاء .. !

الفرق بين الشعور بالنقص .. ومركب النقص !

◆ والواقع ان كل شخص فى الدنيا لابد ان يشعر بالنقص فى ناحية من النواحى ، وهذا الشعور ناجم عن تفاوت الناس فى الملكات والظروف والحظوظ ..

ولكن يجب التنبه الى الفرق بين « الشعور بالنقص » وبين « مركب النقص » . فالشعور مجرد احساس بسيط يحاول الانسان علاج اسبابه ببساطة ، ولكن مركب النقص عاهة انتقلت من احساس بضربة الى جرح عميق او خراج .

◆ ومجال الشعور بالنقص هو الاحساس ، اما مجال مركب النقص فهو السلوك او عمل الشخص وتصرفاته .. فاذا كان الشعور بالنقص صفة انسانية عامة ، فان العقدة مرض فردى، وان كان هذا المرض شائعا جدا فى العصر الحديث ...

وعلى عكس مركب النقص ، نجد الشعور بالنقص مزية او نعمة ، لانه هو الدافع للفرد على تلافى اخطائه ، وباعثه على طلب الارتقاء والتفوق ... ولا يصبح هذا الشعور نقمة او بلية الا حين ينقلب بالشخص من قوة دافعة وباعث على العمل الى قوة معطلة ومثبطة للهمة ... فهنا يبدأ تكون العقدة الملعونة !

البداية هى الاساس

◆ وقد صار من الامور المحققة المقطوع بها علميا فى الاعوام الاخيرة ان عهد الطفولة هو اهم عهود العمر من الوجهة النفسية، وان كل ما يجرى فيه من الاحداث ذو أثر جليل فيما يلى ذلك من سنوات العمر . ففى هذه المرحلة الاولى توضع «الخطوط الرئيسية» لشخصية الطفل ، وتبذر البذور لجميع خواص

مزاج الطفل ، تلك البذور التى تنبت وتؤتى ثمارها الحلوة او المرة فى كل الاطوار التاليـــة من عمر الشخص ، حتى نهاية حياتـــه ..

فمن القواعد المقررة الان ، حتى انها تعد من بديهيات علم النفس الحديث ، ان الانسان يتكون التكوين الصالح ، او يفسد الفساد الفادح ، قبل ان يغادر مهد طفولته .. أى فى السنوات القليلة الاولى من عمره ! .. فالبداية هى الاساس وعليها المعول فى حياة الشخص النفسية وصحته الوجدانية ..

ففى هذه السنوات الاولى ، سنوات المهد ، يتعلم الطفل درسه النفسانى الاول ، ويعرف هل بيئته بيئة مواتية عطوف تساعده على التفتح ، او هى بيئة مدللة تفسده بالاقبال الزائد عن الحد اللازم ؟ .. وهل من حوله يفهمونه حق الفهم فلا يفسدونه بالتدليل ، ولا يفسدونه كذلك بالصد والاعراض الجاف ... أم هم قوم جهلة لا يدركون ما ينبغى وما لا ينبغى؟ كل هذه الامور تستقر فى وجدانه الغض وتترك آثارها فى عقله واضحة لا تمحى حتى بعد ان تنتهى الطفولة ، بل تلازمه وتؤثر فى عقله ، فى صباه .. ويفاعته .. ونضوجه !

كلمة السر .. !

◆ واذا القينا نظرة على هذه المرحلة ، مرحلة الطفولة ــ اخطر مراحل العمر نفسانيا ــ وجدنا ان كلمة السر التى تفتح لها مغاليق تلك المرحلة هى « العجز » .. فالطفل بحـــكم ولادته وعجزه فى بداية الحياة يعتمد على سواه ــ اى علـــى والديه عادة ــ فى الطعام والمأوى والحماية من عوادى المرض والالم ، والانس من الوحشة .. الخ ــ ومن ثم يكون مـــن الطبيعى ان يشعر بناء على هذا الاحتياج الى غيره أنه عاجز ، وانه ما من حاجة من حاجاته يستطيع تلبيتها وسدها بنفسه،.

بل هو محتاج الى غيره فى كل شىء بلا استثناء .. واذن فاول ما يستقر فى ذهن الطفل هو الشعور بعجزه ، وقصوره .. وبانه عالة على غيره ! .. وهذا الشعور نفسه هو هو البداية الطبيعية للشعور بالنقص ..

◆ ويخيل الينا ان شعور الانسان بالنقص ليس له نظير لدى سائر الحيوانات الاخرى : ذلك ان مدة طفولة الانسان اطول نسبيا بكثير من مدة طفولة الحيوانات الاخرى . فغيره من الحيوانات سرعان ما يملك اطفالها زمام انفسهم فيستقلون بامورهم ويعتمدون على ذواتهم فى تحصيل معاشهم دون حاجة الى ام او اب .. اما الانسان فيظل يرضع مدة طويلة ، ثم تتأخر أسنانه نسبيا فى النمو . واذا انقضت مرحلة الرضاعة والحاجة البدنية الى الاهل فى الطعام ، بدأت مرحلة التربية والتعلم ، وهى مرحلة تطول سنوات كثيرة قد تبلغ ربع قرن من الزمان ، يظل فيها الفتى او الفتاة عالة على اهله ، لا يدبر معاشه ولا يستقل باموره ولا يحمي نفسه ومصالحه الخاصة ، الى ان يتم الدراسة ويبدأ فى استقبال اعباء الحياة العملية ..

وبعبارة أخرى ان من الناس فى العصر الحديث نسبة كبيرة لا تعتمد على نفسها قبل ان تبلغ مرحلة الرجولة او الأنوثة الناضجة . ومعنى هذا طبعا أن الشعور بالنقص ، اى العجز او القصور عن كفاية المرء لنفسه والقيام بكل لوازمها ، شعور يلازم المرء الى سن النضج .. ولاسيما من ناحية المطالب المادية والضرورات والتكاليف المالية، والمركز الاجتماعى. وهذا الشعور بالنقص او القصور ينغص الناشىء او الشاب ويلقى ظلا قاتما لا سبيل الى تجاهله على جميع افكاره وتصرفاته ...

◆ ولا شك ان طول العهد بالشعور بالنقص او القصور الى ان يبلغ الشخص سن الخامسة والعشرين تقريبا يجعله لا

يستطيع طرح هذ الشعور من نفسه حتى بعد زوال مقتضياته، اى حتى بعد استقلاله بامره دون ولى او وصى .. والى هذا السبب يرجع بعض الفلاسفة والكتاب الاجتماعيين طفولة الجماعة الحديثة وسرعة انسياقها للطغاة وجميع من يحاولون سوقهم قطعانا تحت راية زعامتهم بكلمات مزوقة وعبارات رنانة ! .. ذلك ان الاستقلال والاعتماد على النفس لم يتاصل فيهم ، فهم يحنون الى من يقودهم كما تعودوا ، فيلقون اليه زمامهم فى الامور العامة ، رغم بلوغهم مرتبة عالية من العلم والثقافة .. !

◆ ومصداق هذا ما يشاهد فى هذا القرن الاخير من نجاح رقم قياسى من الطغاة والدكتاتوريين فى الاستبداد بامور امم راقية وشعوب مثقفة متعلمة .. فالدكتاتور يلقى التأييد من الشباب ، على الخصوص ، لانتكاسهم الى عهد الطفولة .. ولكنه انتكاس يضع مسئوليات الرعاية فى يد «الاب العمومى» بدلا من يد «الاب الخصوصى» الذى ظل مضطلعا برعاية كل منهم فى مرحلة الشباب .

◆ ويعزون ايضا الى طول عهد القصور وعدم التعود على القيام بالمسئوليات ما فشا من الطلاق الـــذى لا مبرر له الا الاضطراب العصبى دون سبب ظاهر يدعو الى فسخ رباط الزواج .. وما فشا كذلك من حب الاخبار المثيرة فى الصحافة الرخيصة ، والاعجاب الخرافى بابطال تافهين مثل نجوم الشاشة البيضاء والمتفوقين فى الالعاب المختلفة ، فان هذا يدل علـى تاصل روح « الخضوع » فى الشبان لطول عهدهم به فى زمن الطلب والتعلم ــ وعلى عدم القدرة على «تكييف» النفـس حسب المواقف ومعالجة المشاكل التافهة ، مما يؤدى الـــى المصادمات التى تسبب الطلاق بغير موجب وجيه ، والتمرد على الاعمال والرؤساء لاتفه المناسبات ... فذلك كله من

اعراض « طفولة العقل » الناجمة عن تأصل الشعور بالنقص والعجـــز .. !

مركب النقص من اسباب الحروب !

◆ بل ان «طفولة العقل» هذه هى داء البشرية الاكبر اليوم ، فما كانت الحروب لتحدث ، وهى المجازر البشرية البشعة التى لا نظير لها فى وحشيتها ، لولا «طفولة عقل» الفريقين المتحاربين : فآلات الحرب الحديثة تدهش الانسان الساذج العقل والنفس ، بحيث تفتنه طرافة المدفع او القنبلة المدمرة وتلهيه عن رؤية الملايين الذين يذهبون ضحيتها ، وقد يكـون هو من بينهم شخصيا ! .. اما اذا نضج العقل ونضجت نفسيـة البشر ، وذهب مركب النقص منهم ، فانهم لا ينساقون وراء المضللين من القادة ، ولا يغفلون بشاعة الدمار الحديث مفتونين بالفرحة الصبيانية «بالنعبة الجديدة» التى يقدمها لهم اولئك القادة ، تارة باسم قاذفة القنابل ، وطورا باسم الغواصة ، وحينا باسم القنبلة الذرية .. !

النقص الجسمانى !

◆ وينبغى ألا يغرب عن البال ان حالة الطفولة وما يلازمها بن شعور الطفل بالاحتياج الى سواه كى يعيش ، ليست هى السبب الوحيد لنشوء الشعور بالنقص او عقدة النقص .. فهذه حالة عامة يشترك فيها جميع الاطفال بلا استثناء ، ولا يمكن القول ان جميع الاطفال يصابون بمركب النقص ! .. واذن فهناك حتما ـ عدا حالة الطفولة العامة ـ احوال خاصة غير مشتركة بين جميع الاطفال ، ونعنى بها حالات الشعور بالنقص لاسباب خاصة بالشخص نفسه وباحوال طفولته هو بالذات ، لا بحالة الطفولة بوجه عام .

◆ واول هذه الحالات الخاصة ــ **وعددها ثلاثة** على سبيل الاجمال ــ حالة الشعور بالنقص العضوى ، ونعنى بها وجود عيب جسمانى او حيوى لدى الطفل يجعله مخالفا فى الشكل او فى السلوك الجسمانى للمألوف فى اطفال بيئته . فالطفل الابيض فى بيئة من السمر ، والطفل الاسمر الداكن فى بيئة من الشقر ، يدخلان تحت هذا النوع ... ويدخل فيه من باب اولى كل طفل ذو عاهة ، وكل طفل مصاب بانعدام ملكة من ملكات الجسم الاساسية او حاسة من حواسه الرئيسية ..

وقد تفرغ العلامة « بيران فولف » لدراسة هذه الناحية، فلاحظ ان اى اختلاف عن المألوف قد يسبب « الشعور » بالنقص ويكون لدى الشخص «عقدة» النقص ، اذا كان هذا الاختلاف فى الشكل محل اضطهاد خاص أثناء مرحلة الطفولة.. حتى ولو كان هذا الاختلاف مجرد افراط فى الطول ، او افراط فى القصر ، او ضخامة فى الانف ، او غزارة فى الشعر ، او بروز فى الاسنان ، او حول العينين .. الخ ... بل ان الجمال او الوسامة الشديدة قد تكون عاملا من عوامل تكوين عقدة النقص، اذا كانت علةلاضطهاد الطفل او مضايقته وملاحقته بالمداعبات..

◆ فالملاحظ دائما أن فريقين من المخلوقات لا يعرفان الرحمة : الا وهما الحيوانات والاطفال ! ــ وتلك حقيقة قررها الشاعر الفرنسي « لافونتين » الذى امتاز بدراسته لنفسيات المخلوقات الحية من الحيوان والانسان .. وقد اثبتتها الملاحظة العلمية ايما اثبات .. فمتى وجد الاطفال فى زميل لهم نقطة ضعف استغلوها وانهالوا عليه بلا رحمة منتهزين عجزه عن المقاومة او الانتقام . لذلك نجد ضعاف الاطفال موضع عدوان زملائهم لغير سبب الا حب العدوان . ولما كان الضعيف لايملك الا السكوت ، فانه « يكبت » غيظه وعواطفه ، وينطوى على

كبريائه الجريحة ... وهذا الكبت بالذات هو سر تكـــون العقدة النفسية لديه من جهة هذا الموضوع المؤلم ...

◆ واذن فاول ما يجب العناية به ان يتاح للاطفال التنفيس عن آلامهم التى يسببها لهم زملاؤهم . ويكون ذلك التنفيس عند الاقوياء برد العدوان والعراك .. اما عند الضعفاء فبالعمل على «رد اعتبار» الضعيف امام نفسه ، بان يشعر انه موضع فهم وعطف وتقدير من شخص اكبر منه سنا او مقاما ، مثل زميل كبير او استاذ او قريب من اقربائه .. فينسى بهذا الاحترام والتقدير جرح كبريائه ، ويرى فيه «تعويضا» عما نزل به من زملائه « الصغار » .

الطفـــل المدلل ..

◆ واذا تركنا النقص العضـــوى أو الضعف الجسمانى جانبا ، وجدنا ان النموذج الثانى للشعور بالنقص هو « الطفل المدلل » ! ... وقد يبدو هذا الكلام غريبا ، ولكنها حقيقـة أليمة من حقائق المجتمع العصرى ، وما أكثر الحقائق الموجعة فى المجتمع الحديث !.. ذلك ان أول ما تتطلبه حياة القرن العشرين هو الشجاعة ومواجهة التبعات فى ثقة وثبات .. فلا محل فى الحياة العصرية الا لمن يعرفون الاعتماد على النفس .. و « المدلل » لا يعوزه أو ينقصه شىء كما ينقصه الاعتماد على النفس والشجاعة فى مواجهـــة المواقف وتحمل التبعات فى ثقة وثبات .

◆ فمن هو الشخص « المدلل » ؟ ..

انه شخص تعود منذ نعومة اظفاره أن يجد كل حوائجه مقضية مهما كانت سخيفة واستبدادية ، وأن يكون الجميع من حوله تحت خدمته ورهن اشارته ، يتحكم فيهـــم بغير رادع

ولا وازع ! فلا شيء ينقصه ، ولا شيء يضايقه ، ولا يكلفه أحد ما لا يرضى••• فهو دكتاتور فى أسرته وبين أهله•• ولا خبرة له بكل ما يتصل بمعانى « المشــاكل » و « المصــاعب » و « المســئوليات » ••• فكيف يراد منه اذن أن يواجه هذه الاشياء الغريبة عليه اذا استوى عوده وتعين عليه أن يخوض غمرات الحياة مستقلا بنفسه !؟

الصـــدمة الاولى

◆ وأول صدمة يتلقاها الشخص المدلل فى الغــالب هى أكثر الحقائق الواقعية بداهة لو انه كان يعقل ، وتلك الحقيقة هى أنه **ليس الطفل الوحيد فى العــالم ، وانه ليس محتكرا للعطف والرعاية فى أسرته !**

◆ وتصدمه هــذه الحقيقة للمرة الاولى حين يكتشف أن منافسا آخر قد احتل حجر أمه ! •• أى عندما يولد له أخ أو أخت أصغر منه !•• وهذه الصدمة على جانب كبير جدا من الخطورة من الوجهة النفسانية ، فيجب أن يمهد لوقوعهــا تمهيدا طويلا بارعا ، والا كان وقع الصدمة شديدا جدا ومزلزلا لكيانه الوجدانى : فما بالكم بشخص-قر فى نفسه ورسخ انه السلطان الوحيد والملك المفرد لمملكة هى أسرته ، يجد نفسه فى غمضة عين وانتباهتها وقد شاركه فى « العرش » شخص آخر !•• بل يجد هذا الشخص قد احتل دونه مكان الصدارة، و « ركنه » هو فصار «على هامش الهامش» من عناية الاسرة••• فهو « عزيز قوم ذل » ، وعــزيز القوم اذا ذل قد يجن ، وقد تنطوى نفسه على الحقد والاجرام ••!

والواقع ان الطفل فى هذه الحالة يغلب عليه أن يكبت غيظه وكربه الشديد فيقال انه « واخد على خاطره » •• وقد يؤدى شعوره بالمذلة والهوان الى هبوط فى مستوى سلوكه

وتصرفه الاجتماعي والشخصي ، كأن يعود الى التبول فى ثيابه بعد ان يكون قد أقلع عن هذه العادة من مدة ، او يقوم فى الليل صارخا من أوهام وتخيلات مرعبة لا أساس لها الا استرعاء انتباه والديه لعلهما يخصانه ببعض ما سحباه منه من العناية ... الخ .

عجز « المدلل » عن مواجهة الحياة ..

◆ فاذا مرت هذه الصدمة الاولى وجدنا صدمة من نوع آخر فى انتظار « المدلل » عندما يشب عن الطوق ، ويحين له أن يخوض غمار الحياة كادحا فى سبيل العيش ... فويل له اذا كانت مهنته من تلك المهن الحرة غير الثابتة المرتب المضمونة الدخل ، فانه سيجد نفسه كالتائه فى الصحراء أو الغارق فى شبر من الماء ... فهو لم يتعود الكفاح والفشل واعراض الزبائن ... وهو ينتظر من بيئته فى رجولته أن تكون نظير بيئته فى طفولته : طريقا مفروشا بالورود والريحان ، وليس للناس من حوله شغل الا طلب رضاه ونفى الاكدار عن محياه !

◆ ولهذا نجد « المدلل » يفضل دائما العمل على مكتب ، موظفا صغيرا فى ديوان !.. وهو لا يخوض معركة الحياة الحرة ما وجد عنها محيصا . أما اذا أرغم على خوضها فانه سرعان ما يفشل ، لا لصعوبة المعترك ، بل لقصور فى نفسه وتزعزع فى يقينه بكفايته !.. ثم يسلمه الفشل فى الغالب الى اليأس ، أو « البلطجة » ، فيكون عالة على أمه ، أو أخته ، أو زوجته ، أو « دخله الموروث » .. أو ينحرف الى معاقرة الخمر والميسر والمخدرات ، ليغرق فيها أحزانه وعتابه على الحياة التى اخلفت ظنه ، وما ظنه الا أن تتوجه الدنيا ملكا عليها ، لا لشىء سوى « سواد عينيه » !

◆ فكما ان نبات الزينة الذى ينمو فى الظل لا يصلح للحياة فى الشمس والهواء وتحت المطر والزوابع .. كذلك لا يصلح الشاب «الدمية» الذى ربى فى «قمقم من الذهب» للحياة فى العراء حيث تضطرب التيارات ، لا يصدها أو يحد من شوكتها القوية شىء ، ولا تحمى منها الا «المناعة الطبيعية» ، تلك المناعة التى ليس لدى « المدلل » منها أدنى نصيب .. !

المنبـــوذ ..!

◆ فاذا تخطينا النمط الاول وهو « الشـــعور بالنقص العضوى » ، والنمط الثانى وهو الشعور بالنقص المعنوى ، عند الشخص المدلل .. وجدنا النمط الاخير هو الشـــعور بالنقص المضاد لشعور الطفل المدلل ، ونعنى به شعور الطفل بأنه منبوذ !

فاذا ما شعر الطفل انه غير مرغوب فيه ، أو أنه مكروه، كأن يكون وجوده فى أسرة غير طبيعية ـ اذا كان والداه قد انفصلا مثلا ـ بحيث بات الطفل عبئـا على والده أو والدته ، ولا سيما اذا كان من تكفل به منهمـــا قد كون أسرة أخرى بزواج جديد ـ أو لغير ذلك من الاسباب التى تزهد الناس فى الاطفال ، وتجعلهم يهملونهم ولا يولونهم العطف والرعاية .. فان الطفل فى هذه الحالة يشعر ويستقر فى نفسه ان الحياة لا تريده ، وان المجتمع يضطهده وينبذه . ذلك ان بيئة الطفولة وأهل الطفل هم صورة الحياة والمجتمع كليهما فى نظر الطفل!

◆ وليس المعول فى خلق هـــذا الشعور عند الطفل على العقوبات البـــدنية أو القسوة الجسمانية ، مثـــل الضرب والتعذيب والتجويع . كلا !! بل المقياس هو التصرفات التى تحدث ـ مهما كانت تافهة فى ظاهرها ـ أضرارا وجراحا في « نفسية » الطفل الغضة .. لا في جسمه !

◆ **وخطورة هذا النمط من الشعور بالنقص ان فريسته تشب فى الغالب على كراهة المجتمع البشرى ، فيصير منهم أخطر الخارجين على القانون · ذلك ان الحب هو عصب الاجتماع ، فمن لم يشعر به فى طفولته فقد الاحساس بصلته بالمجتمع ، ومن شعر بعكس الحب فى طفولته شب على الضغن والسخط والحسد لمن يتمتعون بنعمة الحب والمودة الاجتماعية ·**

ولهذا السبب يقرر علماء النفس والاجتماع ان الاسرة ضرورية لتكوين مجتمع صالح متعاون متماسك · أما المبادىء التى ترمى الى الغاء الاسرة أو اضعاف رابطتها القوية فانها قمينة أن تقضى على الوحدة الاجتماعية كلها ، فيشب الناس أشرارا أو على الاقل غير مكترثين للصالح العام ، وغير شاعرين بالتعاطف والتواد لغيرهم ، فكأنهم أشتات من الانانيين ، ينظر أحدهم الى الآخر نظرته الى المنافس أو العدو ، لا نظرته الى الشريك والصديق ··!

◆ ويجب ألا يتبادر الى الذهن أن الوالدين أو الاهل وحدهم هم الاسباب الوحيدة لهذا الشعور بالنبذ ، كلا ، فقد يكون الاهل على خير ما يرام برا بطفلهم ، **ولكن الطفل نفسه قد يكون محل اضطهاد زملائه ونبذهم ، وربما لتفوق ذكائه الشديد عليهم فى المدرسة ، فيتجنبونه حسدا لهو حقدا عليه ·· فيكون « عدم التعاون » هذا سببا لشعور الطفل بالنبذ ، وبذرة لمركب النقص ، لانه سيحس بالمهانة والوحشة ، وتابى كبرياؤه ــ وما أشد كبرياء الاطفال ! ــ ان يستجدى العطف والمودة ، فينطوى على نفسه ويكتم عواطفه . وهذا الكتمان او الكبت هو التربة الخصيبة التى يبيض فيها مركب النقص ويفرخ ·· !**

◆ ويلحق بهذا النوع من الشعور بالنقص ما يحسه الطفل الفقير المتواضع النشأة ، لا فى طفولته الاولى ، فقد يكون محل عطف من أهل متنورين ، ولكن الابهة فى الاوساط التى يعمل فيها ، وينظر دائما الى من هم أغنى منه وأرقى حسبا وأغنى أهلا نظرة تنطوى على المهانة الخفية ، فيسيطر هـذا الشعور بالنقص على جميـــع تصرفاته ، فاما أن يكون مثالا للخضوع لهؤلاء ، فيضحى « منقادا » . واما أن يعوض النقص بالتباعد والشموخ ، فتفسد علائقه بالناس لغير سبب ظاهر ، وان كان السبب مفهوما فى ضوء التحليل النفسى لنشأته الاولى ..!

الصنم الذهبى !

◆ ومهما يكن من شىء ، فالجانب الذى تتكون منه عقدة النقص يتوقف على كل حال على شكل « صنم الاحلام » . فلكل شخص حلم ذهبى أو مثل أعلى يقدسه : اما فى نفسه بالطموح اليه ، واما فى غيره باجترامه !.. والى هـذا الصنم ـ صنم الاحلام الذهبى ـ ترد جميع تقديرات الشخص ، ونظرته الى الحياة ومقاييسه فيها ..

فاذا كان صـــنم الاحلام هو الغنى الواســع والثراء العريض ، شعر الشخص بالنقص فى حضرة آلهة المال ، أو كل من هم أغنى منه بمقدار ملحوظ .. وربما شعر بالعكس ، أى بالتفوق والاستعلاء اذا كان من حوله أقل منه ثراء وغنى . وكذلك من « صنمه الذهبى » الثقافة والعلم قد يشعر بالنقص بين يدى ذوى الشهرة والمكانة فى العلوم والآداب ..

لكن ألعن هـــؤلاء جميعا من صنمه الذهبى ما يسمى بالمنصب أو الجاه أو المكانة الاجتماعية .. فانه سيظل طعمة لنيران الحســد والنقص أمام ذوي المناصب أو الوجاهـــة

والالقاب ·· وسيحسب المسكين كلما نال رتبة أو درجة من درجات المناصب انه « كبر » ، فتتغير نظرته لنفسه ، ويطالب الناس بتغيير نظرتهم اليه !··

شعور شـــائع ··

◆ ولعل من أشيع أسباب شعور النقص ما ينجم عن شدة الحساسية « الدينية » .. فالشخص الذى يؤمن بالدين ايمانا قويا لا بد أن يشعر ، اذا زل وارتكب أية معصية ذات بال ، أنه قد هوى من القمة الى الدرك الاسفل من المهانة ، ويــرى نفسه فى عينى دينه وربه حقيرا مدنسا مهينــا ، فيشعر انه منبوذ ، وانه « دون » مستوى المؤمنين · وذلك هــو الشعور بالنقص فى أوضح صوره ·

ويغلب على انسان هذا حاله أن يكون شديد الحياء ، فلا يفضى بسبب خزيه ، ويطوى النفس على مهانته وتأثمه ، ولكن هذا التأثم يقض مضجعه ولا يترك له سبيلا للراحة ليــلا أو نهارا ·· والى هذا النوع من التأثم يرجع اشيع عقد النقص فى الاوساط المتدينة ·

◆ وليس معنى ذلك طبعا أن تخفف شدة الشعور الدينى حتى لا يتأثم الخطاة ، بل معناه ان ينشأ الناس على احترام أوامر الدين ونواهيه ، وأن يذكر الخطاة فى الوقت نفسه أن التوبة تغسل الدنس ·· وأن الله غفور رحيم بمن تاب توبة صادقة · ·

وكل الانماط السابقة ـ وهى النقص العضوى ، وشعور التدلل ، وشعور النبذ والاعراض ـ يمكن علاجها بسهولة ، ما لم تتطور وتتعقد وتحدث لها مضاعفات هستيرية ··!

أعراض النقص

◆ لمركب النقص ـ كما لاى مرض آخر ـ أعراض تنم عنه ويعرف بها ·· وقد جرى العرف على تقسيم النقص الى قسمين: « نقص بسيط » و « نقص خبيث »· فالنقص البسيط ما اقتصر على أمور سطحية فى الشعور ، ترجع الى سوء المعاملة أو سوء السياسة فى عهد الطفولة · والنقص الخبيث راجع فى الغالب الى تجربة عاطفية عنيفة كان لها أثر عميق فى مجرى الشعور ··!

ونبدأ بالنقص البسيط أو الخفيف ، فنجد أعراضه مجملة فى : ١ ـ القلق أو النشاط الذى لا هدف له · ٢ ـ الخجل من المجتمعات وتحاشى الاجتماع بالناس · ٣ ـ فرط الحساسية وبخس تقدير الشخص لقيمة نفسه · ٤ ـ السطحية وفرط الرضى عن النفس · ٥ ـ فترات متناقضة من الصمت والثرثرة ٦ ـ التهكم الناجم عن حب للنقد الهدام ··

القلق الخالى من الغرض ··؟

◆ والمعنى الذى يستفاد من « القلق الذى لا هدف له » ، ان الشخص يشعر فى قرارة نفسه انه كان ينبغى أن يعمل شيئا لم يعمله ·· ولولا هذا الشعور لما صدرت عنه هذه الحركات التى لا لزوم لها ، ولاستقر فى مكانه واطمأن !·· ومن هذه الحركات الخالية من الغرض ، الدالة على القلق وتوتر الاعصاب ، سوء النوم وكثرة الارق لغير داع مفهوم من الهموم أو المرض الجسمانى ·· فلو كان الشخص مستريح النفس مطمئن السريرة لنام ·· بيد أن الشعور المدفون الكامن فى أعماق ضميره بأن عليه شيئا يجب أن يقوم به ولكنه تقاعد عنه ، هو الذى لا يترك له راحة فى ليل أو نهار ·

◆ وقد يكون هذا الشعور بالتقصير أو التقاعد عن عمل واجب الاداء راجعا الى تجربة قديمة جدا ، فى زمن الطفولة مثلا ، ربما تكون قد نسيت تمام النسيان !٠٠ ولكنها مثل الجرح العميق قد ينسى الشخص ملابساته كل النسيان ، ولكن هذا لا يمنع من بقاء أثره ماثلا فى الجسم مؤثرا فى قيامه بوظيفته ٠

الخجل الاجتماعى !٠٠

◆ أما الخجل الاجتماعى والتباعد عن الناس فعرض من أوضح أعراض الشعور بالنقص ، ومرده فى الغالب الى شعور بالنبذ والكراهية أثناء الصبى أو الطفولة ٠٠ كأن يلقى الطفل أو الغلام نفسه مرذولا مصدودا عنه من اخوانه أو أهله ، فيقضى ذلك على ثقته بنفسه ، وكلما ألفى نفسه بعد أن يكبر أمام غربا، طفت هذه التجربة الاليمة من العقل الباطن فحالت دون اندماج الشخص أو ارتياحه الى هؤلاء الغرباء ٠٠

فرط الحساسية والتضاؤل

◆ ويلحق بالخجل الاجتماعى فرط الحساسية والتضاؤل ـ أى بخس الشخص لقيمة نفسه ـ ويرجع ذلك فى الغالب الى التأثم ، أى الاحساس الشديد بارتكاب الاثم فيما مضى ، أو معاناة تحقير شديد فى موقف من المواقف ، بحيث يرسخ فى نفس الشخص أنه زهيد القيمة هين على الناس ، ويتطور هذا الشعور مع الزمن حتى يعتقد هو أيضا فى هوان نفسه ، وان الناس محقون فى الاستهانة به ٠٠!

◆ **ويغلب على الذكور المصابين بهذه الآفة أن يهتموا بكل جانب من جوانب مظهرهم أمام الناس ، فلون ملابسهم ، ونوع**

تلك الملابس ، وشكل الحذاء ، ونظافته ، وألوان الطعام وما الى ذلك ٠٠ كلها أمور يهتمون جدا بأن تكون مما يرضى عنه الناس ، فرأى الناس عندهم شيء مقدس ، له المقام الاول من الاعتبار !

◆ كما يغلب على الاناث المصابات بهذه الآفة أن يهتممن اهتماما مفرطا بجواربهن ولونها ونوعها وسعرها ، وشكل الشعر وطريقة تصفيفه ، لانهن يخشين أى انتقاد لزينتهن ووجاهتهن ٠ كما يملن الى الغض من قدر جنسهن والانحاء عليه باللوم ، على سبيل التعويض عن الشعور بالنقص بالنسبة للجنس الآخر ، فكأن المصابة بهذا النقص تتبرأ من جنسها ونقائصه بهذا التجنى ٠٠ !

السطحية ٠٠

◆ ومن أعراض الشعور بالنقص أيضا ما يسمى بسطحية الوجدان ، وعلامتها أن يكون الشخص غير مكترث لشيء ، قانعا بالسكوت كأنه الاله بوذا ، مكتفيا بالتأمل فى نفسه ، فى رضى عنها !٠٠ لا يهمه الا مسراته ومطالبه الخاصة٠٠ ولا يعنيه مصير أحد أو مصير شيء فى الدنيا غير رفاهيته الشخصية٠٠!

النوبات المتناقضة : من المرح والانقباض :

◆ وقد يصاب الشخص تحت تأثير شعور النقص بنوبات متناقضة ينتقل فيها من الصمت والانقباض الى الثرثرة والمرح والحبور ! فذلك دليل لا شك فيه على عدم الاتزان الوجدانى ، ووجود « فقاعات » تحت سطح الوجدان تسبب القلق وعدم الاستقرار على حال ٠٠ وغالبا ما ينجم ذلك عن تجربة عنيفة ،

أى صدمة وجدانية كبتت كبتا شديدا ، فصارت حائلا دون الاستقرار الوجدانى بما تسببه للشخص من تنغيصات ونزعات، كأنها داء النقرس الذى يعاود الشخص بغير سابق انذار كما يتركه بغير سابق انذار ··!

حب الهـــدم !

◆ وغير نادر أن يصاب الشخص الشـــاعر بنقصه بداء التحقير ، فيميل الى تحقير كل جليل وتشـــويه كل جميل ، وانتقاد كل حركة أو فن انتقادا لا غاية له سوى المسخ والهدم· ومثل ذلك الشخص لا يؤمن بشىء ، ولا حرمة عنده لمبــــدأ أو عقيدة أو مزية خلقية ··!

رد الفعـــل ··

◆ ويضاف الى هذه الاعراض السلبية أعراض ايجابية ، هى بمثابة رد فعل للشعور بالنقص ، أى ما يسمى « التعويض» عن النقص !

◆ ولكن هذا الضرب من التعويض ليس الغرض منه النفع العام ، بل حماية الشخص لنفسه من جرائر الشعور بالنقص الذى يعانيه ··· **وينصب غالبا على المظهر دون المخبر،** فيكون هم الشخص فى هذه الحالة ان «**يتظاهر**» بعكس مايعانيــه من الشعور بالنقص ، فالمسألة ادعاء مواهب ومزايا ، لا حصـــول حقيقى على تلك المواهب والمزايا ! ···

من قبيل ذلك ان يعمد الشخص القصير القامة الى لبس حذاء له كعب عال وطربوش طـــويل ، ثم يمط قامته ، ويكثر من التلويح والتكشير ، و « الشخط والنطر » كى يوقع فى الاذهان

انه شخص عظيم مهيب !٠٠ كما قد يعمد الشخص القليل الحظ من التعليم ، اوالمتواضع الاصل والبيئة ، الى اصطناع لكنة اجنبية فى كلامه ، وحشر ألفاظ فنية وعلمية ـ اجنبية غالبا ـ فى كلامه بغير مناسبة ، مع التظاهر بالوقار والثراء وسائر مظاهر المتقلبين فى النعمة !

◆ **أما الشخص الذى يرجع شعوره بالنقص الى النبذ وتباعد زملائه فى طفولته عنه ، فيميل الى التأنق فى ملبسه تأنقا خارجا على المألوف ليكتسب صفة الوجاهة ٠٠!**

◆ ومن مظاهر التعويض أيضا ان تميل المرأة لتقليد الرجال ، ويميل الرجل لتقليد النساء ، فى الزينة والحديث والاشارة !

◆ وقد يميل من يشعر بزهد الناس فيه الى العزلة مع الاستعلاء ، وادعاء التفرد والتفوق على سائر الناس بمزايا لايعلم حقيقتها الا الله ٠ ويميل مثل ذلك الشخص الى خرق العرف فى لبسه وزينته ، لانه «نمط وحده » و « فريد عصره» فلا يصح أن يقلد أحدا ، بل يعتبر نفسه المشرع الوحيد لذاته الفريدة !

◆ وقد يشتط الشخص المزهود فيه فى التعويض فيصبح من الاشقياء الشرسين والطغاة المتمردين على كل قانون أخلاقى أو دينى أو وضعى ، الذين يميلون الى القسوة والعنف فى كل شىء ٠٠!

التعويض الصحيح

◆ كل هذه الضروب من التعويض ليست فى محلها ، فهى تعويضات زائفة تعتبر من أعراض حدوث «مضاعفات » فى الداء الاصلى !٠٠ وانما التعويض الصحيح أن يحاول الشخص

الشاعر بالنقص الحصول على مزايا حقيقية ، لادعاء تلك المزايا، بحيث يشعر الناس أنه شخص فاضل حقا وصدقا وانه لاغنى لهم عنه ، ولامفر لهم من تقديره واحترامه وخطب وده ، وبذلك يزول سبب الشعور الاصلى بالنقص تمام الزوال ..

الكبت هو السبب !

◆ ولكى نفهم «عقدة » أومركب النقص على حقيقته ينبغى أن نعرف كيف يتكون .. كيف يتحول من « شعور بالنقص » ـ أى من شعور قد يكون سطحيا عابرا ـ الى « عقدة نقص » ـ أى الى داء مقيم مستقر يعوق قيام النفس بوظيفتها على الوجه الاكمل . والعامل الاكبر فى تحول الشعور بالنقص الى عقدة مستعصية هو «الكبت» . فكبت الشعور بالنقص وتكرر ذلك الشعور مع تكرر الكبت هو سبب تحول ذلك الشعور الى عقدة ، كما يلتئم الجرح على فساد فيتحول الى خراج خبيث ...

◆ فلو عمد المرء الى «التنفيس» عن كل شعور بالنقص ، وكل جرح يصيب الكرامة والكبرياء ، دون خزى من ذلك التنفيس أوتحرج ، وذلك بالافضاء بما وقع بصراحة لشخص يطمئن اليه ، لتلاشى أثر الشعور بالنقص فى وقته ، قبل أن يتحول بالتكرار وبعامل الوقت الى عقدة مستعصية الحل ..

◆ ويأتى ضرر العقدة من اتصال الصراع الوجدانى ، فالشعور بالنقص يحاول دائما أن يخرج ، أى أن يحدث له « تنفيس» لانه مكتوم مكبوت ، والوعى يضغط عليه دائما حتى يظل مكبوتا ولايطفو الى السطح .. وهذا الصراع أو الاشكال الدائم هو سبب القلق وعدم الاستقرار وعدم

الاتزان الذى يشاهد دائما على المصابين بعقدة النقص ، بحيث نتلون شخصيتهم فى جميع مظاهرها بهذه العقدة الملعونة ..

التوجس ..!

◆ وقد تبدو العقدة فى شكل توجس أى خوف دائم من حصول مايمس موضوع العقدة ، أى سبب الشعور الدائم بالنقص ... وقد يشتد التوجس فيصير نورستانيا مصحوبة بالارق ... وربما تطورت النورستانيا الى انهيار عصبى تام يودى بمستقبل الشخص ، وربما أودى بحياته ، لما يصحب ذلك من فقد الشهية والقيء والارق المتصل .

◆ وقد يؤخذ الشخص الى « زار » أو « حفل تحضير أرواح » فتهدأ أعصابه مؤقتا بفعل الموسيقى ، اويعالجه طبيب بالكهرباء والحقن وما الى ذلك فيتحسن قليلا ، ولكنه يعود غالبا الى حالته الاولى أو أشد ... ذلك ان علاج عقدة النقص لايكون بعلاج اعراضها ، فالاعراض نتيجة ، والعلاج يجب أن يكون علاج العلة أوالسبب . وبغير استخراج السبب المدفون فى أعماق السريرة ، لاينفتح الخراج ، وبغير تنظيف الخراج لايتم الشفاء ..!

عندما يخلق المرء لنفسه عالما وهميا !

◆ وقد لا يصاب صاحب عقدة النقص بالنورستانيا أو التوجس أى الخوف الدائم من اثارة أشجان نقصه .. ولكنه يعمد الى الهرب من الواقع المؤلم الذى يذكره دائما بنقصه ، فيرفض ذلك الواقع ، ويرفض الحياة الواقعية ، وينصرف الى ادمان الخمر ، أوالميسر ، أوالمخدرات .. لانه تحت تأثير تلك السموم يستطيع تخيل حياة توافقه ولايكون مكانه فيها مما

ينغصه ... فهو يخلق عالما جديدا يعيش فيه نصف مجنون ، ولكنه معذور فى ذلك ، لانه يستحيل عليه احتمال حيـــاة الواقع التى يحياها العقلاء ، نظرا لان نصيبه فى تلك الحيـــاة زرى مؤلم ...

الفشل فى الحب

◆ وقد كثر فى الزمن الاخير اعراض الناس عن الزواج بحجة أن الزواج والاسرة من أسباب تعاســـة الحيـــاة ، وان النسل شيء سخيف !.. لكن سبب هذا القول انما يرجع فى الغالب الى فشل الشخص فى الحب أى فى الاتصـــــال الجنسى اتصالا طبيعيا ناجحا .. فيدارى الشخص هذا الفشل الذريع بستار من «الآراء التقدمية» ، متناسيا أن تطبيق هذه الآراء معناه انقراض الجنس البشرى فى مدى جيل واحد ..!

◆ فالواقع ان الحب والزواج ليسا اصـــــلاحا اجتماعيـــا فحسب ، بل هما ضرورة بيولوجية ، بصرف النظر عن مقتضيات العرف والدين . فلابد من النسل لاستمرار الحياة . اذن لابد من الحب . ولابد من الاسرة وتعاون الاب والام على تربية الطفل تربية نفسية صحيحة ، لامجرد اطعام وكسوة ... فالحب العائلى والرعاية الوالدية هما البذرة الاولى لكل عاطفة سامية فى الطفل . ولايمكن قيام ذلك كله بدون أسرة مستقرة لايتغير فيها الاب كلما ولدت الام طفلا جديدا ... أى لاقيـــام للاسرة الا بالزواج كما نعهده فى مجتمعنا ..

◆ واننا لنجد الحيوانات التى تحتـــاج صغارها الى رعاية خاصة طويلة ، تقارب الرعاية الواجبة للطفل البشرى ، يقوم



فيها نظام الاسرة مماثل للاسرة البشرية من وجوه كثيرة جدا.. فليس الزواج قيدا اجتماعيا تعسفيا ، وانما هو ضرورة بيولوجية ونفسانية لا محيص عنها .

أوهام العظمة !

◆ وقد يعمد صاحب عقدة النقص الى الهرب من الواقع ، لا بمعاقرة الخمر والميسر ، والمخدرات، بل باصطناع جو من

يوليوس قيصر

العظمة يحيط به نفسه ، ويا حبذا لو انخدع فيه نفر من الناس وطاوعوه فى ذلك ، فانه يعوض مايشعر به من النقص بذلك الوهم الذى لايحتاج لتحقيقه الى خمر أوأفيون ... **ومن هذا القبيل أوهام الاباطرة القدماء أمثال كاليجولا ونيرون اللذين ادعيا الالوهة ... وما العهد بغليوم الثانى وهتلر ببعيد !..** ولوأننا دخلنا أى بيمارستان (مستشفى للامراض العقلية) لوجدنا ضحايا هذه الاوهام بالعشرات ، بل بالمئات..

قيصر .. وبيتهوفن .. وروزفلت

◆ ومن حكمة العناية الالهية أن جعلت لكل شىء الى جانب ضرره نفعا . فاذا كانت عقدة النقص ـ وهى مضاعفات الشعور بالنقص ـ من عاهات النفس وأدوائها المعطلة لقواها ، فان الشعور البسيط بالنقص ـ وهو شائع جدا لايكاد يخلو منه

أحد ـ كان سببا فى تنافس الناس ومحاولتهم التفوق على أقرانهم والتغلب على نقائصهم ..

◆ **وأعظم من هذا وأجل خطرا ، ان الشعور بالنقص كان السبب الكامن وراء عظمة كثيرين من عباقرة الزمان ونوابغ بنى الانسان : فهذا يوليوس قيصر كان مصابا بالصرع منذصباه ، حتى خشى أن يعوقه ذلك عن احتراف الجندية والانتظام فى سلك الجيش ، فاذا ذلك يدفعه الى التفوق والتغلب على نقصه ذاك ، حتى صار فارس العصر وعاهل الدهر ، وأنبغ قواد روما القديمة غير منازع !**

◆ وهذا بيتهوفن أعظم عباقرة الموسيقى كان يشكو من ضعف خاص فى سمعه ، فاذا به يعوض ذلك النقص بأن يكون أعظم من شنف الآذان ، بحيث كان يميز بين ٤٠٠٠ طبقة مختلفة من طبقات الاصوات !

◆ وهذا الرئيس روزفلت الذى قاد أمته فى أحرج أوقات تاريخها ، بل قاد العالم الديموقراطى كله فى أحرج أوقات تاريخه ، وكان أول رئيس تجدد انتخابه مرارا وتكرارا رغم معاداة الرأسماليين واليهود والمحافظين والعمال لسياسته ... هذا الرجل الجبار كان مصابا منذ سن باكرة جدا من شبابه بشلل الاطفال ، فظل يقاوم هذا النقص مقاومة جبارة حتى وصل الى قمة النجاح والنشاط : محاميا ، وحاكما لنيويورك ، وعضوا فى الشيوخ ، وخطيبا ، ورئيسا للجمهورية ، وزعيما للديموقراطية فى العالم أجمع ، وختم حياته بهزيمة قوى الدكتاتورية العاتية ...

◆ فليس الشعور بالنقص فى ذاته علة وداء خطيرا ، بل العلة فى تزعزع الثقة بالنفس الذى ينجم عن ذلك الشعور .

أما اذا قويت الثقة بالنفس وشحذت الهمة للتغلب عأ النقص ، فتلك هى النعمة التى تكمن فى باطن النقمة ، والتى تدين لها الانسانية بأكبر عدد من عظمائها وقادتها النابهين ..

من هنا نبدأ ٠

◆ فيجب اذن أن نعرف هذه الحقيقة جيدا ، وأن نعمل على مراعاتها كل المراعاة . فلانتألم وتهن عزائمنا لشعورنا بالنقص ، بل نعمد الى التنفيس عن ذلك الشعور ، بتهوينه ومحاولة التغلب عليه وتعويضه بتنمية مواهبنا الايجابية الاخرى بحيث تغطى على ذلك النقص وتطمسه ٠

◆ أما اذاكان النقص مما لايعالج ، كأن يكون عاهة ظاهرة، فيجب أن نركز همنا فى مواجهة ذلك الواقع بشجاعة ، وعدم الخزى منه ، لانه لايعيبنا فى الواقع أن نصاب بعاهة ، وانما يعيبنا أن نستسلم لها بحيث يستفحل اثرها ويفسد عليناكل حياتنا ٠٠ فالشجاعة وعدم الاستخذاء والتضاؤل بسبب العاهة هو مفتاح التغلب عليها وعلى عقدة النقص التى قدتنجم عنها٠٠ ولنعلم ان فى كل انسان نقصا ، وان الانسان خلق ضعيفا ، وان الرابطة التى تربط الناس بعضهم ببعض هى الضعف المشترك ، والحاجة الى التواسى والتعاطف ، فليست الحياة كلها مضمار سباق ، بل هى قبل كل شىء رابطة ألفة ومودة وسلام ٠٠

رياضة الذهن



من قصص الجاسوسية

في الحرب والسلم

عزيزى القارىء ...

« التقزز » والزراية ، شعوران يلازمان فى النفس معنى التجسس !.. ومع ذلك فما برحت الجاسوسية أداة لا تستقيم بغيرها الحروب ! .. وهى فى غموضها وخطورة شأنها تقتضى القائم بها مرونة أعصاب وحضور ذهن لايتوفران الا لافراد قلائل من البشر !..

وقد عمل (سومرست موم) جاسوسا لبريطانيا فى الحرب العالمية الاولى . . وقصته هذه التى أقدمها لك اليوم (واسمها الاصلى « اشندن » — وهو الاسم المستعار الذى اطلقه موم على نفسه اثناء اضطلاعه بعمله فى التجسس) هى من المراجع الهامة التى تحتم ادارة المخابرات البريطانية على رجالها الجدد أن يقرأوها ويتدبروها بامعان ، كنموذج لما يعرض لهم فى عملهم الشاق الرهيب !..

وفى الاعداد القادمة اعتزم أن أقدم لك بعون الله مجموعة منوعة من أشهر قصص الجاسوسية التى جرت وقائعها خلال أوقات الحرب والسلم ، فى مختلف البلاد والعصور .. والحروب.. ومنها : «ادرين» جاسوسة البوسفور ، القطة ، هيلينا الحسناء ، جاسوسة فى سفارة لندن ، ألمانية فى بريطانيا ، جاسوسة اسرائيل ، ابنة ماتاهارى ، زوجة الخائن ، ذو اللحية الحمراء ، طبيب فى الحب ، جاسوسة من كوريا ... الخ


ASHENDEN
by
W SOMERSET
MAUGHAM
سومرست موم
غرام قاتل
قصة واقعية من قصص الجاسوسية العالمية

الكاتب



فى فيلا (موريسك) الفاخرة بضاحية (كاب فيرا) - على شاطىء الريفييرا الفرنسية - يعيش (سومرست موم) هذه الايام ، وقد بلغ السابعة والسبعين ، معيشة تحوطها اسباب الرفاهية والترف .. ومع ذلك فان المؤلف الذى سود عشرات الآلاف من الصفحات خلال أكثر من خمسين عاما ، لا يستطيع أن يهجر الكتابة .. فهو لا يكاد يفرغ من تناول افطاره ، فى الساعة الثامنة صباحا بالضبط ، حتى يجلس الى مكتبه فيدير ظهره لمناظر الطبيعة الساحرة فى تلك البلاد ، للسماء والبحر والصخور ·· ويتناول قلمه ليكتب .

ولد سومرست موم سنة ١٨٧٤ ، فى باريس ، حيث كان والده يشغل منصب المستشار القانونى للسفارة الانجليزية بها ·· ثم ماتت امه بالسل وهو فى الثامنة ، ولحق بها ابوه فى العام التالى ، فانتقل الصبى الى اهله فى لندن ، حيث التحق عام ١٨٩٢ بكلية الطب ·· لكنه كان يهوى الادب ، فخرج من تجاربه فى الاختلاط بالمرضى فى احقر احياء لندن ، بقصته الاولى (ليزا ، غادة حى لامبث) ، وكان يومئذ فى الثالثة والعشرين ··

ومارس موم هوايته المفضلة أحد عشر عاما ، عاشها فقيرا مغمورا ·· حتى مثلت رواية له على المسرح سنة ١٩٠٧ ، فلاقت من النجاح ما جعل المخرجين يتهافتون على تقديم بقية مسرحياته للجمهور ·· ثم اصيب موم عام ١٩١٥ بمرض السل ، فانتقل الى سويسرا ·· حيث استعان على كسب معاشه بالعمل فى قلم المخابرات السرية البريطانية ، وهناك جرت له وقائع القصة الواقعية التى نقرأها على هذه الصفحات ··

ثم أصيب موم بانهيار عصبى ، سافر ليستشفى منه فى بحار الجنوب ، فخرج من رحلته بعشرات القصص التى تدور حوادثها فى تلك البلاد ·· ثم عاد ليستأنف عمله فى التجسس لحساب وطنه على الروس فى هذه المرة !··· وعند عودته من روسيا ، نصحه الاطباء بالاستشفاء فى احدى مصحات اسكتلندا لمدة عامين ، خرج بعدهما ليستأنف الكتابة ·· طيلة الثلاثين سنة الاخيرة حتى لقد اربت مؤلفاته على الستين كتابا ، من القصص والمسرحيات والمقالات ·· الخ

•

◆ ثبت فى الرئيس عينيه النفاذتين ثم قال لى بصوته البين المقاطع : « لك عندى عمل جديد » ٠٠ وصمت قليلا ثم استطرد : « هل تعرف من يدعى « شندرالال ؟ » ٠٠ فلما أجبته سلبا لم ينبس ، وانما أخرج لى من مكتبه صورة « فوتوغرافية » متوسطة الحجم وضعها أمامى ، فطالعنى منها وجه من تلك الوجوه الشرقية التى نعهدها فى مهراجات الهند ، يميل صاحبه الى البدانة ، وان تكن عيناه الواسعتان وعمامته الكبيرة قد أضفت عليـــه وقارا ومهابة ٠٠٠ وعاد محدثى يسألنى :

ــ ماذا ترى فى الرجل ؟

ــ أراه ذا شخصية لا تخلو من قوة

وما أتممت عبارتى هـــذه ، حتى أخرج لى من مكتبه ملفا صغيرا عليه اسم الرجل ، فوجدت فيه ورقتين تتضمنان موجز سيرته : **فاذا هو محام من كلكتا شغفته السياسة فانصرف اليها فى حماسة ، وقد استطاع أن يقيم حكومة الهند ويقعدها بحوادث القلاقل التى يدبرها فى حنكة ثم يروغ روغان الثعلب من قبضة المطاردين والمتربصين !٠٠ ولكن لم تكد تعلن الحرب العالمية حتى هرب الى أمريكا ، وتسلل منها الى السويد ، ثم استقر آخر الامر فى برلين، يدير منها خطط القلاقل التى يثيرها أعوانه الكثيرون فى الهند!٠٠ وأضاف التقرير الى هذا أن صاحبنا قد خلف وراءه فى وطنه زوجة وولدين ، وانه رجل مستقيم السيرة ، ليس له**

هوى فى النساء ٠٠ لا يدخن ولا يشرب الخمر ٠٠ نظيف اليد ، لا سبيل الى شراء ذمته أو رأيه بالمال ٠٠ وهو فوق هذا مناضل شجاع ، شديد الحذر ، دائم النشاط ، ذو همة لا تفتر !

رجل لا يهوى النساء ٠٠ ولكن ؟

◆ وما أن فرغت من استيعاب هذا كله حتى أعدت الملف الى الرئيس وأنا أقول فى لهجة المأخوذ :

ـ أرى الرجل خصما عنيدا صعب المراس !

ـ هو ذاك ، بل انه أخطر من أنجبت الهند من المتآمرين ٠ وقد ظللت أترصده عاما كاملا دون جدوى !

وصمت قليلا ، ثم تصلبت عضلات وجهه وضرب المائدة بجماع يده ٠٠ ثم أردف وهو يدنى وجهه منى كالمتحفز للوثوب :

ـ أما الآن يا صاح فقد حانت الفرصة بعد طول انتظار ٠٠ وأقسم لانتهزنها !

وسرت فى جسدى من لهجته رعدة ، على ما فى طبعى من صلابة وقوة مراس :

ـ وماذا تراك صانع به اذا وقع فى يدك ؟

ـ أعدمه رميا بالرصاص ، وفى الحال !٠٠ فان نشاطه الخطر يعرقل مجهود الحلفاء فى الحرب ٠٠

قالها بلهجة قاطعة مكتومة الرنين زادت فى توجسى الخفى من هذه المهمة ! ٠٠ ثم سكت لحظة ، عاد خلالها الى مألوف هدوئه ٠٠ واستطرد يسألنى :

ـ أرأيت الفقرة التى يذكرفيها التقرير ان الرجل لا يهوى النساء ؟ لقد كان هذا صحيحا فيما مضى ٠٠٠ أما الآن ٠٠؟

وناولنى مجموعة من الخطابات يضمها شريط من الخيط الازرق :

ـ هذه خطاباته الغرامية ، خذها فستنفعك تلاوتها في فهم ملابسات الموضوع ٠٠ وسترى منها أن حبيبته امرأة ايطالية تدعى « جوليا لاراى » ٠٠ وهو جد مفتون بها !

ـ ترى من أى طراز من النساء هى ؟

ـ انها راقصة مغنية من الطبقـــة الدنيا ٠٠ تغنى فى الحانات الرخيصة ، وترقص رقصا تزعمه اســـبانيا ٠٠ وقد طوفت بأقطار أوربا جميعا خلال هذه السنوات الاخيرة ، وأتاح لها زواجها من اسباني أن تدخل ألمـــانيا خلال الحرب ، حيث عملت فى حانات برلين ٠٠ وهناك التقت بشندرالال ، وأغرم كل منهما بصاحبه غراما شديدا ٠٠ وما ان انقضت بضعة أشهر على حلولها ببرلين ، حتى أخرجت بين يوم وليلة من ألمانيا باعتبارها شخصا « غير مرغوب فيه »، فطلبت الاذن بدخول انجلترا للعمل فيها! ٠٠ وهى لعبة قديمة قدم الحرب نفسها، أن تغضب الحكومة على فرد معين وتنفيه ليحتضنه أعداؤها فيسهل عليه أن يكون جاسوسا عليهم للبلد التى اصطنعت الغضب عليه ٠٠!

ولكننا سمحنا لها ـ عامدين ـ بدخول انجلترا ، وأغلب الظن أننا كنا من المهارة بحيث لم تدرك الغبية انها كانت خاضعة لرقابة شديدة تحصى عليها الحركة والسكون !٠٠ وثبت لدينا بوسائل ملتوية انها تراسل شندرالال اسبوعيا عن طريق عنوان مزعوم فى هولندا ، وقد تكرر فى خطاباتها ذكر أخبار هامة تود الافضاء بها اليه عندما تلقاه فى هولندا حين تسنح الفرصـــة لذلك ٠٠ وكانت هى خلال هذه الفترة تولى بعض « الشبان » من ضباط بحرية جلالة الملك اهتماما خاصا ٠٠ وتوطد صلتها

بهم ٠٠! حتى تجمع لدينا ضدها منذ اسبوعين ما يكفى لادانة فيلق من الجواسيس ، فقبضنا عليها ٠٠!

وسكت الرئيس برهة ثم ابتسم ابتسامة خفيفة تفيض مكرا وقسوة وعاد الى حديثه :

ـ وقد تركناها اسبوعا كاملا فى سجن رهيب راعينا أن يكون أسوأ سجون العالم نظاما وأقساها ، دون أن نوجه اليها تهمة ما أو ندعها تعرف شيئا عما تحت يدنا من أدلة ضدها !٠٠ حتى جاءتنى الاخبار ان أعصابها قد تهدمت وأصبحت مسلوبة الارادة ، تهذى هذيان المحموم ٠٠ فذهبت الى زنزانتها وأفهمتها بما لا يدع للشك مجالا ، انه لا مفر من الحكم عليها بقضاء عشر سنين على الاقل فى هذا السجن المروع ! ـ ولك أن تتصور مبلغ جزعها وخوار نفسها لهذا النبأ ! ـ وأخيرا قلت لها انهناك بارقة أمل واحدة فى نجاتها : هى أن تستدرج شندرالال الى مقابلتها على الحدود الفرنسية السويسرية !٠٠ فترددت التعسة بادىء الامر ٠٠ ولكنها لم تلبث أن لانت عندما رأتنى أستدعى السجان ليغلق عليها الباب بعد أن أنصرف ٠٠

وتوقف رئيسى عن الكلام لحظة ٠٠ ثم نظر الى وأردف :

ـ وعليك الآن يا صاح مهمة اصطحابها الى فرنسا وارغامها على اتخاذ ما يلزم لاستدراج الصيد الى الكمين !

فتش عن المرأة !

◆ ولكن صيد الثعالب أمر عسير ! ٠٠ لهذا كان على أن أتذرع بالاناة والحيلة حتى لا ينكشف الامر كله وتضيع الفرصة الفريدة ضياع الأبد ٠٠ فبدأت باستكتاب جوليا خطابا الى صاحبها تذكر له فيه استحالة الحصول على اذن بالسفر الى



هولندا ، كى تلقاه ٠٠ بعكس السفر الى سويسرا فانه سهل ميسور ٠٠ فضلا عن كونهـــا بلدا محايدا لا خطر عليه فى أن يقصد اليه !٠ ثم جعلتها تضرب له فى نهاية الخطاب موعـــدا للقاء فى فنــــدق عينته له فى مدينة « لوزان » ٠٠!

◆ **ورحلت معها الى«تونون»، وهى بلدة على الحدود الفرنسية تشرف عـــلى بحيرة لوران ، فى مواجهة تلك المدينة ٠٠ وكانت الرحلة شاقة مضنية للاعصاب، فقـــد كانت المرأة فى حـــالة اعياء شديد ٠٠ وبرغم ذلك فانها أبت أن تمس الطعام!٠٠ ولمحت على وجهها طول الوقت امارات معركة باطنية حامية الوطيس : فالنجاة مرة ، والهلاك أمر !٠٠ ولو كان الموت هو ما يتوعدونها به لكان الامر على نفسها أخف وأهون ، أما وهو البقاء فى ذلك السجن الرهيب عشر سنوات ، فذلك ما لا قبل لها به مهما كان الثمن ، وهى المرأة العـــابثة التى تعودت من دهرها التحرر والانطلاق ، والحياة الصارخة الالوان ٠٠!**

◆ وفى (تونون) استكتبت « جـــوليا » تذكرة بريد الى صاحبها بعنوان الفندق الذى تواعدت معه على اللقاء فيه ، ذكرت له فيها بايجاز انها فوجئت عند اجتياز الحدود ببعض الحوائل التى عاقتها ، لكن هذه الحوائل لن تلبث أن تذلل ، وما عليه الا أن ينتظرها بعض الوقت فى لوزان حيث هو ٠٠!

ولما كانت طبيعة عمل الجاسوس تقتضيه أن يبعد عن نفسه كل شبهة فى ذلك ، فقد صرفت حراسنا من الجنود الفرنسيين،

وأفهمت المرأة انها حرة تذهب أين تشاء ٠٠ بشرط ألا ترحل عن (تونون) ، وألا تحاول الاتصال بصاحبها دون علمي !٠٠ لكني لم أطمئن طبعا الى وعدها باحترام هذين الشرطين، فأطلقت وراءها عيوني يرصدون حركاتها وهي لا تدري !

وهكذا تبين لي أنها حاولت ، من أول يوم ، أن ترحل الى سويسرا دون جواز سفر!٠٠ لكنها عجزت عن ذلك٠٠ ثم حاولت رشوة حراس الحدود ، فسخروا منها وردوها خائبة!٠٠ وبلغني ذلك كله في حينه ، لكني لم أقم له وزنا أو أطلعها على علمي به، فلم يكن من بأس على في أن يوهن الوعل تحرنه بنطاح الصخرة ما طاب له النطاح ٠٠!

هل يقع الصيد في الفخ ؟

◆ وفي الغداة ذهبت الى لقائها ، فقابلتني أسوأ استقبال ، وهي تبكي وتسب !٠٠ فجلست أدخن غليوني كأن ليس في الحجرة سواي ، حتى انتهت من ثورتها ونحيبها فقلت لها في هدوء :

ـ هل جفت دموعك ؟ هذا خير ٠٠ أرجو اذن أن تكتبي الى صاحبك خطابا تقولين له فيه انه قد استحال عليك عبور الحدود ، وان هذا المكان الذي تعيشين فيه مكان هادىء وجميل، لا يكاد الانسان يحس فيه بوطأة الحرب المستعرة الاوار حوله في كل مكان ، وانه يحسن أن يوافيك هنا ٠٠

ـ أتحسبونه غرا ؟ هبه رفض الحضور ؟

ـ عليك عندئذ أن تعيدي المحاولة حتى يرضخ لرغبتك

ـ أتعني أنه لو رفض الحضور فلا بد من سجني ؟

ـ طبعا ٠٠ اما أنت ٠٠ واما هو !



وكتبت الخطاب ٠٠ وجعلتها تضـــيف فى آخره أن الذى يحمله اليه سويسرى ثقة، وانها آثرت عدم ارســـال الخطاب بالبريد حتى لا يفتحه الرقيب٠٠ وغنى عن الايضـــاح ان ذلك « السويسرى الثقــة » كان من معاونى وجواسيسى ٠٠!

وجاء الرسول برد الهنــدى الماكر، فاذا به حافل بالشوق وبالاعتذار فى آن واحــد ، وقد ختمه بعبارة قصد بها الى المزاح ولكنها جاءت من وحى الغيب : « اخالك يا حبيبتى غير مشوقة الى رؤية صديقك السمين يعدم برصاص فصيلة من الجنود !»٠٠

ـ ألم أقل لكم انه لن يأتى ؟ انه أذكى منكم جميعا ، ولن تنالوه أبدا ٠٠ لن تنالوه أبدا !٠٠ أتسمعون ؟

ـ فلنحاول مرة أخرى ٠٠ اكتبى اليه انك غاضبة ، وقولى له انه لا خطر هناك ولا مخاطرة ؟ وانه انما يحتال بهذه الاوهام لان حبه لك قد انتهى !

ـ لا أستطيع !

وانطلقت فى ثورة أخرى هستيرية باكية ، تركتها تأخذ مجراها المألوف وأنا أدخن غليونى على الاريكة بجانب الباب ، حتى انتهت « جوليا » من هياجها وبكائها ، وعندئذ أمليت عليها الخطاب الذي أردته ٠٠ فكتبته !

عندما تحب « بائعة الهوى » !

◆ وفى الصباح التالى جاءنى فى مستقرى من أخبرنى انها حاولت أن ترشو بعض النوتية لينقلها عبر البحيرة الى لوزان تحت جنح الليل ، وذهبت فى سبيل ذلك الى حد اغرائه بنفسها !٠٠ فلما رفض هذا العرض أيضا ، كلفته ـ لقاء مبلغ دسم من المال ـ بأن يحمل خطابا منها الى صاحبها !٠٠

ولكن النوتية فى نقط الحدود على صلة دائمة برجال المخابرات السرية ، ولهذا فقد أوصلوا خطابها ، ولكن الى يدى أنا ، لا الى صاحبها « شندرالال » !٠٠ واذا هى تقول له بايجاز : « لا تقم وزنا لخطاباتى السابقة ، فانه ليست غير شرك منصوب لك ٠٠ فحذار من أن تحضر يا حبيبى ، وكان الله فى عونى ! »

انقبض قلبى اشفاقا على هذه المرأة التى تحب وتخاطر بعمرها من أجل صاحبها !٠٠ ومن هى ؟ بائعة هوى !٠٠ وأحسست أن تلك النغمة من الاخلاص والطهر كانت خليقة بالاشفاق والرعاية من جانبى ولكن ٠٠ ولكننى طويت الورقة فى صمت ودسستها فى جيبى !

◆ وبعد قليل جاء رسول من طرف « شندرالال » لا تخطىء العين فيه سمة الصدق ، صدق العبارة وصدق الاحساس ، يحمل الى صاحبته رسالة يرجوها فيها أن تكف عن دعوته اليها، فان الخطر كبير ، ولكن حبه لها أكبر وأقوى ٠٠ فلو انها واصلت الطلب والدعوة للباها ، وليكن بعد ذلك ما يكون !٠٠ ولكنه يسألها باسم حبهما ألا تفعل ، حتى تبقى على حبيبها ٠٠ وطفق يصف لها بعبارة مؤثرة كيف قضى ليلته على الشاطىء المواجه لمقامها ، وهو مضطرب كالمحموم ، لا يدرى ماذا يفعل وهو

يرى أمام ناظريه أنوار تونون ـ حيث تقيم هى ـ على قيد البصر منه ٠٠ دون أن يستطيع بلوغها !٠٠ وختم رسالته قائلا انه لم يشعر فى حياته بالعجز والقهر كما شعر بهما فى تلك الساعة!

واستجمعت كل شجاعتى ومرونة أعصابى ورباطة جأشى ـ وكنت فى أشد الحاجة اليها جميعا ـ وذهبت الى حجرة جوليا، فواجهتها ـ وأنا أصطنع الهدوء ـ بخطابها الذى كلفت النوتى بحمله الى صاحبها ، فحمله بدلا من ذلك الى ٠٠ فلم تكد المسكينة تراه فى يدى حتى خلتها تكاد تصعق جزعا ولوعة٠٠ ثم انفجرت باكيـــة !

وعندما طلبت اليها ـ بعد أن هدأت نوبتها ـ أن تستجمع حواسها لكتابة رسالة أخرى الى حبيبها ، أبت على ذلك اباء شديدا ، عجزت عن أن أثنيها عنه ٠٠ ولم يجد معها التوعـد باعادتها الى سجنها البغيض ، فلم أجد بدا من استدعاء الجند وتكبيلها بالاغلال فى خشونة بالغة ، ودفعها أمامهم فى فظاظة الى الباب، حتى بدأت تحس بجو السجن احساسا واقعيا ملموسا ٠٠ وعندئذ فقط رضخت لارادتى فكتبت الخطاب، ودمعها يهطل فيلطخ الورق ويختلط بالحبر ٠٠!

قالت له فى خطابها ـ أو بالاحرى قلت أنا وأنا أمليها اياه، بين فترات من نشيجها المكتوم : « **ما كنت أحسب اننى أحببت جبانا رعديدا لا يقيم وزنا للعهود والمواثيق ، ولكن لو انك كنت تحبنى كما تزعم لما استطعت أن ترفض الحضور الى بالغا ما بلغ حرصك على الحياة وتوجسك من الاوهام !٠٠ فعد يا صاحبى الى برلين، فهى آمن لك، ودعنى أنا أذهب الى باريس حيث ينتظرنى على أحر من الجمر رجل موسر كان قد عرض على أسخى العروض فرفضتها ـ وما أحمقنى ـ من أجل رجل خائر من طرازك !٠٠ ولتعلم انى أبرقت الساعة اليه ، وسأوافيه متى جاءنى رده ٠٠ وختاما فانى لستِ ألومكِ يا صاحبى ، فالحب طلبتى لا الصدقة ،**

ولعلك أدركت الآن أنه لم يعد من الخير أن أضيع من حياتى فى انتظارك أكثر مما ضيعت ! »

وجاءنى الرسول برد من صاحبنا على هذا الخطاب، ولكننى أعدته به دون أن أفضه ، موصيا اياه بأن يقول للرجل أن السيدة أبت أن تتسلم خطابه ، وانه لا جدوى من ارساله بكتاب آخر اليها ، لانها تحزم حقائبها استعدادا للرحيل !

عندما يتخاذل الرجال !

• وفعلت هذه الحيلة فعلها ، فسعى الرجل الى حتفـــه بقدميه !٠٠ وقبض عليه وهو يهم بالنزول الى الشاطىء الفرنسى، فأودع حجرة فى بناء الجمرك ريثمـــا أحضر ٠٠ لكنه غافل الحاضرين وهو يتظاهر بخلع معطفـــه وشرب السم من انبوبة صغيرة كان يحملها معه ، فقضى لتوه قبيل وصولى !

هل ساورنى الالم لمصرعه ؟ لا شك فى هذا !٠٠ فقد كان عسيرا على نفسى أن تتقبل بالارتياح اعدام وطنى مناضل ذكى مثله جدير بكل تقدير ٠٠

وعدت الى جوليا ـ اداری خجلى من نفسى ومنها ـ لاهيىء لها أسباب الرحيل الى اسبانيا ، ثمنا لخدماتها !٠٠ فوجدتهـا جالسة الى المرآة ، تتزين ٠٠ وابتدرتنى بقولها :

ـ ما بالك شاحب الوجه ؟

ـ انه ٠٠٠ مات !

ـ ها ! لقد تجرع السم اذن !٠٠ لقد أفلت منكم ٠٠ ألم أقل لكم مرارا انكم لن تنالوه ؟

ـ ولكن ، من أخبرك بقصة السم ؟

فقالت فى زهو :

ـ لقد كنت أعلم انه يحمله معه على الدوام ، استعدادا لمثل هذا الموقف !

وكانت هادئة تمام الهـــدوء ، حتى كأنها ليست المرأة الهستيرية التى هدمت أعصابى طوال الاســـبوع الاخير !٠٠ فسألتها عما اذا كانت تبغى رؤيته، فقالت بصوت متزن النبرات:

ـ لا ٠٠ ولماذا أراه ؟

قلب المرأة ٠٠!

◆ وأخذت تحزم حقائبها ، وفيما هى مشغولة بذلك توقفت فجأة ونظرت الى ، فقلت لها :

ـ ماذا ؟

ـ أريد أن أسألك معروفا ، فان لك قلبا عطوفا تحت هذه الغشاوة من الجمود ٠٠

ـ سلى ما تشـــائين ، وثقى اننى أقضـــيه ما دام فى استطاعتى ٠٠

ـ ماذا ستصنعون بما وجدتم معه من أشياء ؟

ـ لا أدرى ٠٠ لماذا ؟

فنظرت الى نظرة ضراعة وتوسل ، وقالت :

ـ الساعة ٠٠٠

ـ أية ساعة ؟

ـ الساعة التى يحملها ، اننى أنا التى أهديتها اليه فى عيد الميلاد المنصرم ٠٠ وقد كلفتنى كثيرا ، اثنى عشر جنيها ، فهل من المستطاع أن أستردها لابيعها ؟

فأعطيتها اياها ، وفى قلبى غصة ٠٠ ٠لان تلك الجذوة من العاطفة العلوية قد انتهت الى الاهتمام بالتافه الزهيـــد من عروض الحياة ٠٠٠

ولكنها الحياة ٠٠!

الجريمة.. والعقاب



المحاكمات الكبرى

في الماضي والحاضر

عزيزي القارىء ...

ان المتصفح لدوسيهات المحاكم وسجلات القضايا والمحاكم الجنائية ، يجد فيها من القصص والصور النفسيه ، والماسي أو المهازل الانسانية ، ما يفوق في روعته اعظم ما تتفتق عنه قرائح الروائيين والمؤلفين .. وستجد في هذا الباب في الاعداد التالية بمشيئة الله ، مجموعة شائقة منوعة من هذه المحاكمات الجنائية التي جرت وقائعها في مختلف بلاد الغرب والشرق ، والتي كانت المحاكم فيها مسرحا هائلا مثلت عليه قصص تزري بالتي تمثل على خشبات المسارح في دور اللهو .. ومعرضا مفجعا لنزوات النفس البشرية في كل زمان ومكان !

وقد قدمت لك في كتابي السابق قصة محاكمة ملكة الجمال الباريسية (جورجيت هودو) ، وهي المحاكمة التي تمثل قصة الصراع الازلي بين العشيقات والزوجات ، عندما ينتهي بالعشيقة المهجورة الى ارتكاب الجريمة ، انتقاما من العشيق الذي تزوج ! .. وهي كما تعلم مشكلة متغلغلة في كل مجتمع ، وكل بلد ، تنخر كالسوس في بنيان الهناء العائلي لكثير من الاسر والبيوت .

.. واليوم أقدم لك فيما يلي محاكمة من نوع آخر ، كشفت عن مشكلة خطيرة هددت أمن الافراد زمنا حتى اضطرت الدولة الى معالجتها بتغيير نص هام من نصوص القانون .. كما سترى



جثث للبيع!
القضية الجنائية التى أحدثت انقلابا فى القانون!
للمحقق الإنجليزى مونتجمرى هايد
THE CASE OF
BURKE AND HARE
by
H MONTGOMERY
HYDE

◆ فى ليلة ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٢٧ شوهد رجلان غريبان يسيران متلصصين فى اتجاه بناء كلية الطب بجهة « ساوث بريدج » بمدينة أدنبرة .. واذ صادفا فى الطريق طالبا من طلبة الجامعة سألاه عن مقر الدكتور « مونرو» أستاذ التشريح بالكلية .. لكن المصادفة شاءت أن يكون الطالب المذكور من تلاميذ أستاذ آخر للتشريح يدرس العلم نفسه بكلية الجراحين القريبة ، هو دكتور «نوكس» .. فأشارعليهماصاحبنا بالتوجه الى الاخير فى مقره بميدان « سارجان » رقم ١٠ .. فاستدار الرجلان ومضيا فى الاتجاه الذى أرشدهما اليه ..

وحين وصلا الى مقر الدكتور نوكس استقبلهما ثلاثة من مساعدى الجراح الكبير كانوا يؤدون نوبة عملهم الليلى فى مؤسسته .. **وبعد حديث تمهيدى يشوبه التحفظ ، أفصح الرجلان عن نيتهما ، قائلين ان عندهما جثة يملكان التصرف فيها !.. فقد سمعا ان الحصول على جثث لاستخدامها فى الدراسة والتشريح أمر متعذر ، وانالثمن الذىيدفعه الراغبون فى الحصول على جثة لهذا الغرض يبلغ أحيانا عشرة جنيهات !**

وتم الاتفاق على الصفقة فى الحال .. وفى ساعة متأخرة من تلك الليلة ذاتها سلمت «البضاعة» داخل جوال !.. وبعد أن تولى الجراح الكبير فحصها بنفسه دفع مقابلا لها مبلغ سبعة جنيهات وعشرة شلنات .. وقبيل انصراف البائعين أعرب لهما المساعدون الثلاثة عن ترحيبهما بالتعامل معهما كلما حصلا على جثة جديدة ..!

محاكمة أحدثت دويا ..!

◆ ولو تتبعنا حياة المساعدين الثلاثة الشبان فى الاعوام

التالية لرأيناهم ينبغون فى الجراحة ويتسلقون سلم الشهرة والمجد ، فيعرفون بأسماء : سير وليم فرجسون ، وتوماس هوارتون جونز ، وألكسندر ميللر !٠٠ أما أستاذهم دكتور روبرت نوكس ، الذى كان قد نبغ فى سن مبكرة ـ لم تك تتجاوز يومئذ السادسة والثلاثين ـ فان ذلك الحادث جلب عليه الكثير من المتاعب والنتائج السيئة ٠٠

وأما بائعا الجثة ، وكان أحدهما يدعى «بيرك» والآخر «هير» ، فقد قفز اسماهما فجأة الى الصفحات الاولى من صحف انجلترا بأسرها ، يوم قدما الى المحاكمة فانكشف من جرائمهما البشعة ماشغل الاذهان فترة طويلة ، وجعل محاكمتهما أشهر محاكمة فى تاريخ القضاء الاسكتلندى على الاطلاق ٠٠!

بل ان تلك المحاكمة كانت السبب المباشر فى تعديل احدى مواد قانون العقوبات الانجليزى ـ كما سيجىء ٠٠! ثم فى ادخال لفظ جديد على قاموس اللغة الانجليزية ، هو لفظ To Burke ـ نسبة الى اسم المتهم الاول ـ وقد صار معناه فى اللغة اليوم : «يقتل خنقا ٠٠ أويزهق الانفاس »!

ماضى المتهمين ٠٠

◆ كان « وليم بيرك » و «وليم هير » ايرلنديان نزحا الى اسكتلندة قبل ذلك التاريخ بسنوات كى يشتغلا « عاملين » فى انشاء قناة «يونيون» ٠٠ وكان كلاهما فى سن الخامسة والثلاثين ، ذاخلق وضيع ، ومكر ، وقسوة ، ولوأن « بيرك » كان أكفأ من زميله وأذكى ، وأفصح منطقا ولسانا ٠٠ بينما كان هير أقوى فى الجسم وأقسى قلبا وأكثر توحشا ٠٠!

وكانا يعيشان سويا فى «بنسيون» متواضع تملكه زوجة ثانيهما «مسز هير» ، وتتولى ادارته خليلة الاول ، وهى امرأة ذات سيرة مريبة تدعى مسز هيلين ماكدوجال ٠٠

وقد حدث فى اليوم السابق لزيارة الرجلين لاستاذ التشريح ، أن توفى شخص من قاطنى البنسيون يدعى «دونالد» ، كان مجندا متقاعدا من مجندى الجيش القدامى ٠٠ وقد اعتلت صحته شيئا فشيئا ، حتى عجل بخاتمته أمران كانا مألوفين فى ذلك الوسط والحى اللذين يعيش فيهما ، هما ادمان الخمر ، والاهمال ٠٠

وحين أدركت الرجل منيته ، كان مستحقا عليه أجر اقامته فى البنسيون ـ وقدره أربعة جنيهات ٠٠ **ومن هنا ومضت فى ذهن «هير» تلك الفكرة الجهنمية : فكرة أن يتقاضى دينه هذا من جثة الميت ، ببيعها الى طبيب من المشتغلين بالتشريح ٠٠ وكان صاحبنا يعلم عن يقين ان أولئك الجراحين كثيرا مايحصلون على حاجتهم من تلك الجثث من اللصوص وحفارى القبور الذين يكسبون معاشهم من نبش المقابر وبيع جثث الموتى اوحليهم وأسنانهم الذهبية ٠٠ الخ**

◆ وكانت الخطوة الاولى التى خطاها «هير» فى هذا السبيل أنه كاشف بسره هذا زميله «بيرك» القاطن معه فى بنسيونه ، فلما استوثق من استعداده لمشاركته فى مشروعه مضى الاثنان فحصلا من مدبغة قريبة على كمية من الجلود ولحاء الشجر وكتان أشرعة المراكب ، ثم عادا الى الحانة ـ أو البنسيون ـ ففتحا نعش الميت ، الذى كان حانوتى الضاحية قد أغلقه وثبته بالمسامير ٠٠ فأخرجا منه الجثة ووضعا مكانها كمية من تلك

الجلود والكتان تعادل وزنها ، كى لايكتشف الحانوتى الامر ..
ثم خرجا متلصصين يبحثان عن جراح يشترى منهما الجثــة ..

الشركة الجهنمية !

◆ فى تلك الايام لم يكن لدى الجراحين وأساتذة التشريح مورد «رسمى» يحصلون منه على الجثث اللازمة لابحاثهم غــير مايتاح لهم بين الحين والحين من الاستئثار بجثة منتحــر ، أو طفل لقيط ، أويتيم مات فى اصلاحية الاحداث ، أومجرم مات في السجن فصرحت لهم الدولة بالتصرف فى جثته !.. وفيما عدا هذه المصادفات النادرة كان القانون يحرم على أى انســان أن يتصرف حتى فى جثث أفراد أسرته لهذا الغرض .. ومن هنا راجت ـ فى القرن الثامن عشر ـ تجارة نابشى القبور .. حتى بلغت ذروتها فى أوائل القرن التاسع عشر .. لكن توريد الجثث للاطباء عن هذا الطريق عاد فتضاءل قبيل اشـــــتغال «بيرك » و «هير» به بفترة وجيزة ، ويرجع تضاؤله لسببـين : أولهما شيوع عادة دفن الموتى فى نعوش حديدية محكمة ... والسبب الثانى لجوء أفراد الطبقات الموسرة الى تشديدالحراسة على مقابر موتاهم ..!

فلما مات ذلك المجند المتقاعد ، في بنسيون «هير» ، وافلح الاخير فى بيع جثته مقابل سبعة جنيهات ، بدا المذكور يتحين الفرص لتكرار تلك الصفقة التى تدر عليه المال بهـذا السخاء وهذه السهولة !.. فوضع مع زميله « بيرك » خطة للاثراء من بيع الجثث ، ولكن بطريقة أبسط خطرامن نبش المقابر ..وفى الوقت نفسه أكثر «نشاطا» من الانتظار حتى تسوق لهما المصادفة نزيلا يموت فى حانتهما « ميتة طبيعية » ..!

وهكذا أسس الزميلان تلك الشركة الجهنمية !

منجم للذهب !

◆ وقد حانت فرصتهما الاولى فى أحد أيام ربيع سنة ١٨٢٨ ، يوم مرض بالحمى نزيل من نزلاء البنسيون ، وكان «طحانا» يدعى جوزيف ، فخشى «هير» أن يؤثر ذلك فى اقبال النزلاء الآخرين على الاقامة فى البنسيون .. **فمضى مع شريكه «بيرك» الى فراش النزيل المريض ، الذى كانت الحمى قد أضعفته بطبيعة الحال عن ابداء أية مقاومة جدية ، فوضع الشريران وسادة على وجهه ، ولبثا يضغطانها عليه حتى مات التعس مختنقا ..!**

وأخذت الجثة طريقها المرسوم الى عيادة الجراح الكبير الذى دفع فيها هذه المرة عشرة جنيهات كاملة ، فقد كانت فى حالة جيدة ، ماتزال ساخنة بآثار الحياة !

وأقنعت « السهولة » التى تم بها الامر كله صاحبينا « هير » و « بيرك » بأنهما قد اكتشفا المنجم الذهبى الذى سوف يدر عليهما المال الوفير ..

وقد بدا فى الشهور الاولى أنهما كانا على حق فى هذا الاعتقاد .. فخلال العام التالى ارتكب الآثمان لأقل من خمس عشرة جريمة من هذا القبيل .. أخذت جثث ضحاياها جميعا طريقها الى مشرحة الدكتور نوكس .. قبل أن يكتشف السر الرهيب !

وكانت الخطة التى ألف المجرمان اتباعها للتخلص من ضحاياهم ـ الذين كانوا ينتمون عادة الى أفقر الطبقات ، التى

من مستوى ذلك البنسيون - انهما كانا يغـــريان ضحيتهما بالافراط فى شرب الخمر ، حتى يثمل ، وعندئذ يخنقـــانه بسهولة لايبدو معها على جثته أى أثر لاستعمال العنف !

◆ وكان بعض أولئك الضحايا على درجة من الفاقة تثـــير الاشجان حقا ، ومنهم خادمة تدعى « مسز هوسلر» ماتت وهى قابضة بشدة على أجر يومها المتواضع ، وقدره تسعة بنسات ونصف بنس ، بحيث عجز القاتلان عن انتزاعه من قبضـــتها حتى بعد موتها !

الجمال القتيل ٠٠ على المشرحة !

◆ وقد ثبت من التحقيق ان القاتلين كانا يجيبان عـــلى أى سؤال محرج يوجهه اليهما الجراح أومساعدوه بشأن مصـــدر الجثث التى يوردانها اليهم ، زاعمين أنهما يشتريانها من أقارب المتوفين أوأصدقائهم ٠٠ وقد وجه المسئولون فيمابعد انتقادا شديدا الى دكتور نوكس ، لعدم تحريه صحة ذلك الزعم بمزيد من الدقة ٠٠ لكن الانصاف يقتضى المحقق أن يبرئه من تهمة الاهمال فى هذا الصدد ، فان أقوال المجـــرمين كانت بادية الصدق فى الواقع ٠٠ من قبيل ذلك أن المجرمين **باعا الى الطبيب يوما جثة فتاة من بنات الهوى تدعى مارى باترسون ، كان جمالها الرائع حديث المدينة بأسرها فى ذلك الحـين ٠٠ فشـــاءت المصادفة أن يتعرف على شخصية الفتاة طالب من الحاضرين كان قد قضى معها ليلة قبل «وفاتها» بأيام !٠٠ فسأل الرجلين عن مصدر حصولهما على الجثة ، فأجابه بيرك بأنه قد اشـــتراها من عجوز شمطاء عثرت عليها فى احـــدى الحانات بعد أن قتلها**



الافراط فى الخمر !٠٠ ونظرا لان رائحة الخمر كانت تفوح من الجثة ، فقد صدق القوم رواية الرجل !٠٠

ووجدفيها الطبيب الكبير نموذجا نادرا للجسم الانثوى المتناسب التكوين ، فأغرق الجثة بالمحاليل التى تمنع تعفنها، ثم عرضها على طلبته فى قاعة التشريح الكبرى ، حيث تكأكأ الطلاب حول المنضدة التى رقدت عليها ٠٠ بل لقد أقبل على الكلية الكثيرون من رجال الفن، ليدرسوا نموذجا من نماذج الجمال جدير بأن يسجله مثال من مثالى الاغريق مثل « فيدياس » !٠٠ وبالفعل بلغ من اعجاب طالب من هواة الفن بجسم الفتاة أنه رسم لها لوحة رائعة ماتزال معروضة فى أحد المتاحف الى اليوم ٠٠!

« الكبوة » التى اوقعت بالقاتلين !

◆ وكانت الهفوة التى أدت الى افتضاح المجرمين ، مأدبة شراب ساهرة أقاماها ذات ليلة ودعيا اليها الجيران ، ومعهم امرأة غريبة شمطاء كان بيرك قد صادفها أثناء النهار فى حانة قريبة حين دخلت تسأل صدقة ٠٠ وعلم منها صاحبنا أنها تدعى « دوهرتى » ، وانها قادمة من ايرلندة ، فأجابها من فوره بأن من غرائب المصادفات أن أمه كانت تحمل نفس الاسم ،

وتنحدر من نفس البلد ، وإذن فلابد انهناك صلة قرابة بعيدة بين أسرتيهما !٠٠ وبعد ثرثرة طويلة افلح بيرك فى اقنـــاع العجوز بأن تصحبه الى «المسكن المفجع» الذى يقطنه ٠٠ وهناك رحبت بها كل من مسز «هير» ومسز ماكدوجال ـ خليـــلة بيرك ـ أيما ترحيب ، ثم دعيت الضيفة الى حضور المأدبة التى يعدها القوم ٠٠ بينما خرج بيرك يبحث عن «شريكه» حتىوجده فى احدى الحانات ، فبشره بأن فى البيت «صـــفقة طيبـــة للطبيب ! »

وبدأت السهرة فى حجرة بيرك ٠٠ وكان بين الحاضرين ، عدا قاطنى البنسيون ، اثنتان من الجيران هما مسز لو ومسز كونواى ، ومجند قديم يدعى جراى وزوجته ، وكانا يقطنانفى المنزل لكنهما انتقلا منه فى تلك الليلة فقط كى يتركا مكانا للضيفة الشمطاء ٠٠ وسرعان ما انهمك الحاضرون فى الغنـــاء والرقص والشراب ٠٠ حتىالعجوز قدرقصتحافية القدمين !

وقرب منتصف الليل انصرف الجيران الى بيوتهم ، وبعد فترة أخرى عاد جار آخر لم يدع الى المأدبة يدعى « ألســتون» الى غرفته فى الطابق العلوى من المنزل ٠٠ **فلم يلبث حتىخيل اليه أنه يسمع صوتا نسائيـــا فى الطابق الاســفل يهتف « النجدة ! » ، ثم تلته شهقة كالتى تصدر من انســـان تزهق أنفاسه ٠٠ فهرع الى الطريق ليبحث عن شرطى ، ولـكنه لم يصادف واحدا ٠٠ فعاد الى البيت حيث وجد الهـــدوء شاملا لايوحى بوقوع شىء ٠٠!**

وفى صباح اليوم التالى حضر جراى وزوجتـــه ليتناولا افطارهما فى البنسيون ٠٠ فلما لم يريا أثرا للضيفة الشمطاء

سألا عنها ٠٠ فأجابت خليلة بيرك قائلة فى لغة ســوقية : ان المرأة قد تشاجرت مع بيرك فطردها من البنسيون ٠٠ !

جثة تحت السرير

◆ لكن شكوك مسز جراى لم تلبث أن ثارت ، حين مضت لتأخذ جوربا كانت قد تركته تحت حشية سريرها ، فنهــاها بيرك عن الدخول وأوصـــاها بالابتعاد عن الغرفة !٠٠ **لكنها انتهزت أول فرصة فعادت بعد ذلك خلسة الى الغرفة ٠٠ وكم كان ذعرها وذهولها حين رفعت طرف الحشية ففوجئت برؤية جثة الضيفة الشمطاء عارية تحتها ٠٠!**

وللحال سارعت مسز جراى الى جمع حوائجها وتركت المنزل كى تبلغ الامر الى البوليس ٠٠ وفى الطــريق التقت أولا بمسز ماكدوجال ــ خليـــلة «بيرك» ، ثم بزوجة شريكه «هير» ٠٠ فحاولت كل منهما بدورها أن ترشـــوها بالمال كى لاتشى بمارأت للجهات المختصة !٠٠ لكنها أصرت على عزمهـــا وأفلحت فى الوصول الى مركز البوليس ، حيث سردت كـــل معلوماتها بأمانة ٠٠!

وفى هذه الاثناء كان الرجلان قدسلما طرد « البضاعة » فى مقر عميلهما الطبيب الكبير ، بعد أن أودعاه كالعادة داخل صندوق خشبى من صناديق الشاى ٠٠ وبعد عودتهمـــا الى البنسيون بقليل دهم رجال البوليس المكان ، بصحبة وارشاد مسز جراى ، لكنهم لم يعثروا على أى أثر للجثة ، سواء تحت حشية السرير أوفى اى مكان آخر من البنسيون !٠٠ ورغـم أنهم حين فتشوا غرفة بيرك وجدوا فيها بضع بقع من الدم على

فراشه ، فان خليلته فسرت وجود الدم تفسيرا بدا طبيعيا ومعقولا ..

الى هنا كان مركز القاتلين سليما لاغبار عليه .. لكن الاقدار حين تشاء الايقاع بمجرم لاتعجز عن ايجاد الثغرة التى تنفذ منها العدالة اليه .. فقد سئل بيرك متى رأى العجوز لآخر مرة ؟ فأجاب بأنها قد تركت البنسيون فى الساعة السابعة «صباحا» .. فلما وجه السؤال ذاته الى خليلته مسز ماكدوجال قالت ان المرأة تركت البنسيون فى الساعة السابعة « مساء » !..

وازاء هذا التناقض الواضح ألقى القبض على الاثنين !.. ثم قبض على هير وزوجته بعدهما بقليل .. واستطاع المحققون أن يتوصلوا الى معلومات تثبت تردد المتهمين على مقر الجراح الكبير ، فدهم البوليس المكان وعثر فى مخزن المشرحة على الصندوق الذى فيه جثة العجوز ، وكان مايزال مغلقا ومربوطا بالحبال .. وعند فتحه استطاع الشهود أن يتعرفوا فى الجثة على الضيفة التعسة مسز دوهرتى ..!

لكن الاطباء «الشرعيين» الذين فحصوا الجثة عجزوا عن أن يتبينوا فيها «طبيا» أى أثر يثبت أن صاحبتها ماتت ميتة جنائية !.. وزاد الاشكال تعقيدا ان المتهمين المقبوض عليهم أنكروا أن ابصارهم وقعت على المرأة من قبل ، بحيث بات من العسير اثبات التهمة عليهم أمام القضاء !.. ومن هنا قرر ممثل الاتهام ــ وكان يدعى سير وليم راى ــ أن السبيل الوحيد لتدعيم الاتهام هو اقناع أحد المتهمين بأن يشهد ضد شركائه فيستمتع بحصانة « شاهد الملك » !

◆ وبدأ الرجل بعجم عود الخليلة ـ مسزماكدوجال ـ لكنها أبت الادلاء بأية معلومات تخدم الاتهام ‥ فكرر محاولاته مع زوجة الشريك «مسزهير» ، فلم تستجب بدورها لاغراء الشهادة ضد زوجها ‥ وهكذا بات الامل فى نجاح المحاولة منحصرا فى الرجلين : هير وبيرك !‥ ورجح المحقق أن يكون الثانى هو بمثابة الرأس المدبرة لتلك السلسلة من الجرائم ‥ وعلى هدى هذا الترجيح ركز همه فى محاولة استدراج الاول الى الوشاية بزميله ، فنجح هذه المرة فى محاولته !‥ ونتيجة لذلك ومكافأة للشريك على خيانة شريكه ، أعفيت زوجته أيضا من المحاكمة !

المحاكمة

◆ وقد بدأت محاكمة المتهمين الآخرين ـ بيرك وخليلته ـ فى الساعة العاشرة من صبيحة ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٢٨ وتولى مهمة الدفاع عن بيرك المحامى الشهير «سير جيمس مونكريف» ، بينما وكل عن خليلته مسز ماكدوجال محام آخر لايقل عنه مكانة هو سير هنرى كوكبورن .

وأغفلت دعوة الدكتور نوكس الى الادلاء بشهادته فى القضية ، الامر الذى خيب آمال النظارة والجماهير ‥ وعلل اغفاله بأنه لم يكن حاضرا فى مستشفاه وقت استلام حارس الباب لجثة الشمطاء ‥ وقد شهد الحارس المذكور بأن الطبيب قدطالما اشترى فى الماضى من بيرك وشريكه جثثا لاشخاص مختلفي الاوصاف والاعمار ‥

وفى تلك الايام لم يكن مألوفا أن تنفض جلسة المحاكمة قبل أن تفرغ المحكمة من القضية وتصدر حكمها فيها ٠٠ وهكذا استمر نظر هذه القضية طيلة الليل ، فسمعت أقوال ثمانية عشر شاهدا كان منهم بطبيعة الحال «شاهد الملك» ، أو الشريك الواشى ، «هير» ، الذى أدلى بكل ماطلب الاتهام منه أن يدلى به !٠٠

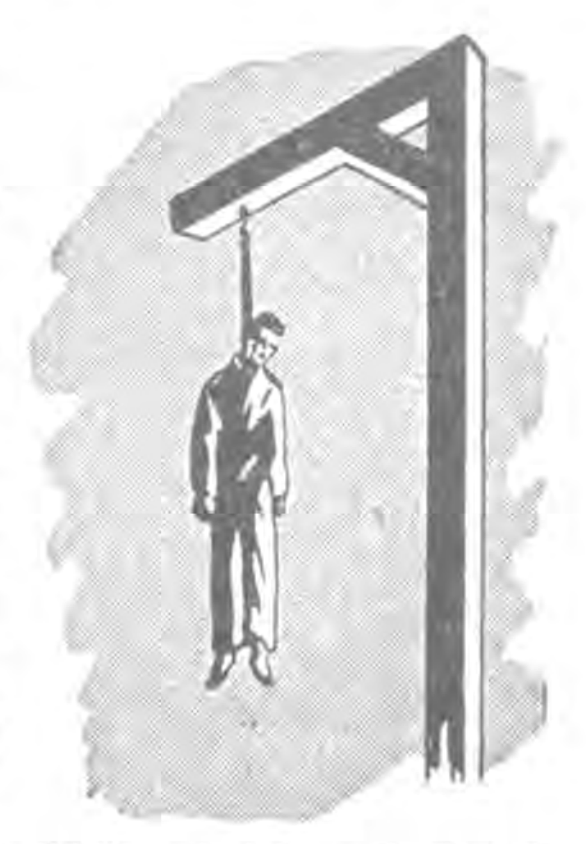
وفى منتصف الساعة التاسعة من صباح اليوم التالى ـ يوم عيد الميلاد ـ رفعت الجلسة للمداولة ، التى استمرت خمسين دقيقة ، عاد المحلفون بعدها الى مقاعدهم لينطقوا بالحكم : بادانة «بيرك» ، واخلاء سبيل خليلته مسز ماكدوجال «لعدم كفاية الادلة» !

وبعد أن انتهى المحلفون الى تقرير ادانة بيرك ، بقى على رئيس المحكمة أن يحدد نوع ومدى الحكم بالادانة ـ كما يقضى نظام القضاء فى بلاد الغرب ـ فأصدر حكمه « باعدام المتهم شنقا » ٠٠ ثم تسليم جثته لاحد أساتذة التشريح كى يجرى عليها تجاربه فيوقع بها المصير الرهيب الذى ألحقه صاحبها بضحاياه !

٠٠ ثم أضاف القاضى مخاطبا المتهم : «وأعتقد أنه اذا استلزمت الظروف فى بعض الاحيان الاحتفاظ بالهيكل العظمى لجثة ما ، فان هيكلك العظمى سوف يحفظ ، كى تظل الاجيال القادمة تذكر على الدوام جرائمك البشعة ! »

تنفيذ الاعدام ٠٠ أمام الجماهير !

◆ وإذ قضى الامر ، وتقرر مصير المتهم نهائيا فأودع زنزانة المحكوم عليهم بالموت ٠٠ لم يبق مبرر لامعان الاثيم فى الانكار ،



فأدلى آخر الامر باعتراف مفصل بجميع الجرائم التى اشترك فيها ! ..

وفى الساعة الثامنة من صبيحة ٢٨ يناير سنة ١٨٢٩ نفذ فى « بيرك » حكم الاعدام شنقا ، فى ميدان سوق « لون ماركت» ، أمام جمهور من النظارة قدر عدده بخمسة وعشرين ألفا ، ظلوا يتصايحون بالجلاد وهو يصلح الحبل حول رقبة المحكوم عليه : « اخنقه !.. اخنقه ! » .. ثم تلت ذلك صيحات تطالب برأس شريكه الواشى «هير» ، بل ورأس أستاذ التشريح « الدكتور نوكس » نفسه !..

وبمرور الايام وجدت جثة «وليم بيرك » طريقها الى مائدة التشريح ، حيث بدىء بفحص عقله أولا ، فاذا هو « ناعم جدا !» على حد تعبير الطبيب الشرعى !.. ثم نفذت تعليمات رئيس المحكمة بشأن الاحتفاظ بهيكله العظمى ، بحيث يعتز اليوم متحف التشريح بجامعة أدنبرة بهيكل « وليم بيرك » ، باعتباره من أهم الهياكل العظمية التى تدرس بعناية ، سواء من جانب الاساتذة اوالطلاب ..!

المحاكمة التى أحدثت انقلابا فى القانون !

◆ وكانت للمحاكمة آثار كثيرة متعددة : فان دكتور

«نوكس» ـ الذى بات موضع حملات عدوانية متصلة سـواء على صفحات الصحف ، أوعلى شخصه حضوريا ـ لم يلبث أن اضطر للمهاجرة الى لندن ، حيث تضاءلت أرباحه شيئا فشيئا وأفل نجمه ٠٠!

وأما «هير» ـ الذى كان قد أطلق سراحه ، ثمنا لشهادته ضد زميله ـ فانه قد فر بدوره الى انجلترا ٠٠ **وفيما هومنطلق بعربة البريد نحو هدفه تعرفت عليه الجماهيرالغاضبة ، منادية بقتله خنقا مثل شريكه !٠٠ فلم ينج من الهلاك الا فى آخـر لحظة ، وبشق النفس !٠٠ لكنه لم ينج من مصير أفجع من الموت، فقد ألقى فى حفرة من الجير أفقدته بصره !٠٠ وهكذا لم تمض سنوات حتى صار يرى فى شوارع لندن شيخ مسن أعمى يسأل الناس الصدقات ، وكانت الاصابع فى كل مكان تشير اليـه باعتباره شريك « بيرك » الواشى الوضيع ٠٠**

◆ على أن أهم نتيجة للمحاكمة عـلى الاطلاق ، كانت اقرار البرلمان الانجليزى فى سنة ١٨٣٢ لقانون التشريح الجـديد ، الذى بات يجيز لاقرباء الميت ـ أو فى حالة غيابهم : للسلطات المحلية ـ أن تسمح بارسال جثته الى احـدى كليات الطب ، بحيث يمكن استخدامها ـ قبل دفنها ـ فى دراسة علم التشريح وفنونه ، وممارسة الجراحات ٠٠ الخ

وبسبب صدور هذا القانون لم تتكرر جـرائم «بيرك » و «هير» الشاذة فى انجلترا منذ ذلك التاريخ ٠٠ ولاينتظـر أن تتكرر !

عزيزى القارىء ...

فى كتابى الاول قدمت لك فى هذا الباب قصة ستيفان زفايج الخالدة « اموك » أو (غرام تحت سماء الشرق) .. وفى كتابى الثانى قدمت لك قصة « جون جالزورثى » الخالدة (شجرة التفاح) ـ أو (قلب عذراء)

واليوم اقدم لك من قصص القرن الماضى : (مرتفعات وذرنج) ، التى خلدت اسم مؤلفتها اميل برونتى .

وفى الاعداد التالية ستقرأ فى هذا الباب من كتابى بعون الله اروعما كتب اساطين القصة العالمية المعاصرين ، امثال : بورجيه ، كوليت ، زفايج ، موم ، لورنس ، جراهام جرين ، دافنى دى موريية ، هـ . ج . ويلز ، بيرل بك ، همنجواى ، توماس مان .. الخ

اما من القصص (الكلاسيكية) الخالدة التى طالما سمعت عنها دون ان تتاح لك فرصة قراءتها فسوف اقدم لك مجموعة منتقاة منوعة منها : جين اير (شارلوت برونتى) قصة مدينتين ، دافيد كوبر فيلد ، اوليفر تويست (تشارلس ديكنز) ايفانهو (والترسكوت) صورة دوريان جراى (اوسكار وايلد) سافو (الفونس دوديه) البؤساء ، احدب نوتردام (فيكتور هوجو) غادة الكاميليا (ديماس) مانون ليسكو (بريفو) مدام بوفارى (فلوبير) نانا (زولا) تاييس (اناتول فرانس) الجريمة والعقاب ، اخوة كارامازوف (دستويفسكى) الحرب والسلم ، انا كارنينا ، البعث ، انشودة كرويتز (تولستوى) .. الخ

الحياة قصة



روائع القصص العالمى

WUTHERING HEIGHTS

by

EMILY BRONTË

اميلي برونتي

مرتفعات وذرنج

المؤلفة



القصة الخالدة التى تقرؤها على هذه الصفحات ، والتى تحتل منذ اكثر من قرن مكانة ممتازة بين القصص العالمية الباقية على الزمن .. من الشواهد المأثورة على ان المراة تستطيع ان تكون.. عبقرية !

ولدت (اميلى جين برونتى) يوم ٣٠ يوليو سنة ١٨١٨ فى - ثورنتون - باقليم يوركشاير .. بعد عامين من مولد شقيقتها شارلوت مؤلفة قصة (جين اير) التى ستقرؤها باذن الله فى عدد قريب من كتابى ... وقد تلقت اميلى علومها فى مدرسة (كوان) ثم فى مدارس بروكسل ببلجيكا .. وعملت فترة من الوقت مربية خاصة عند الاسر الكبيرة ، لكنها كانت تحن دائما الى العودة الى موطنها الاصلى فى احراش وغابات يوركشاير - حيث اختارت ان تجرى حوادث قصتها هذه - فعادت اخر الامر اليها لتشتغل مديرة منزل راعى كنيسة (هاورث)، بينما اشتغلت شقيقتها بالتدريس فى المدرسة التابعة لتلك الكنيسة .

وقد نشات اميلى ، واختاها آن وشارلوت ، فى جو (مغلق) شديد التحفظ - فقدكان والدهن قسيسا - فلم يجدن منفذا لخيالهن الحاد غير التحليق فى عالم الشعر والادب والقصص .. فمارسن - على الورق - شتى العواطف الحارة التى حرمن من ممارستها فى الحياة !

وقد نبغت (اميلى) بصفة خاصة فى الشعر ، فنظمت عددا من القصائد الرائعة، منها «الذكرى» و«السطور الاخيرة».. ثم ادلت بداوها فى ميدان القصة ، فكتبت قصتها هذه - الاولى والاخيرة - فاذا هى تتفوق فيها على جميع قصص اختيها ، اللتين طرقتا هذا الباب قبلها بسنوات ....

لكن اميلى لم تستمتع بالمجد الادبى الذى استحقته .. فبعد عام واحد من نشرها (مرتفعات وذرنج) ، اشتدت عليها وطاة داء الصدر - الذى قتل الشقيقات الثلاث جميعا ! - فماتت فى التاسع عشر من ديسمبر سنة ١٨٤٨ .. غير متجاوزة الثلاثين من عمرها

ماتت وهى تجهل مدى الشهرة والخلود اللذين سيظفر بهما اسمها على مر الاجيال بفضل قصتها «اليتيمة» : (مرتفعات وذرنج)

- ١ -

لم يكد يستقر بى المقام فى مسكنى الريفى الجديد بجهة « ثراشكروس جرانج » - من أحراش اقليم يوركشاير - حتى اعتزمت أن أبدد وحشة انزوائى فى تلك البقعة الجميلة المنعزلة عن كل مجتمع ، بالتعرف الى « جارى » الوحيد ، ومالك مسكنى فى الوقت ذاته ، وكان يقيم فى قصره العتيق المعروف باسم « مرتفعات وذرنج » ، الواقع فوق ربوة مرتفعة مكشوفة للرياح الصرصر العاتية التى تهب عليها من الجهات الاربع ..

وهكذا امتطيت ذات يوم جوادى وانطلقت به صوب القصر ، وأنا أمنى نفسى بهذا الصديق الجديد الذى سوف يقاسمنى وحدتى فى هذا الريف الساحر ، هذه الجنة المثالية لمحبى العزلة وعشاق الخلوة بالنفس ، بعيدا عن ضجيج البشر ونفاق المجتمع ..!

واذ دنوت من « بوابة » المزرعة الصغيرة المحيطة بالقصر ، أرخيت لجوادى العنان وقد لمحت وراءها رجلا طويل القامة ، أسمر البشرة ، ذا حاجبين غزيرين ومظهر نفور .. فانه لم يكد يرانى مقبلا نحوه حتى رمقنى من عينيه السوداوين بنظرة ارتياب ، أحسست معها بشىء خفى يجذب قلبى الى الرجل .. فقلت أستوثق من شخصيته وأنا أترجل من جوادى :

- مستر هيثكليف ؟

لكنه لم يجبنى بغير هزة من رأسه تفيد معنى الموافقة .. فاستطردت أعرفه بنفسى :

- أنا « لوكوود » ، المستأجر الجديد لبيتك الريفى فى « ثراشكروس جرانج » ..

- تفضل ..

لكنه نطق بالدعوة مغمغما من بين أسنانه ، فى لهجـــة توحى بأنه يقول فى أعماقه « فلتذهب الى الشيطان ! » .. ولم يمد يده ليفتح البوابة الا بعد أن كاد جوادى يدفعها بصدره ، وقد نفد صبره ..!

السيد النفور

◆ وأثار فضولى هذا الرجل الذى بدا مفرطا فى التحفظ والانطواء على النفس ، فسرت خلفه نحو مدخل البيت حيث نادى أحد الخدم قائلا : « جوزيف .. خذ جواد مستر لوكوود، واحضر لنا بعض النبيذ »

كان جوزيف خادما نحيلا طاعنا فى السن ، وان يكن محتفظا بصحته وقواه .. وقد غمغم متذمرا بصوت خافت وهو يتناول منى عنان جوادى : « فليكن الله فى عوننا ! » .. ولم نكد نخطو الى الداخل خطوات حتى كنا فى حجرة جلوس العائلة، وكانت تتصدر عتبتها كلبة ضخمة من كلاب الصيد ، لونهـا بنى يميل الى الاحمرار ، يحيط بها عدد من الكلاب الصغيرة الرضيعة تنبح بأصواتها الحادة الثاقبة ..

وجاءت الكلبة الكبيرة تتمسح فى ساقى مهمهمة ، فربت عليها ملاطفا .. لكنها قابلت حركتى الودية بزمجرة طويلـــة مخيفة !.. فقال لى مستر هيثكليف وهو يطلق زمجرة مشابهة، وقد ذادها عنى بركلة من قدمه :

ــ يحسن أن تدع الكلبة هادئة .. انها لم تألف التدليل.

وفيماكان جوزيف يغمغم غمغمات غير مفهومة صادرة من قبو الخمور ، حيث كان ينتقى زجاجة من النبيذ المعتق ، دون أن تبدو عليه أية عجلة أو تأهب للصعود .. استبطأه سيده فهبط اليه ، تاركا اياى وجها لوجه أمام الكلبة المستوحشة ، و « نصف دستة » من الكلاب الصغيرة التى ثارت ثائرة غضبها

فجأة فأخذت تهاجمنى من كل ناحية ·· حتى اضطرتنى الى أن أصيح بصوت مرتفع ، طالبا النجدة ، وأنا أذودها عنى بالعصا الحديدية التى تستعمل فى تحريك الفحم فى المدفأة !·· وهنا خفت لانقاذى مديرة البيت المدعوة « زيلا » ·· فلما صعد هيثكليف من القبو قال مستفسرا :

ـ ماذا حدث بحق الشيطان ؟

فغمغمت :

ـ ماذا حدث ؟ وماذا تنتظر أن يحدث وقد تركت شخصا غريبا وسط قطيع من النمور !؟

ـ ان الكلاب لا تتعرض للشخص الذى لا يتداخل فيما لا يعنيه ·· خذ كأسا من النبيذ ·

·· وقبل أن أعود الى بيتى كنت قد اعتزمت ـ بدافع الفضول ـ أن أعيد الكرة فأزور جارى الجديد النفور مرة أخرى ، رغم ما بدا عليه من عدم ترحيب بزيارتى !

سيدة القصر ··!

◆ وقمت بزيارتى الثانية لمرتفعات وذرنج ·· وكانت الارض فوق ذلك المرتفع المكشوف شبه مغطاة بالضباب الاسود، والهواء القارس ينفذ الى العظام ، فأحسست بكل أطرافى ترتعش من البرودة ··· ومع ذلك فانى ظللت أطرق الباب فترة طويلة، حتى كلت يدى ونبحت كلاب الدار ·· وأخيرا أطل جوزيف ، ذو الوجه العابس الكريه ، من نافذة مستديرة فى « شونة » المزرعة ·· وصاح بى :

ـ ماذا جئت تبغى ؟ لقد خرج سيدى ، ولا توجد فى البيت غير سيدتى ··

ثم انسحب المسن العابس من نافذة الشونة ·· ولم يلبث أن جاءنى شاب لا يرتدى سترة ، وعلى كتفه مذراة القمح

الثقيلة •• فحيانى مرحبا ورجـانى أن أتبعـــه •• ثم قادنى الى الجناح الذى استقبلت فيه فى المرة السابقة بعلامات التذمر والتأفف من سكان البيت جميعـــــا : السيد ، والخادم ، والكلاب ! •• وهناك دعانى الى الجلوس قائلا فى جفاء أن سيده لن يلبث أن يحضر ••

كانت تجلس فى الحجرة امرأة شـابة ، لم تكد تجاوز العشرين ، ترتدى السواد ، وتلوذ بالصمت المطبق !•• وكانت نحيلة القوام ، ذات وجه فاتن - لعله أجمل وجه وقع بصرى عليه !•• أما عيناها ، فلو كان التعبير الذى انطوتا عليـــه « وديا » لاعتبرتهما ساحرتين •• لكن التعبير الوحيد الذى قرأته فيهما كان مزيجا من الاحتقار و •• اليأس !

أما الشاب الذى قادنى الى الحجرة فقد وضع على كتفيه سترة رثة، ووقف بجوار المدفأة يحدجنى بنظرة من أركان عينيه، كما لو كان بيننا ثأر قديم !

وأنقذنى من هذا الموقف الحرج المعقد دخول هيثكليف•• وأثناء تناولنا الشاى عقب ذلك فهمت من الحديث أن المرأة هى أرملة ابن هيثكليف ، فعجبت لمسلك الاخير الجاف نحوها ولهجته الخشنة فى مخاطبتها !•• كما علمت أن الشاب الريفى، الخشن - الذى شاركنا الشاى - يدعى « هيرتون ايرنشو »•• ومن فورى تذكرت اننى قبل أن أعبر عتبة البيت قرأت الاسم بعينه محفورا على بابه الرئيسى ، والى جواره تاريخ « سـنة ١٥٠٠ » •• فأدركت أن للقصر ولا بد قصة طويلة !

ليلة عاصـــفة ••!

◆ وحين تهيـــأت للانصراف ، اكتشفت أن الجليد قد تساقط أثناء وجودى فى الداخل بغزارة جعلت عودتى الى بيتى عبر الاحراش فى عتمة الغسق أمرا متعذرا •• بل مستحيلا !

وهكذا صار حتما على أن أقضى الليلة فى القصر ، فوق كنبة عتيقة الطراز كانت تملأ تجويفا بارزا فى احدى غرف البيت المهجورة ·· وقد قادتنى اليها مدبرة البيت (زيلا) ·· سرا !

لكن الارق ذاد النوم عن عينى أكثر الليل ، فحاولت أن أحتال عليه بتصفح بضعة كتب وجدتها متنـــاثرة فى أنحاء الغرفة ·· فاذا أنا أقرأ على بعضها اسم « كاترين ايرنشو »·· ثم عثرت فى احـــداها على « يوميات » مكتوبة فى هوامش الصفحات ، بخط صبيانى ·· وقد جاء فيها : « **ان (هندلى) شخص كريه ·· سوف نتمرد أنا وهيثكليف قريبا ·· ما كان يخطر لى يوما ببال أن هنـــدلى سيبكينى هكذا كل حين !·· مسكين هيثكليف ! ان هندلى يدعوه « متشردا » ، وقد حرم عليه أن يجلس معنا أو يتناول الطعام على مائدتنا بعد الآن··!**»

وفيما أنا أتصفح تلك الكتب ، والعبارات المكتوبة على هامشها ، حانت منى نظرة الى افريز النافذة ، فقرأت هـــذه الاسماء محفورة على طلائه الملون : « كاثرين ايرنشو ·· كاثرين هيثكليف ·· كاثرين لنتون ! » ··

يد باردة ·· فى الظلام !

◆ ثم غلبنى النوم ، فحلمت حلما مزعجا ·· رأيت نفسى نائما فوق الكنبة بعينها ، تحت النافذة ، والعاصفة تزأر فى الخارج وتزمجر ·· وغصن شجرة قريبة من أشجار الحديقة يضرب ــ بفعل الريح ــ زجاج النافذة ضربات شديدة متكررة·· فنهضت فى حلمى لاكسر الغصن أو أبعده ، لكنى عجزت عن فتح مقبض النافذة ، فحطمت زجاجها ومددت ذراعى لامسك الغصن ·· لكن أصابعى انطبقت بدلا من الغصن على يد بشرية رقيقة ، باردة كالثلج !

وحاولت أن أسحب يدى ، لكن تلك اليد تشبثت بهـــا بقوة ، وسمعت صوتا ينشج باكيا : « دعني أدخـــل ٠٠ انا كاثرين لنتون » ٠٠ ثم رأيت صورة غامضة أشبه بوجه طفل تطل على من خلال الزجاج ٠٠ فجعلت أفرك اليد المتشبثة بيدى فى حافة الزجاج المكسور حتى سال دمها ٠٠ ومع ذلك ظلت على تشبثها بى ٠٠ وعندئذ صرخت !

وكانت الصرخة حقيقيـــة ، أيقظتنى من حلمى وبلغت مسامع مضيفى هيثكليف ، فأقبل على أثرها مسرعا ٠٠ ولم يكد بصره يقع على حتى أبدى دهشته وغضبه لوجودى ٠ لكنه حين سمع قصة الحلم الذى تراءى لى تحول غضـــبه الى تأثر واندفع الى النافذة يهتف بصوت يفيض أسى ولوعة : « كاتى ٠٠ تعالى ، تعالى ! »

وفى الصباح خرجت متجها نحو بيتى فى « ثراشكروس جرانج » وأنا أتنفس الصعداء لابتعـــادى عن القصر الكئيب « المسكون » ٠٠ وودعنى مضيفى عند الباب وهو يرشدنى الى أقصر طريق أسلكه لعبور ذلك المحيط الشـــاسع من الجليد المتراكم ٠٠ فلما بلغت بيتى كان التعب قد نال منى كل منال ، والبرد قد هرأ عظامى وأصابنى بقشعريرة وشبه حمى خفيفة ٠٠

وفى ذلك المســاء ، حين أويت الى فراشى ، وحملت الى مديرة المنزل « مسز نيللى دين » طعام العشاء ٠٠ سألتها أن تقص على ما تعرفه من قصة « مرتفعات وذرنج » وقاطنهـــا هيثكليف ٠٠ فروت لى القصة التالية :

ـ ٢ ـ

قالت محدثتى :

« قبل ان آجىء لأعيش هنا قضيــت شطرا كبيرا من حيــاتى فى قصر « مرتفعات وذرنج » ، الذى كان مملوكا وقتئذ لرجل من أسرة عريقة يدعى مستر « ايرنشو » الجد .. وكانت أمى هى المربية الخاصة لابنه «هنــدلى

ايرنشو » ، فنشات مع هذا الصبى واخته « كاثرين ايرنشو » كاخت لهما ، او واحدة من اسرتهما ، اشاركهما لهوهما وجدهما ، العابهما ودروسهما .. وذات يوم ذهب أبوهما الى ليفربول ، لينجز بعض اعماله ، واعدا اياهما بأن يحضر لهما منها عند عودته هدية لطيفة .. لكنه لم يحضر معه من المدينة الكبيرة غير صبى قذر أســمر البشرة ، أسود الشــعر والعينــين ، قال انه عثر عليه شريدا فى الشوارع ، لا يعرف له ابا ولا اما ولا ماوى ، فاشفق عليه وأخذ على نفسه عهدا أن يربيه فى بيته مع أولاده ! ..

« وأطلق الرجل على الصبى اسم «هيثكليف» ، واظهر نحوه عطفا ورعاية كبيرين ، الامر الذى أثار حفيظة ابنه «هندلى» وغيرته من ذلك الدخيل الذى جاء ليشاركه عواطف أبيه ! .. فابغضه وصار يسىء معاملته فى كل مناسبة .. بعكس اخته «كاثرين» التى الفت صحبــة الصبى وانست اليه ، فصــارا صديقين .. وان لم يمنع ذلك من اشتباكهما معا احيانا فى مشاجرات عابرة ، بسبب عنف طبيعة كليهما وحدة مشاعرهما ! .. وكنــت أنا اعاون الخادم «جوزيف» فى العناية بشؤون الاثنين .

« وذات امسية من شهر اكتوبر ، مات مستر ايرنشو ميتة هادئة وهو فى مقعده بجوار المدفأة ، فبات ابنه الشاب هندلى رب الاسرة ! .. واذ ذاك استغل سلطته فى صب كراهيته العمياء على راس غريمه هيثكليف ما وسعه ذلك .. فطرد معلمه الخاص ، وهبط به الى مرتبة الخدم ، ولم يدع وسيلة لتحقيره وامتهانه الا انتهزها .. فشب هيثكليف يطوى قلبه على عاطفتين مدمرتين : حبه لكاثرين .. وبغضه لاخيها هندلى !

« وزاد اضطهاد هندلى لهيثكليف من تعلق كاثرين به ، فصارا يتجولان سويا فى الاحراش القريبة ، ويقضيان اكثر وقتهما معا .. فأثار ذلك ثائرة هندلى ، حتى عمد ذات مساء الى اغلاق باب القصر دونهما ومنعهما من الدخول ، فمضيا ليقضيا ليلتهما فى العراء .. لكن كاثرين اصيبت بكسر فى رسغها ، فاضطرت وصاحبها الى أن يطرقا باب جيرانهما « آل لنتون » ، الذين كانوا يقطنون دارهما القريبة المعروفة باسم «ثراشكروس جرانج» .. فاستضاف هؤلاء كاثرين ، لكنهم ابوا قبول مرافقها «الاسبانى الطريد» ــ كما اطلقوا على هيثكليف !

« وقضت كاثرين فى ضيافة اسرة لنتون خمسة اسابيع ، عولجت خلالها من كسرها ، وتوطدت أواصر الصداقة بينها وبين ابنة الاسرة المدعوة «ايزابيلا»

وشقيقها «ادجار» ــ وكان فتى مدللا ، تافها ، نكدا ، معتل الصحة ، اشفقت كاترين عليه بحكم طبيعتها المرهفة ، فمنحته ودها .. وان بقيت عاطفتها نحو هيثكليف على قوتها وتاصلها ! ..

« على أن كاترين اكتسبت خلال فترة اقامتها فى ضيافة اسرة نسون الكثير من عادات تلك الاسرة العريقة المترفة ، فلما عادت الى «مرتفعات وذرنج» بعد انقضاء تلك الاسابيع كانت قد صارت فتاة اخرى ، مكتملة النضج ، ريانة الحسن .. فى الوقت الذى ازداد فيه هيثكليف انطواء على نفسه ، ووجوما ، وقد عذب روحه الثائرة احساسه بانه فتى خشن ناقص التهذيب ، لا يحمل اسما عريقا ، ولا يعتز بحسب او جاه مثل «منافسه» ادجار ، الذى يهدده فى قلب فتاته كاترين !

◆ « فى تلك الاثناء كان «هندلى» شقيق كاترين ، قد تزوج من فتاة جلبها معه من المدينة ، لا يعرف أحد عن أسرتها شىء ! .. ثم رزق الزوجان بابنهما «هيرتون» ــ الذى استقبلك امس فى مرتفعات وذرنج حاملا مذراته ! ــ وباتت الزوجة تشارك زوجها اضطهاده وتحقيره لهيثكليف .. ولكن لم تمض على مولد الطفل اسابيع حتى ماتت امه بالسل ، فحزن عليها زوجها حزنا مفرطا ، اوقعه فى هاوية الياس واغراه بادمان الخمر .. وبالامعان فى تعذيب هيثكليف ومعاملته معاملة كانت كفيلة بان تخلق من القديس شيطانا ! .. حتى لقد اقسم الفتى لنفسه : « لسوف ارد لهندلى الكيل كيلين .. لست اعبا كم سيكلفنى ذلك من انتظار ، ما دمت استطيع الوصول الى هدفى فى النهاية ! »

« وهكذا صار هيثكليف يزداد كآبة ووجوما كل يوم ، وهندلى يزداد شراسة وادمانا للشراب .. حتى امسى البيت بالنسبة لنا جميعا جحيما لا يطاق ، ولم يعد يدخله زائر له احترامه ومكانته .. اللهم الا «ادجار لنتون» الذى كان ياتى لرؤية كاترين ــ أوكاثى ــ وكانت قد بلغت الخامسة عشرة وغدت عروس الاقليم باسره ، فتدله الشاب فى هواها .. حتى حل اليوم الذى طلبها فيه للزواج !

« وجاءتنى كاترين تنبئنى بالخبر ، وتضيف انها قد اجابــت ادجار بالقبول ! .. ثم سالتنى : ترى هل اعتقد انها اخطات ؟ .. فلما سالتها بدورى عن حقيقة شعورها نحو الشاب ، اندفعت تقول انها واثقة من كونها قد أخطات ، فان عاطفة ما لا تربطها بادجار ، لكن الذنب كله ذنب اخيها

هندلى ، الذى اذل هيثكليف وهبط به الى مرتبة وضيعة بحيث بات زواجها منه خليقا بان يحط من قدرها .. رغم انها تكن له حبا يجعلها تحس كان روحها وروحه شيء واحد ! .. بعكس حالها مع ادجار ، الذى تختلف طبيعته عن طبيعتها اختلاف الصقيع عن النار .. وضياء القمر عن وميض البرق !

« جرى ذلك الحديث بين كاثرين وبينى فى المطبخ .. فى الوقت الذى كان هيثكليف فيه جالسا وراء النافذة دون ان نعلم .. فلما سمع الفتاة تقول ان زواجها منه يحط من قدرها تسلل الى بعيد دون ان ينتظر تتمة حديثها ! .. وفى تلك الليلة ، بينما كانت تجتاح المنطقة عاصفة مدمرة .. اختفى هيثكليف !

«وحين علمت كاثرين باختفائه قضت الليلة باكملها تبحث عنه وتنتظر عودته ، تحت سيل من المطر المنهمر ، فاصيبت من تاثير البرد والحزن بحمى شديدة ، خلفت فيها حتى بعد شفائها منها ضعفا دائما فى صحتها .. بحيث باتت عواطفها الحادة مصدر خطر مستمر على حياتها .. !

العاشق الشامت !

◆ « وبعد عامين تزوجت كاثرين من ادجار لنتون ، وجاءت معه الى هذا البيت .. فتركت انا أمر العناية بابن هندلى الصغير «هيرثون» وجئت فى رفقتها .. وبعكس ما توقعت ، انقضت عليها الاشهر الستة الاولى من الزواج فى سعادة وارفة ! .. بدا كان طبيعتها الحادة العنيفة قد هدات واستكانت .. لكنه كان الهدوء الذى يسبق العاصفة !

« فلقد ظهر هيثكليف فجاة، كما اختفى فجاة ! .. جاء ليرى كاترين، وقد تبدل أمره من حال الى حال .. امسى رجلا مكتمل النضج ، أنيق الهندام ، بادى الثراء والتهذيب ! .. ولم يستطع احد يوما ان يعرف اين قضى العاشق المجروح تلك الاعوام، ولا كيف انقلب من ريفى خشن فقير الى سيد مهذب ، وثرى أمثل !

«وجنت كاترين فرحا برؤية هيثكليف .. بينما اغتم زوجها وثارت ثائرة غضبه وغيظه ـ سيما وقد اظهر له زائره منذ اللحظة الاولى احتقاره البالغ .. وبات هذا يتردد على البيت كل حين ، فى جرأة لم تكن من طبعه .. فاحبته شقيقة ادجار المدعوة ايزابيلا ، وكانت فتاة غريرة فى الثامنة عشرة ، حبا ملك عليها قلبها .. وعبثا حاولت كاترين تحذيرها ، وتبصيرها بخلق هيثكليف على حقيقته ، بكل ما ينطوى عليه من عنف وقسوة ،وسعى الى هدف واحد: سحق

اعدائه !٠٠ فان الفتاة قد ابت ان تصغى للنصيحة ، واستمرت تهدهد فى حناياها عاطفتها الخاسرة ٠٠

طبقا لخطة مرسومة !

« وفى هذه الاثناء الحلح هيثكليف فى الانضمام الى مائدة القمار التى كان يتزعمها هندلى فى قصره ، فان الديون الطائلة التى تراكمت على هذا الاخـــير جعلته يرحب بالصيد الجديد الدسم الذى جاء متخم الجيب بالمال !٠٠ واستغل الضيف الفرصة لتنفيذ خطته الانتقامية فعرض على غريمه ان يقيم معه فى قصره مقابل مبلغ سخى يدفعه اليه كل شهر ٠٠ ثم راح يغريه بالانغماس فى المقامرة والشراب.. حتى انتهى به الى الدمار، واضطره الى ان يرهن له القصر والمزرعة وبقية املاكه سدادا لديون القمار !

◆ « واذ فرغ هيثكليف من الاجهاز على غريمه الاول «هندلى» الذى اذاقه العذاب فى صباه وشبابه ، استدار يبغى الاجهاز على غريمه الثانى « ادجار »» الذى سلبه محبوبته كاترين !٠٠ ووجد فى تدله شقيقة ادجار فى حبه فرصـــته المنشودة للانتقام من اخيها فى شخصها ٠٠ فشجعها على التمادى فى عاطفتها ٠٠ حتى اضطر ادجار الى الاشتباك معه فى شجار عنيف انتهى بطرده من البيت ، ومنعه من ان يطا عتبته بقدمه !

« واثرت صدمة هذا المشهد العاصف فى اعصاب الزوجة ، الموزعة القلب بين الغريمين ، فاصيبت بنوبة انفعال حادة جعلتها تعتصم بغرفتها وتمتنع عن الطعام اياما ثلاثة ٠٠ سقطت على اثرها فريسة لحمى مخية شديدة ٠٠

سراب الحب ٠٠

◆ « وفى نفس الليلة فرت ايزابيلا مع هيثكليف ، الذى احتفل بهـــذه المرحلة الاولى من انتقامه بخنق كلبها الصغير وتعليقه على بوابة الحديقة !٠٠ وانقطعت اخبار الهاربين ستة اسابيع ، وصلنى فى نهايتها خطاب من الفتاة تقول فيه انها قد شفيت من حبها للرجل الذى عاملها منذ اليوم الاول بقســوة وحشية ، ولم يخف بغضه المتاصل الجذور لها ولاخيها ! .. ثم تضيف انه قد عاد بها الى مرتفعات وذرنج ، حيث باتت شبه سجينة ، لا يؤنسها غير هندلى

التعس ، الذى لا يكاد يفيق من الخمر ٠٠ ولا يكف عن التهديد بقتل هيثكليف، وقتل الخادم جوزيف ٠٠ بل قتل ابنه وفالذة كبده هيرتون ، الذى غدا ـ باشراف هيثكليف ـ « حيوانا » ضاريا منحل الخلق !

« اما كاترين فقد تماثلت اخيرا للشفاء من الحمى المخية التى اصابتها ، لكن عقلها ظل مضطرب الادراك ٠ وكان هيثكليف طيلة مرضها يحوم كل ليلة تحت نافذتها كالمخبول ، حتى انتهز ذات ليلة فرصة تغيب زوجها والخدم فتسلل الى مخدعها ٠٠ وفيما العاشقان متعانقين ، عاد الزوج فجاة ، فاصيبت الزوجة باغماء طويل ٠٠ عاودتها فى اثره الحمى !

« وفى تلك الليلة وضعت طفلة عمرها سبعة اشهر ٠٠ ثم لفظت أنفاسها !

الآباء يأكلون الحصرم ٠٠ والابناء يضرسون !

◆ وسميت المولودة باسم امها (كاترين) ٠٠ وكان معنى حرمان ابيهـــا من مولود ذكر ان تنتقل املاكه جميعا بعد موته الى شقيقته ايزابيلا ونسلها ، وبعبارة اخرى الى هيثكليف ، الذى استاثر من قبل باملاك غريمه الاول هندلى-!٠٠ وهكذا رأى صاحبنا خططه الانتقامية تؤتى ثمارها ، واحدة بعد الاخرى ٠ ٠ لكنه كان قد فقد متعة الحياة، بفقدانه المخلوقة الوحيدة التى احبها !٠٠٠ وامضه حزنه الرهيب فامعن فى تعذيب ايزابيلا ـ تنفيسا عن اساه ـ حتى الجاها الى الفرار من القصر ذات ليلة ، الى حيث استقرت فى بلدة بالقرب من لندن ٠٠ وهناك وضعت بعد شهور مولودا ذكرا : ابنها من هيثكليف !

« وفى هذه الاثناء انهارت صحة هندلى ، بتاثير الخمـــر والياس ، حتى انطلقت روحه ذات يوم من جسده المخمور المحطم ٠٠ فاكتملت بذلك سيطرة هيثكليف على أملاكه ، وعلى ابنه «هيرتون» ، فدبر ان يذله ويحط من قدره ، كما فعل هندلى به هو ! ٠٠ ومن هنا ابى ان يلقنه حتى مبادىء القراءة والكتابة، وشجعه بكل وسيلة على ان يشب جاهلا سىء السلوك ، تافه الشخصـــية ٠٠ ورغم ذلك فانه عجز عن اتلاف ذكائه الفطرى وطيبة قلبه !

غرام الظبـــاء ٠٠!

◆ «وكانت كاترين الصغيرة قد شبت صبية رائعة،لها عينا امها السوداوان،

وعزيمتها القوية ، وتمردها .. فلما ماتت عمتها ايزابيلا فى « منفاها » وجىء بابنها (لنتون) ـ وكان قد بلغ السادسة عشرة ـ ليعيش فى البيت ويؤنس وحدة ابنة خاله ، اعجبت هذه به ، من النظرة الاولى ، رغم هزاله واعتــلال صحته .. لكنه قبل ان يبيت فى البيت ليلته الاولى ارسل ابوه ـ هيثكليف ـ رسولا اخذه ليعيش فى كنفه فى القصر ... فاصطدمت العاشقة الصغيرة لتوها بالخلاف المستحكم بين الاسرتين ، فقد حرم عليها ابوها ان تطا عتبة « مرتفعات وذرنج » مهما كانت الظروف !

« لكن الماكرة انتهزت فرصة خروجها معى يوم العيد السادس عشر لمولدها فاستدرجتني الى التنزه قرب حدود القصر .. وهناك التقينا بهيثكليف وابنــه يتـــنزهان ، فدعانا الاب الى بيتـــه ، ورغم محــاولتى عــرقلة الزيارة بكافة الطـرق فان الفتـــاة قبلت الدعـــوة واضطـــرتنى الى قبـــولها ، محرجة .. فانتهزت اول فرصة وصارحت مضيفنا باقتناعى بخبث الدوافع التى تدفعه الى تشجيع كاثرين الغريرة على التعلق بابنه ! .. فصارحنى هو بدوره بانه يبغى من وراء ذلك أن يمهد لزواجهما ! .. ثم حدثنى عن خططه الانتقامية لاضعاف شخصية الفتى هيرتون وقتل ثقته بنفسه ، حتى يشب عيى اللسان عاجزا عن الحظوة باعجاب النساء .. ولاسيما كاثرين ! .. ولو انه فى طوايا نفسه يحترم هيرتون ، بقدر ما يحتقر فلذة كبده «لنتون» !

« وعند خروجنا ضم الاب صوته الى ابنه فى مناشدة كاثرين أن تكرر زيارتها للقصر كل حين.. لكنها حين عادت الى ابيها تلقت منه تحذيرا جديدا فى هذا الشان ، مصحوبا ، بحديث طويل عن ماضى هيثكليف وجنايته على عمتها ايزابيللا وطريقته فى الاستيلاء على املاك هنداى .. الخ .. ورغم ان الحديث قد صدم الفتاة فانه عجز عن أن يطمس فى قلبها عطفها على .. لنتون ! .. وهكذا اكتشفت ذات يوم ، بعد اسابيع ، وجود بريد غرامى منتظم بين الاثنين .. وادركت من «اسلوب» رسائل الشاب المفعمة رجولة وحرارة ، انها من املاء أبيه !

يمرض .. من الحب !

◆ « وانقضى الصيف ، واقبل الخريف .. وكانت صحة ادجار تنحدر سريعا ، ومعها نفسية ابنته كاثرين .. وذات يوم التقى هيثكليف بها بالقرب من البيت فاوهمها أن ابنه مريض فى حالة خطرة بسبب هيامه اليائس بها

ورجا منها ان تزوره قبل ان يموت شهيد غرامه الخاسر ! .. فلما ذهبت فالى الشاب فى اظهار اعيائه ، تنفيذا لامر ابيه ، حتى افلح فى استدرار عطفها .. واقناعها بحاجته اليها ، وتدلهه فى حبها !

« ثم اصبت انا ببرد شديد الزمنى الفراش اسبوعين ، فانتهزت كاترين الفرصة وصارت تمتطى جوادها كل يوم الى حيث تلقى الشاب فى الاحراش خلسة .. !

« لكن صحة الفتى استمرت فى التدهور بسرعة ، بحيث خشى ابوه عليه من ان يموت قبل ادجار ، فلا يرث ثروة الاخير المنشودة ! .. فاعتزم هيثكليف ان يحتال على تزويجه من كاترين باسرع مايستطيع ، باية وسيلة ! .. وكان ادجار قد بدأ يعدل تدريجيا عن معارضته فى ذلك الزواج ، سيما وانه كان يجهل كل شىء عن شخصية الفتى او حالته الصحية ، فوافق اخيرا على أن تلقاه ابنته فى الاحراش ليقوما سويا بنزهة على ظهور الجياد ..

« وتم اللقاء ، فى بقعة قريبة من « مرتفعات وذرنج » ، وكنت بصحبة كاترين ، فوجدنا لنتون بادى المرض والياس والفزع!.. لكنه انتزع من الفتاة وعدا بان تقول لهيثكليف ـ اذا سالها ـ ان ابنه كان مكتمل العافية والمرح.. وتقول لابيها هى ان صحة الفتى قد تحسنت كثيرا !.. ثم انتهت المقابلة على وعد بلقاء آخر فى احد ايام الاسبوع التالى ..

« وكان يوما جميلا من ايام اغسطس ، ذهبنا فيه الى مكان اللقاء ، فى الاحراش ، فاذا الشاب اسوأ حالا من اى وقت مضى ، وقد بدا عليه الخوف من شىء ما ! .. وكانت تصرفاته من الشذوذ بحيث هددته كاترين بالانصراف الى بيتها .. وعندئذ ارتمى المسكين على قدميها متوسلا اليها ان تبقى ، قائلا انه سوف يقتل اذا هى ذهبت ! .. ثم اضاف ان فى الامر سرا لكنه لا يجرؤ على البوح به لها ، خوفا من أبيه !

« وفجاة ظهر هيثكليف نفسه وطلب الينا ان نصحبه الى القصر ! .. ورغم معارضتى فقد وافقت كاترين .. وكان لنتون من الاعياء بحيث يكاد يعجز عن السير ، فاضطر الى الاتكاء على الفتاة .. وبمجرد دخولنا القصر اغلق هيثكليف علينا الباب بالمفتاح !.. ثم قال اننا سنبقى لتناول الشاى عنده ! ..

المــؤامرة ..!

◆ « وادركنا ان فى الامر سرا ، فتقدمت كاترين نحو هيثكليف وعيناها تلمعان بمزيج من الغضب والخوف ، وطلبت منه المفتاح .. وحين تجاهل طلبها

حاولت ان تختطف المفتاح من يده !٠٠ واذ ذاك قبض على يدها وانهال على راسها بوابل من الصفعات الشديدة ٠٠ ثم قدم لنا الشاى ومضى الى الخـــارج ليفك وثاق جيادنا ويطلقها !

« اما لنتون فقد زايله الرعب القاتل الذى كان يتملكه ، ولم يجد باسا فى ان يصارحنا بان اباه كان قد كلفه باستدراج الفتاة الى القصر بأية وسيلة٠٠ وانه قد دبر خطة الاحتفاظ بنا سجنتين فى القصر حتى يعقد زواج الشابين فى الصباح!٠٠ فلما عاد هيثكليف بعد برهة توسلت اليه كاترين ان يطلق سراحنا، واعدة باتمام زواجها من لنتون فى اى وقت اذا هو تركها تعود الى ابيها فى نفس الليلة ، خشية ان يقلق عليها ٠٠٠

« وهنا افصح هيثكليف للفتاة -لاول مرة - عن بغضه الشديد لابيها ، قائلا انه لا شىء يسره اكثر من ان يقلق ابوها ويتعذب !٠٠ واصر على أن نقضى الليلة فى حجرة مديرة المنزل حتى الصباح ، بعد ان اغلق علينا بابها ٠٠ وفى الساعة السابعة من صباح اليوم التالى اقبل فاخذ كاترين معه ، وتركنى انا سجينة فى الغرفة اربعة ايام أخرى ، لا اعلم شيئا عما جرى لها ، ولا ارى احدا غير الفتى هيرتون الذى كان يحضر الى الطعام !

فرار العروس ٠٠!

◆ « وحين افرج عنى علمت ان كاترين قد زوجت من لنتون ،وانها سجينة فى غرفته ٠٠٠ فعدت انا الى هذا البيت لاطمئن اباها المحتضر على مصيرها ٠٠ ولم تلبث هى ان اغرت « زوجها » بان يفتح لها باب الغرفة ثم لاذت بالفرار وحيدة فى ظلمة الليل ،عائدة الى ابيها ٠٠ وقد وصلت فى الوقت المناسب قبل ان يلفظ انفاسه، فمات وهو يعتقد انها سعيدة فى زواجها !

« وهكذا صارت املاك جيرالد، ومنها بيته هذا (ثرا شكروس جرانج) فى قبضة هيثكليف ٠٠ الذى اخذ كاترين الى القصر ، واجبرنى انا على البقاء هنا كمديرة للبيت المهجور !٠٠ ولم يتاخر لنتون فى اللحاق بصهره فى القبر ، بعد ان اهمل أبوه العناية به وكف عن جلب الاطباء لمعالجته ، على اثر بلوغه هدفه بتزويجهمن وريثة غريمه الثرى !

« واصيبت كاترين عقب وفاة زوجها اليافع بصدمة الزمتها الفراش ، من فرط الجهد والارهاق اللذين عانتهما فى تمريضه ٠٠ وحين ابلت منمرضها كانت قد تغيرت تماما ، من فتاة مرحة دافئة العواطف، الى امراة ممرورة النفس جامدة

الشعور، لا ينطوى قلبها على غير الحقد والكراهية العمياء لكل فرد من سكان القصر!

« ولم يجد بعد ذلك جديد ‥ حتى جئت أنت ياسيدى فاستاجرت هذا البيت واقمت فيه ‥ وها أنت ذا تعاصر الآن بقية القصة‥‥ »

– ٣ –

◆ بذلك ختمت مسز « نيللى دين » مديرة بيت «ثراشكروس جرانج » حديثها لى على أثر عودتى من قصر « مرتفعات وذرنج » حيث قضيت تلك الليلة الليلاء التى ظهر لى فيها شبح كاترين «الام» من خلال زجاج النافذة ‥!

ومنذ سمعت هذا التاريخ المفجع انتابنى نفور من الاقامة فى البيت الذى شهد كل تلك المآسى ‥ فلم أكد أشفى من البرد الذى أصابنى حتى عدت من فورى الى لندن ‥

◆ وفى الصيف التالى كنت مسافرا فى رحلة مررت خلالها بالقرب من مرتفعات وذرنج ، ففكرت فى زيارة هيثكليف كى أتفاهم معه بشأن رغبتى فى عدم تجديد عقد استئجارى لبيته الكائن فى (ثراشكروس جرانج) ‥ **فلما أشرفت على القصر ألفيت كل شىء قد تغير : البوابة الخارجية لم تعد مقفلة كالعهد بها ‥ ولاأثر لكلاب تنبح فى وجهى وتهاجمنى !‥ وفى الحديقة التى «كانت» جرداء ، قدبتت أزهار جميلة ‥!**

ورأيت كاترين وهيرتون جالسين جنبا الى جنب وقد تلاصق رأساهما ، يطالعان كتابا !‥ ومديرة البيت الآخر « مسز نيللى دين » قد انتقلت لتدير هذا البيت ‥ ومنها وقفت على بقية القصة : قالت انها قد استدعيت الى القصر ، عقب سفرى بأيام ، كى تؤنس وحشة هيثكليف ، الذى تفاقمت كآبته ‥ وعزلته ‥ وشذوذه !‥ وذات ليلة أغرته نوبة يأس بأن يفتح قلبه للمرأة الطيبة ٠ قال انه منذ ماتت حبيبته الاولى كاترين صار شغله الشاغل أن يتصل بروحها ‥ لكنه كلما حسب أنه قد اقترب منها راغت منه ولاذت بالفرار !‥ وبقدر

ماعذبته فى حياتها ، عذبته بعد موتها ، وماتزال ·· وحين فتح قبرها ليوضع فيه زوجها جيرالد بجوارها ، تسلل العاشـــــق القديم تحت جنح الليل ففتح نعشها وأطل عـــلى ·· مابقى من وجهها !

نهاية هيثكليف ··

◆ ومنذ ذلك اليوم تزايد احتجـــابه يوما بعد يوم ·· فى الوقت الذى تزايدت فيه الالفة بين كاترين «الابنة» وهرتون!·· فقد ندمت الشابة على احتقارها لابن خالها فتطـــــوعت بتعليمه القراءة والكتابة ·· وسرعان ماتورط الشاب فى حبها . وأحبته هى بدورها ··

وذات صباح ، عقب ليلة عاصفة ممطرة ، دخلت مســـز دين غرفة رب القصر ففوجئت برؤيته ممددا فى فراشه عـــلى ظهره ، وعيناه مفتوحتان ، ووجهه مبلل بماء المطر الذى اندفع من النافذة المفتوحة ·· وكان ميتا !

ويردد أهل القرية انهم كثيرا مارأوا شبحه وشبح حبيبته كاترين يتجولان خلال الاحراش كلما جن الليل ·· !

ثم أضافت المرأة ان كاترين «الابنة » وهيرتون ســـــوف يتزوجان قريباويقيمان فى(ثراشكروس جرانج) ، وستصحبهما هى لتتولى ادارة البيت ··

◆ واذ فرغت مسز دين من سردختام المأساة ، ودعتهاومضيت لسبيلى ·· وفى طريقى الى العربة التى سوف تقلنى الى لنــــدن مررت بالقبور الثلاثة : قبور كاترين ، وادجار ، وهيثكليف ·· **كانت الحدأة والغربان تحوم فوقها،مرفرفة باجنحتها الكئيبة!·· وأصغيت للنسيم الناعم يوسوس للحشائش الصـــغيرة ، التى كأنها تتنفس ·· وساءلت نفسى : كيف يستطيع أحد أن يرتاب فى السكينة التى لابد ينعم بها الراقدون تحت هذا التراب ··!؟**

خلف النوافذ المغلقة

عباقرة الانسانية

فى حياتهم الخاصة

عزيزى القارىء ...

الحياة الخاصة هى التى تصنع العباقرة .. هى التى توحي للفنان بفنه : للشاعر بشعره ، وللرسام برسمه ، وللموسيقى بلحنه ، وللأديب بادبه .. وهى التى تلهب عزائم الرجال، وتغرى بالبطولة الابطال .. وكثيرا ما تكون زوجة العظيم ، او صديقته ، او عشيقته ، هى صاحبة الفضل عليه وعلى الانسانية فى عظمته .. ولو استمد هذه العظمة من تعاسته !

ولو علمت ان مؤلف الكتاب الذى الخصه لك فى هذا البـاب ، والذى «يفضح» فيه نفسية فيكتور هوجو فى حياته الخاصة ، عارية من كل زيف أو نفاق أو تكلف .. هو من اسرته وذوى قرباه ، لآمنت معى بان الادب الحق هو الذى يعتمد على الصدق ، والاخلاص فى تصوير ادق خلجات النفس الانسانية ، واخفى مشاعرها وخفاياها ..

وسوف تقرأ فى هذا الباب من «كتابى» قريبا باذن الله ، طائفة من الكتب الخالدة التى تصور الحياة الخاصة لنفر من اعظم عباقرة الانسانية .. سواء باقلام غيرهم أو باقلامهم .. ستقرأ فيه : «اعترافات جان جاك روسو» .. و « اعترافات تولستوى » .. و «غرام تشارلس ديكنز» .. وقصة الشاعرين الخالدين روبرت براونتج واليزابيث باريت .. وحياة جورج صاند» .. الخ .. الخ .

كان « فكتور هوجو » في زهرة شبابه ، وقمة مجده الادبي ، حين اكتشف ذات يوم ان زوجته المحبوبة (اديـل) ، التي تزوجتـه بعـد علاقة حب دامت اعواما .. تخونه مع اعز صديق له : الناقد المشهور القبيح الخلقة « سانت بوف » !

وبعد تردد طويل ، كاشف هوجو زوجته بشكوكه في سلوكها .. فانكرت انها تخونه ، وان اعترفت بان الرغبة في خيانته لا تنقصها ، وانها تحب سانت بوف حبا « شريفا » ! .. ثم اتهمت هوجـو بأن خياناته المتكررة لها مع ممثلات المسرح وفتيات الحوانيت هي المسؤولة عن انصراف قلبها عنه ! لكنها لم تكن تجد الفرصة سانحة حتى تنطلق الى احد الفنادق حيث ترتمي في احضان عشيقها النذل ، لتشكو اليه زوجها .. !

وتكررت المواقف الموجعة بين الزوجين ، حتى غدت الحياة بالنسبة لهما جحيما لا يطاق ! .. وبدات رائحة الفضيحة تفوح ، والناس يلوكون اسم الشاعر العظيم في معرض الغمز واللمز .. حتى فكر هوجـو في الانتحار ..

في تلك الازمة النفسية القاسية ، وتلك المرحلة الحرجة من حياة الزوج المخدوع ، التقى فيكتور هوجو يوم ٢ يناير سنة ١٨٨٢ ، في ندوة من ندوات أهل الفن ، بالممثلة الشابة « جوليت دروييه » ، أجمل نساء باريس في ذلك الوقت ! .. وكانت جولييت قد ملت ملذات الجسد العابرة ، في احضان عشاقها العديدين من رجال الفن ، واشتاقت الى ان تهب قلبها وعواطفها الملتهبة لرجل واحد ..!

لكنها لم تكن قد اهتدت بعد الى رجل احلامها .. حتى التقت بفكتور هوجو ، فاحست من فورها انه ذلك الرجل ! كان شابا ، جميلا ، مشهورا ، تعشـقه النساء ! .. وكانت هي بدورها رائعة الحسن ، رشيقة الجسم والحركات ، لها مائة طريقة وطريقة تمحـو بها من راسه الخيالات الفاضحة لزوجته الغادرة وصديقه النذل ! .. وهكذا تركها تقوده ذات ليلة الى مسكنها الانيق في « بوليفار سان دوني »

وعاش هوجو بعيدا عن بيته اثنى عشر يوما ..!

غيرة الزوجة .. من العشيقة !

◆ فى أثناء ذلك بلغ مسامع مدام هوجو من بعض أصــدقاء « هاريل » مدير المسرح أن جولييت ممثلة دور الاميرة نجرونى فى مسرحية زوجها « لوكريشيا بورجيا » قد اختفت من عــلى الخشبة !.. وأيدت شكوك الزوجــة فى مغزى هذا الاختفاء رسالتان قصيرتان تلقتهما من زوجهـــا فى فترة غيـــابه .. **فكان لهذا اليقين أثره فى ازالة ما كانت تحسه أديل من وخز ضمير خافت ، وندم غامض ضعيف .. على خديعتها هى له !**

ونقلت أديل هذه المعلومات الى عشـــيقها ، وهى تسائله فى دلال :

ـ أترى تلك المرأة رائعة الجمال حقا كما يقولون ؟

فأجاب سانت بوف وهو يأخذ زوجة صديقه فى ذراعيه :

ـ انها لا يمكن أن تكون فى جمالك أنت !

ثم أضاف وهو يخفى قلقه :

ـ أو لم يحدد فيكتور فى رسالته موعد عودته ؟

ـ كلا ، لكنه سيعود حتما قبيل ليلة افتتاح مسرحيته الجديدة .. وبهذه المناسبة .. لكنك لست مصغيا الى !؟

ـ بل أنا مصغ ..

ـ لقد نسيت ما كنت أريد أن أقول !

ـ انك تحسين ألما ومذلة .. أليس كذلك ؟

ـ لست أحس مذلة على الاطلاق !

ـ كيف .. أو لم يهجرك ؟

ـ الاهم من ذلك أنه هجر أولاده أيضـــا ! .. ان ليوبولدين تسألنى كل صباح : متى يعود بابا ؟

ـ يا له من وحش أنانى !

ـ حقا ، لكننا بدورنا أنانيون . انى أنسى كل شىء حين أكون معك !

عند ما تؤتمن المرأة على سر !

◆ وأصيب سانت بوف يوما باضطراب فى المعدة والمرارة ‥ وحين ذهب يستشير الطبيب فى أمره سأله هذا :

ـ هل لاحظت تغيرا فى شهيتك ‥ أعنى كلا شهيتيك ‥ شهيتك للطعام وشهيتك للنساء ؟

ـ أما الاولى فهائلة ‥ وأما الثانية فمعتدلة ٠

واذ وجد المريض نفسه فى حالة نفسية تغرى بالثرثرة وافشاء الاسرار ، قص على طبيبه قصته مع عشيقته من ألفها الى يائها ، دون أن يذكر اسم المرأة ‥ وان أفصح وصفه لها عن شخصيتها ، بنفس الوضوح الذى أفصح به عنها فى ديوانه الشعرى « كتاب الحب » !

وفى ذلك المساء قال الطبيب لزوجته : « لقد وقفت اليوم على سر هائل باح لى به الناسك بلسانه ـ أعنى سانت بوف ‥ ان زوجة مؤلف « هرنانى » و « أحدب نوتردام » قد غدت خليلته منذ شهور !

ـ ما أقبح أن يطلعك الرجل على سر كهذا !

ـ الطبيب بحكم مهنته مستودع الاسرار يا عزيزتى ‥

‥ وفى اليوم التالى أسرت زوجة الطبيب بالقصة الى « دستة » من أخلص صديقاتها ، فتولت كل منهن الافضاء به بدورها الى دستة من صديقاتها !‥ وهكذا انتشرت الفضيحة وذاعت بسرعة البرق فى كل مكان ، حتى بلغت مسامع ملك فرنسا ‥ فعلق عليها بقوله : « ان الجميع قد انغمسوا فى الملذات ! »

ورحب « بولوز » محرر صحيفة « العالمين » Deux Mondes بالفضيحة أيما ترحيب ـ وكانت صلته الشخصية بهوجو سيئة ـ فألمع اليها فى صحيفته بلهجة تلفت الانظار ، الامر

الذى جعل الشاعر يصرح بعزمه على دق عنقه ٠٠ لكنه قنع فى النهاية بالتفرغ لقبلات جولييت !

الحب يغسل جميع الاوزار ٠٠

◆ ونجحت هذه المرأة الساحرة فى تطهير نفسها من أوحال ماضيها مع الماجنين من أهل الفن ٠٠ وأيقظت صلتها مع هوجو مواهب وصفات نادرة كانت كامنة فيها ، فجعلت من نفسها خليلة وخادمة له فى وقت معا !٠٠ ورسمت لنفسها « رسالة » اضطلعت بأتمامها ، هى تيسير الحياة وتوفير وسائل الراحة للعبقرى الذى نكب فى زواجه وفى شرفه !٠٠ فأعدت جولييت لعشيقها العظيم حجرة من مسكنها ـ وان تكن صغيرة ومعتمة ـ كى يزاول فيها انتاجه الادبى الخالد ٠

وكانت لها ارادة من حديد ، ويقظة ذهنية نادرة ، فامكنها أن توفق بين متعة الحس ومتعة النفس، المستمدة من التضحية وانكار الذات ٠٠ فوطنت نفسها على أن تعتبر هوجو كل شىء، وتعتبر نفسها الى جانبه لا شىء !٠٠ وبوحى هذا التفانى منها فى شخصه صارت تكتب اليه بعد انصرافه من عندها خطابا كل يوم ، فى البداية ٠٠ ثم خطابين ٠٠ فثلاثة ٠٠ وأخيرا أربعة خطابات يوميا !٠٠ـ وهى خطابات تفوق فى سموها ونبلها ورقتها رسائل أشهر كتاب فرنسا وأدبائها !٠٠ **ارادت أن تستحوذ على عقل الرجل الذى استحوذت من قبل على جسده !٠٠ أن تجعل من نفسها ملكته وجاريته فى وقت**

واحد .. ان تغمره بالغزل الذهنى والغزل الحسى فى وقت معا .. ان تشق طريقها الى رأسه كما شق هو طريقه الى قلبها، وبذلك يتم لهما تبادل التوغل بين شخصيتيهما ..!

وقد نجحت !.. كانت عقبتها الكبرى ماضيها الملوث ، فوضعت أسلحتها الماضية وفنون أنوثتها التى لا تقاوم عند قدمى حبيبها ، فى اخلاص صادق . ودبرت أن توقظ اهتمامه بفكرة التكفير وافتداء روحها الدنسة من هاويتها .. اتخذته لها الها قنعت هى منه بمكان الخاطئة المستغفرة . وقد طالما تحدثا معا فى هذا المعنى خلال زياراتهما المتكررة للكنائس ودور العبادة !.. **واعتنقت هى فلسفة خاصة مؤداها ان المرأة الساقطة تستطيع أن تسترد عفتها بالانغماس فى التعبد للطبيعة : بالانصات لتغريد الطيور .. وتعريض جسمها ـ عارية او نصف عارية ـ للندى والطل ، ولاشعة الشمس الغاربة ، كتمثال من المرمر تتواتر عليه ألوان الغروب : الذهبية ، فالبنفسجية ، فالحمراء !.. ثم العدو خلال الحشائش الطويلة أثناء هطول الامطار ، وهى رافعة ذيل ثوبها معرية ساقيها لدغدغة قطراتها المنهمرة ، غائصة بقدميها فى الجدول كحورية .. أو مندفعة بين أشجار الغابة أو عبر المروج الساكنة الخضراء ..!**

ولم يكن هناك من هوأكثر من هوجو استعدادا للمشاركة فى هذه المباهج .. لقد أنقذته جولييت من امرأة تنضح غشا وخداعا ، وأخرجته من هاوية الشك الخانق الى المراعى الخضراء كى يمرح فى العراء وينعم معها بالريح والمطر ، والشمس المحرقة والقمر الساكن ، حيث لا يسمع صوت غير نقيق الضفادع وزقزقة صرصار الليل .. حتى اغتسل هو من تعاسته الزوجية ومن أساه على شرفه الجريح . واغتسلت هى من كل أثر لادران عشاقها السابقين !

واتخذ لها « هوجو » مسكنا فى ضاحية بعيدة عن بيته ،

فصارا يلتقيان كل يوم فى مكان ، دون مبالاة بالطقس ، مثل نصفين اجتمع شملهما بعد فرقة طويلة ٠٠ وما أكثر وما أبلغ الكلام الذى كانا يتبادلانه بعد غيبة اثنى عشر ســاعة !٠٠ وما أطول وما أمتع القبلات التى كانا يتراشقان بها بعد فراق ليلة كاملة !

٠٠ ثم اقترب الخريف ، وتوهجت النيران فى المدافىء، فأمست جولات العاشقين محدودة ، وانتقل مسرح غرامهما من الفضاء العريض الى ما وراء النوافذ المغلقة !

عندما تتجرد المرأة من كل شيء ٠٠ فى سبيل الحب !

◆ على أن هوجو كان يعانى أحيانا نوبات متقطعة من الغيرة الهوجاء ، التى لم تكن تفلح فى تبديدها فلسفة الطبيعة ، والتى جعلته يدرك أن القديس « فرانسس » الذى غفر للمرأة ماضيها الملوث غفرانا كاملا ، انما كان شخصا مثاليا !

وهكذا كان يحدث أن يأخذ هوجو جولييت بين ذراعيه بعد وجبة طعام كئيبة وقبيل فراق محتوم ، ويخاطبها جادا :

ــ أريدك أن تكونى لى بأكملك ، قلبا وقالبا ٠٠ ينبغى أن لا يكون بيننا سر خاف ٠٠ من أجل هذا صارحتك بخيانة زوجتى وسانت بوف ، فان العرى الذهنى لا يقل أثرا عن العرى الجسدى أثناء مطارحة الهوى !

ــ وما الذى تريده منى يا منقذى ؟

ــ الحقيقة ! لماذا كنت شديدة اللهفــة على العودة الى خشبة المسرح ؟ ألم يكن ذلك بسبب ديونك ؟

فأرخت عينيها الجميلتين وأجابت :

ــ بلى ، انى مدينة بمبالغ طائلة ، ثمنا لثيابى وقبعاتى ومجوهراتى وعطورى التى اقتنيتهــا قبل أن أعرفك ٠٠ ان الممثلة لا تستطيع أن تقاوم اغراء هذا الترف ٠٠

ــ نعم ، وعندئذ تقع فى الفخ !٠٠ فان « الفرج » يأتيها

ذات يوم فى صورة « خياطة » أو قارئة غيب تهمس فى أذنها بعنوان معجب ثرى ·· فتستسلم الممثلة لاغراء الحزمة المكتنزة من أوراق البنكنوت !

ـ أوه ، فيكتور !·· كيف تخاطبنى بهذه اللهجة ؟

ـ اذن حدثينى كيف عرفت ذلك الجلف « ديميدوف » ؟

كان تعبير وجه هوجو وهو يتكلم قاسيا صارما ، وكان رأيه قد استقر على خطة محددة تواجه بها جولييت متاعبها المالية ·· فاستطرد بعد لحظات :

ـ جولييت ، لقد اعتزمت أن أوفى جميع ديونك ، بالتدريج ·· فعليك أن تكتبى لى بيانا مفصلا بها ·· وفى مقابل ذلك اليك شروطى : أريدك أن لا تتصلى منذ الآن ـ سواء بالرسائل أو الوسطاء أو أية وسيلة أخرى ! ـ بأى شخص من عشاقك السابقين ·· فهل تقسمين على ذلك ؟

ـ أقسم !

ـ ثم لا مفر من تغيير أسلوب معيشتك تغييرا كليا ، بحيث تلتزمين شيئا من الحرمان والتقشف · وسأزودك كل شهر بمبلغ متواضع هو سبعمائة فرنك ، لتغطية نفقاتك الضرورية ·· فانك لكى تستردى عفتك ينبغى لك أن تجربى الفقر ، بل الفاقة الشديدة ·· فهل تقبلين هذه الشروط ؟

ـ أقبلها !

ـ ويجب أن تنتقلى الى مسكن أصغر ، وتبيعى أثاثك وحليك ، وكل أدوات الترف التى وصلتك من سواى !

ـ وأنا أوافقك على كل هذا ··

ـ ولن تغادرى مسكنك ، أو تعودى اليه ، فى غير صحبتى !

ـ حتى عند شراء حاجيات البيت ؟

ـ سوف تشتريها لك خادمتك ، أما أنت فمهمتك أن تعملى من أجلى ، تنسخى مخطوطاتى ·· وأثناء غيبتى عن البيت

لا تقابلي انسانا عدا النساء اللواتى كتبت لك أسماءهن فى هذه القائمة ، واللواتى ستتحدثين معهن عنى وعن انتاجى ·· فاذا أصابك مرض فسوف أحضر لك طبيبا بمعرفتى ، واذا أرهقك دائنوك وكلت عنك محاميا أعرفه ·· وعليك أن تعرضى على كل مساء الخطابات التى تلقيتها·· وبالاختصار فأنا أصر يا جولييت على أن تتخلى عن شخصيتك تماما ! هل أنت مستعدة للتفكير فى ما عرضته عليك ؟

ـ لقد فكرت فيه وانتهى الامر ··

ـ معنى هذا انك تقبلينه بغير تحفظ ؟ تدبرى الامر بامعان ·· لقد خانتنى زوجتى يوما ، ولست أبغى أن تخونينى أنت هذه المرة !·· خطوة واحدة خاطئة من جانبك تكفى كى أهجرك الى غير رجعة !

أحست جولييت ازاء هذا البرنامج الصارم بخليط من الفرح الطاغى والحزن الساحق ·· ان لعشيقها العظيم الجميل نقائصه وعيوبه ، كما ان لها هى نقائصها وعيوبها·· ولقاؤهما الذى رسمته الاقدار قد أنقذه من محنة خيانة زوجته، كما أنقذها هى من حياة الدنس التى ملتها وباتت تشمئز منها !·· وهى تأمل أن تحتفظ برجلها بخضوعها لبرنامج الحجر الكامل على حريتها ، والحرمان من مباهج حياتها السابقة النـــاعمة ، وتقويم ذوقها المترف بسوط خلقى لا يرحم !

ونهضت جولييت من « كرسى الاعتراف » الذى تلقت فيه وصايا التكفير عن ذنوبها ·· واتجهت الى هوجو بلسانها وقلبهـــا :

ـ أتذكر ذلك الوعـد الذى بذلته لك فى تلك الحانة الصغيرة فى بداية تعارفنا ؟

ـ وهل تحسبيننى قادرا على نسيانه أبد الدهر ؟

ـ حسنا،ها أنذا اليوم أكرر لك الوعد ذاته !··أعلم أن الوفاء به سوف يكلفنى جهدا شاقا طويلا : يكلفنى النوم على فراش

قاس ، وارتداء القميص الخشن ، والمعيشة فى عزلة تامة ، والقناعة بمورد ضئيل ٠٠ لكن شمس الحب سوف تنير لى طريقى !

« ضعفه » الفطرى نحو نساء الطبقة الوضيعة !

◆ وتخلت جولييت عن ثيابها الانيقة ، وحليها الثمينة التى أحبتها ٠٠ وكفت عن ممارسة متعتها القديمة الكبرى : تقبل مغازلات الرجال والاصغاء الى ملقهم واطرائهم !٠٠ وبعد أن ألفت أن تنفق المال كالماء ، قنعت الآن بأن تعيش فى حدود المرتب المتواضع الذى أجراه عليها حبيبها المعبود ٠٠ وفى ٨ مارس سنة ١٨٣٦ انتقلت ، لثانى مرة ، الى مسكن أكثر تواضعا فى شارع سانت انطوان ٠٠ وكلما أعوزها الوقود كانت تلوذ بفراشها تستمد منه الدفء فى انتظار حضور معبودها « توتو » !٠٠ وثيابه التى كانت فى حاجة الى اصلاح أو رتق صارت تتولاها بالاصلاح اللازم الذى ضنت عليه به زوجته السادرة فى غوايتها مع الصديق الغادر !

والعجيب فى الامر حقا ان حياة الفاقة التى فرضها هوجو على معشوقته لم يكن مبعثها ضيق موارده الى هذا الحد، بل كانت علتها ذلك « الضعف » التقليدى الذى كان يحسه نحو طبقة النساء الوضيعات ، والخادمات ٠٠ فاشتهى أن يرى معشوقته الفاتنة فى مستوى لا يزيد كثيرا عن مستوى نساء الطبقة الكادحة ، سواء فى مسكنها أو مأكلها !

وسنرى أن هذا الضعف قد لازم هوجو من سن الثلاثين الى آخر حياته ، أى قرابة نصف قرن !٠٠ كان يلذ له دائما أن يلمح رقعا من بشرة المرأة الناصعة تطل من ثنايا ثوب ممزق ، أو قدما صغيرة تنتعل حذاء قديما ، أو صندلا ٠٠ أو ماء يشرب فى وعاء عتيق مشروخ ٠٠ أو شهية لم تنل كفايتها من الطعام !٠٠ فأراد أن يهبط بالغانية الجميلة تدريجيا الى هذا المستوى ٠ وقد ادركت جولييت بذكائها نزعته هذه

فاقدمت على هذه « اللعبة » المسلية راضية ، كى تقوى قبضتها على الرجل الذى كرست له حياتها ٠٠!

وذات مساء ، انسرق هوجو من سهرة باهرة كان قد أقامها فى داره وحضرها رهط من « حاشيته » والمعجبين به ، كى يهرع الى حيث يفاجىء « جاريته » الحبيبة وهى تنسخ كتاباته ٠٠ وبعد طوفان من العناق والقبل جلس « السيد » أمام المحبرة وراح يسود صفحة بعد صفحة بأبيات الشعر وسطور النثر المستوحاة من اغراء الجسد الشهى الذى ينتظره قيد خطوات منه ، نصف نائم تحت الالحفة الباردة !

المرأة ٠٠ ملهمة الشاعر ٠٠!

• وكان هوجو فى ساعات وحيه هذه يغدق انتاجه على الورق بسرعة فائقة ، وباتقان لا يحوج الى تنقيح أو مراجعة ٠٠ فتفيض مشاعره الملهمة للحظتها فواحة عطرة فى سطور ذهبية ناضجة من الشعر أو النثر الخالدين ٠٠ وبين حين وآخر يستدير بنظره نحو الرأس الفاتن الذى تتردد أنفاسه فى رفق وانتظام على الوسادة القريبة ، فيمنى نفسه بصاحبته ٠٠ ولكن فيما بعد ٠٠ عندما يسلم « أبوللو » (اله الشعر) زمام الشاعر الى « ديونيسوس » ٠٠ اله المتعة !

وأخيرا ٠٠ بعد ساعة ونصف ساعة من العمل المتواصل ـ يكون هوجو قد أنجز خلالها ما يساوى المكافأة التى تنتظره ـ ينهض من مقعده ليثب الى أحضان فاتنته التى تنتظره على أحر من الجمر !

وفى الصباح التالى ، تجمع جولييت ما كتب هوجو فتتلوه لنفسها وهى تتيه اعجابا بروعته ، تمهيدا لنسخه ٠٠ بينما ينطلق هو الى مقابلاته وأعماله ، بعد أن يمر ببيته لبضع دقائق ٠٠ مر الكرام !

المجد السياسى والاجتماعى ٠٠ بعد المجد الادبى !

◆ وظفر هوجو بشرف استقبال الملك اياه ، بل واطرائه موهبته وحيويته الذهنية ٠٠ وأحاطت به عوامل تغريه بالدخول فى معترك السياسة ، أملا فى الفوز بعضوية « المجلس الاعلى » ٠٠ وكان لابد له كى يبلغ هذا الهدف أن ينتخب أولا عضوا فى الاكاديمية الفرنسية ، فظل يسعى الى ذلك من عام ١٨٣٦ الى ١٨٤١ ، حين نجحت محاولته الخامسة فانتخب عضوا فيها يوم ٧ يناير من العام الاخير ٠٠ واحتفلت الاكاديمية بضمه الى موكب « الخالدين » احتفالها المهيب المألوف .. وبذلك انفتح أمامه الطريق الى المجلس الاعلى فعين فيه فى ١٥ أبريل سنة ١٨٤٥ ٠٠ ثم اختير على التوالى : عضوا فى الجمعية التأسيسية ، فالجمعية التشريعية ، فمجمع بوردو ٠٠ وأخيرا مجلس الشيوخ !

الفجيعة الثانية ٠٠ بعد فجيعته فى شرفه !

◆ فى المقعد الخارجى العالى من عربة الركاب المسافرة من روشفور الى لاروشيل ، بجوار الحوذى ، جلس فيكتور هوجو فى أحد أيام الاسبوع الاول من سبتمبر سنة ١٨٤٣ يبكى وينتحب بمرارة ، معرضا جسمه لريح الخريف العاصفة !٠٠ لقد دهمته ــ وهو فى سن الاربعين ــ كارثته الثانية ، الاشد نكرا من الاولى ٠٠ انقضت عليه مثل طائر أسود مخيف ٠ فسحقته سحقا ٠٠ **ان ابنته الكبرى الغالية ليوبولدين ، قد ماتت غريقة فى مصب نهر السين مع عريسها «شارل فاكيرى» الذى تزوجته منذ أيام !**

٠٠ وكان هوجو قد قرأ نبأ الكارثة فى بقايا جريدة ممزقة فى حانة بجهة «سوبينر» وهو فى طريق عودته الى بيته بعد رحلة قصيرة مع عشيقته ٠٠ فلم يكد بصره يقع على

النبأ هتى هب من مقعده مذعورا وخرج هائما على وجهه فى الشوارع والحقول ، حتى استقر به المطاف فوق ذلك المقعد العالى من العربة التى تقله الى أسرته ، الى بقية أولاده ، وربما الى جثة ابنته ليوبولدين التى لابد قد قذفتها الامواج على الشاطىء !

عذاب الذكريات !

◆ وتقاذفته الذكريات الموجعة ، ورؤى الماضى ، وطعنات الضمير النادم ، متلاحقة ، متضاربة ، لاترحم ، فاذا هو يرى بخياله ابنته «ديدين» ـ كما اعتاد أن يدللها ـ طفلة صغيرة واقفة عند رأس فراش ابويها تنتظر منهما قبلة الصباح ٠٠ وفجأة تختفى هذه الصورة لتخلفها صورة العروس النضرة فى لحظاتها الاخيرة ، وهى متشبثة بزوجها الشاب تبتهل الى الله أن ينقذهما ، ثم تضيع صرخات حشرجتها تحت طيات الامواج حين يجذبهما التيار الى القاع !٠٠ ثم تهاجمه صورة ليوبولدين وهى صبية يافعة وقد أقبلت باسمة الثغر كى تنتزعه من غرفة مكتبه الى نزهة فى الحديقة المشمسة بين الازهار !٠٠ لكنها الآن هامدة فى أعماق النهر تثلجها برودة الموت :« **أواه يلربى، ماذافعلت هذه الزهرة البريئة ؟ لماذا تعاقبنى هكذا فيها ؟ لم لم تأخذنى أنا ، اباها ؟ لقد نلت حظى من بهجة الحياة وقسوتها ، أماهى فلم تذق بعد من الحياة شيئا !»**

◆ وهطلت الامطار ، ورغم المظلة المرفوعة فوق رأسه فقد اختلطت قطرات المطر بالدموع على خدى الشاعر المكلوم ٠ كان تأنيب الضمير يأكل الآن قلبه ، لاول مرة !٠٠ انه لا يشك أنه كان من حقه أن يخون الزوجة الغادرة التى خانته مع أعز صديق له ، لكنه لم يكن يملك٠الحق فى أن يهمل أولاده الابرياء ، الذين طالماضاحكهم ولاعبهم !٠٠ وان رغبة ليوبولدين الباكرة فى الزواج قد كان مبعثها ولاريب ذلك الجو المقبض

الكئيب الذى اكتنف البيت ، فانها كانت فتاة مرهفة الاحساس، وقد أغرق مسلك أمها الشائن ، ثم مسلك أبيهـــا المماثل ، سفينة البيت الذى نشأت فيه ٠٠!

يستعذب الوحـدة ٠٠!

◆ ووقفت العربة فى احدى المحطات لتغيير جيادها ، وكان المطر قد توقف ، ورفع رجال المحطة المصابيح يضيئون بهـــا المكان ، فعرض على هوجو مقعد فى داخل العربة أخلاه راكبـه توا ، لكنه رفض ٠٠ مؤثرا أن يواجه فجيعته وحيدا فى الليلة العاصفة ، القارسة البرد ، **ففى ساعات الاحزان يصبح سماع اصوات الآخرين السعداء ، بل سماع الشخص لصـوته هو نفسه ، عذابا لايحتمل !٠٠ آه لواستطاع أن ينام ويستيقظ فيجد الامر كله حلما لم يحدث !**

◆ وأطبقت ظلمة الليل على الكون تماما ، وانتشر الجليـــد على أغصان الشجر ، فأغفى هوجو فى جلسته ٠٠ نام قليلا ٠٠ وحين أفاق كانت أنوار «لاروشيل» قد بدأت تظهر فى الافق ٠٠ وأحس بجوع قاس ، فلم يكد يستقر فى الحانة الصغيرة التى وجد بها مكانا حتى جرع وعاءين من الحساء وأكل قطعة سميكة من الخبز ثم تمدد فوق الكنبة ، وانتظر الفجر ٠٠ لعله يخلصه من أفكاره القاتمة !٠٠ فلما لاح كان رطبا أغبر كالامســـية الفائتة !٠٠ وظل هوجو راقدا على الكنبة بلا حراك ، النهـار بطوله ، لايجيب بكلمة على أسئلة صاحب الحانة أوالخدم !٠٠ حتى حان موعد قيام العربة التى ستقطع به المرحلة الاخيرة من الرحلة فتحمله كالجثمان الهامد الى أسرته المفجوعة ٠٠

وسرعان ما انقضت اللحظة التى أشفق منهـــا ، لحظة اللقاء بينه وبين زوجته، أديل التى لم يعد يحبها أو تحبه! وقد ألفاها مستلقية على فراشها ، فلم يتعانقا ، ولم ينبس أحدهما بكلمة ، كان كلاهما كالحاقد على الآخر !٠٠ وكان أولادهمـا

الثلاثة يبكون أختهم الكبرى ، فأخذهم هوجو الى أحضـــانه وقلبه ينتحب وينفطر ..

لوعة العشيقة ..!

◆ وفى هاوية يأسه ذاك ، تلقى رسالة عزاء من جولييت – التى هرعت بدورها عائدة من روشـــفور – وكان تاريخ الرسالة الثالث عشر من سبتمبر سنة ١٨٤٣ ، فى الســاعة الرابعة والنصف بعد الظهر :

« أين أنت ياحبيبى المسكين ، وماذا أنت فاعل ؟ فى أية حالة وجدت زوجتك وأطفالك ، وفى أية حال أنت نفســك ؟ فليرفق الله بنا جميعا فى مصابنا !.. منذ تركتنى وافكارى تحوم حول وصولك الى بيتك . أستطيع أن أتصـــور الامر كله : بكاء الصغارالمفجع وفيض يأســك أنت الــذى قمعته طويلا ،بكل قسوة .. كل ذلك يفطر قلبى ، بحيث لم أعــد احتمله .. ولست أدرى ماذا يحل بى اذا لم تعد الى سريعا . انه لرهيب أن لاأستطيع الاطمئنان بنفسى على حالك ..!

« أياحبيبى فيكتور ، أياكان حزنك ويأســك فحـزنى أعظم !.. ان حبنا لوثيق الصلة بالامر كله ، وهذا مايضاعف تعاستى ألف مرة ، فوق كل طاقة بشرية . انى لاأملك أن أتصور الفتاة الحبيبة الا ملاكا ينعم الآن فى الفردوس .. وانى لاسألها ان تشفع لى كيما يدوم حبك لى .. وسوف أناشــدها ساعة موتى عسى أن يأخذنى الله مع كليكما الى ملكوته !

« حبيبى فيكتور ، الساعة قد جاوزت الخامسة الآن ، ولم تأت أنت بعد .. ماذا أفعل ؟ كيف أبدد قلقى ومخاوفى ؟ قبل أن تستسلم تماما لحزنك فكر فى حزنى أنا ، فانى أحبك اكثر من حياتى ... »

« جولييت »

وخز الضمير !..

◆ لكن هذا الخطاب وصل الى هوجو وهو فى حالة بليلة

تامة ، فلم يكن له عليه أدنى تأثير فى البداية ٠٠ بل ان توسلات جوليت الحارة قد زادته ادراكا لاهماله أمر أسرته ، وضاعفت من مرارة تبكيت ضميره له ٠٠ ولكى يفر من أفكاره الكئيبة لاذ بمخدعه فأغلق بابه عليه ، وحاول أن ينام ٠٠ لكن جرس الباب لم يكف عن الرنين ٠٠ أقبل الناس كأسراب الطير يستفسرون عن أنباء الفاجعة !٠٠ **والانسان فى ساعات حزنه العميق لايطيق تقبل العزاء من الفضوليين وغير المبالين ! ٠٠ والذين جاءوا ليشدوا على يد هوجو ويلثموا يد زوجته كانوا يعرفون قصة الخلاف بين الزوجين ، فبالغوا فى اظهار عطفهم ورثائهم ٠٠ وكانت أكثريتهم من أهل الفن والوسط المسرحى الذين ألفوا الاسراف فى تعبيرهم وحركاتهم ٠٠!**

أما سانت بوف ، الذى لم يكن يحذق التصرف فى مثل هذه المناسبة ، فقد قنع ـ بناء على نصيحة أديل ـ ببضع كلمات لاكها لسانه دون أن يحس بها قلبه !٠٠ انه لم يأت الا نزولا على مقتضيات التقاليد ٠ ومنذ ذلك اليوم أبغض كلا الرجلين صاحبه من صميم قلبه !

أما زوجته ، التى انزوت وراء جدران حزنها ، وفى عينيها تأنيب صامت ، فقد أبغضها هوجو بغضا صريحا ٠٠ وان بقى لها ملجأ آخر تسكن اليه فى أشخاص أطفالها الثلاثة : شارل وفرانسوا وأديل الصغيرة ، الذين ترك فقدهم لعزيزتهم «ديدين» الى الابد فراغا مروعا فى حياتهم ، سيما وان خلاف والديهم كان قد جعل منها الملاذ الوحيد الذى يفضون اليه بمتاعبهم !

عندما ينفس الشاعر عن حزنه ٠٠

◆ وفجأة بدأ هوجو يشعر بالوحدة القاسية الرهيبة !٠٠ **فأطلق لشعره عنان التنفيس عن اله المكبوت فى عدة قصائد سامية المعانى تنضح أبياتها بالحب الابوى والاخلاص العميق٠٠ لكنه لم ينشرها الا بعد أن خفت حدة حزنه وأساه ٠٠ وبين**

الحين والآخر كان يمضى الى غابات «ميودون» كى ينفردبنفسه حيث لايسمع أحد نحيبه ، وحيث يستطيع أن يستعيد فى خياله ذكرى الايام السعيدة التى كان فيها مؤمنابطهارة زوجته، لاتعذبه الشكوك بصدد أبوته لطفلته الصغرى « أديل »!٠٠

وعاش ثلاثة أشهر يعانى نوبات متضاربة متعاقبة تأرجح فيها قلبه بين الندم ووخز الضمير ، من ناحية ٠٠ وبين الحنين الى المرأة التى أنقذته من محنة خيانة زوجته ، وبددت من ذهنه كل تفكير فى الانتحار ، من الناحية الاخرى !٠٠ لكنه برغم نحيب قلبه المتواصل لم يرفع عينيه الى السماء ، بحرارة واخلاص ، ليبتهل الى الله أن يمده بمعونته ويقويه على احتمال فجيعته ٠٠

وخلال هذه الفترة ، فحص هوجو نفسه وواجه ضميره دون مواربة ٠٠ فانتهى به الامر الى تبرئة نفسه ، واطلاق سراحها !٠٠ وكان قد فكر يوما فى أن ينشد معونة الدين فيعترف بالوزر الذى يثقل ضميره ، لكنه خشى العقاب والمذلة فعدل عن الفكرة ٠٠ فماذا لوأصر القسيس على مطالبته بهجر جولييت ؟٠٠ وهكذا حرم نفسه من الراحة العميقة التى تغدقها الصلاة والابتهال على النفس المعذبة ٠٠

العودة ٠٠!

◆ وهكذا عاد هوجو الى جولييت ٠٠!

وكانت عودته ، أوبالاحرى انتصارها ، تكتنفه الرقة ، والاسى ، والمواساة ٠٠٠ فاستبعدت من علاقتهما ، فى البداية، كل صلة جنسية ٠٠ وارتوت نفس الشاعر من نهر الاحاديث المتبادلة والرسائل والخلجات الروحية ٠٠ لكنه لم يلبث أن ارتد بعد حين الى سيرته الاولى ، خضع لرد الفعل الطبيعى للجمال الانثوى !٠٠ **ولكن كانت تمر به أوقات يرقد فيها بلا حراك مستكينا بين ذراعى جولييت ، وعيناه مفتوحتان ، مغرورقتان بالدموع ٠٠ فترمقه هى بنظرات حانية مفعمة**

بالرقة ، وقد وقر فى نفسها أن تبدد شكوكه التى تهيىء له ن صلته الشائنة بها هى المسئولة عن الكارثة التى نزلت به ٠٠ فتهمس له ٠٠ « ان الله لايعاقب الحب الصادق ياحبيبى ، وهل شهدت الدنيا يوما حبا أصدق من حبنا ؟٠٠ كلا لست أستطيع أن أتصور كيف يمكن أن يعتبرنا الله آثمين !٠٠

ـ أنت على حق ، لكنى مع ذلك تعـذبت كثيرا فى البداية من تأنيب الضمير ٠٠

ـ ينبغى أن تعترف أنك كرهتنى وهجرتنى لانك اعتبرتنى المسئولة عن المأساة التى أورثتك الالم والشقاء ، فى حين أنى ـ وقد جربت الامومة ـ قاسيت مثلما قاسيت أنت ٠٠!

اشعار باكية ٠٠

◆ وتتابعت الشهور والاعوام ، وشبح ديدين يلوح لابيهـا المفجوع فى فترات منتظمة ٠٠٠ لكنه كثيرا ماكان يهاجمه أيضا فى غيرها دون انذار ، فتهطل الدموع من عينيه !٠٠ كان يكفى أن يقع بصره على ريشة أوكتاب ، أوأثر تافه من مخلفـات ابنته ، كى يغيب عن الوجود ويشرد بذهنه الى أودية التأملات، فتفيض عواطفه على الورق أشعارا باكية رقيقة النغم ٠٠ كهذه الابيات التى نظمها فى الذكرى الثالثة للفاجعة :

« ألفت فى صباها أن تأتى الى غرفتى كل صـباح ، فأنتظرها كما يترقب الانسان شعاع النهار ٠٠ وحين تدخل تبتدرنى محيية : «سعدت صباحا يا أبى العـزيز !٠٠ » ثم تأخذ ريشتى وتفتح كتبى وتجلس على فراشى ، وتعبث باوراقى وتضحك ٠٠ ثم تمضى عنى فجأة كعصفور يطير ٠٠»

◆ وكان هوجو بطبعه غزير الاحساس بالمشاعر العائلية ٠٠ كان مثاليا فى عواطفه نحو أفراد اسرته : كأب ، أو جـد ، أو أخ ، أو ابن ، أو زوج !٠٠ وقد صور فى شعره هـذه المشاعر جميعها فى سمو أغدق عليـه شـهرة عالمية طبقت الخافقين ٠٠ فكان النشاز الوحيد فى هذا اللحن حبه المحـرم

لجولييت ، التى صار بالنسبة لها بمثابة العشيق ، والصديق، والزوج ، فى آن معا !٠٠ والتى فرضها فى البداية على زوجته ثم على أطفــــاله ، ثم على المجتمع الباريسى عقب الحـــرب السبعينية !٠٠ وخـــلال ذلك كله ترك مكانا متفاوتا لنزواته الاخرى ٠ **صارت تتخلل حياته بين الحين والآخر مغـامرات عابرة مع نساء المجتمع المترفات ، وفتيات الطبقة الوســـطى المثيرات ، وساقيات الحانات ، وخادمات البيت ٠٠٠ الخ ٠٠٠ فى كل مكان وكل بيئة كانت له مغامرات وغراميات ، جريئة ، متهورة !٠٠ وقد خلفت كلها آثارها فى قصائد من الشــــعر الخالد تتغنى بها فرنسا والعالم أجمع على مرالعصور ٠٠!**

◆ أما فى بيته ٠٠ فكانت تباعد بينه وبينزوجته أميال من الجفاء وفقدان الثقة ، والصمت المسمم !٠٠ وحـين أصـــيبا بفجيعتهما المشتركة فى ابنتهما ، نزفت جراحهما فى مجريين منفصلين ٠٠ وثقلت على قلب كليهما وجبات الطعام القاتمة ، الكئيبة ، التى يجلسان فيها ومن حولهمـــا أطفالهما الثلاثة المبتئسين ، وقد خيم عـــلى المائدة طائر الوجوم الخانق !٠٠ وأحيانا كان ذكر الفقيدة يخفق على لسان أديل فيظلم جبـــين هوجو بالالم الصامت ٠٠ أويرد عفـــوا فى ثنايا كلام الولدين شارل ، أوفرانسوا ٠٠ فيتركا المائدة وقد غص حلقهمـــا بالدموع ٠٠!

ولكن شيئا فشيئا ، بدأ روتين الحياة اليومى يعود سيرته الاولى ، بمشاغله ، وحاجياته ، والتزاماته ٠٠٠ مثل آلة قديمة تعاود دورانها بالتدريج !

ودائما كانت صلوات الاطفال الثلاثة الليلية تتضمن اسم أختهم الكبرى ٠٠ وذات يوم سألت اديل الصـــغيرة اخويها : لم كفت «ماما» عن البكاء ؟٠٠

اقرأ الجزء التالى من الكتاب فى كتابى القادم

بريد كتابى

(بقية المنشور على الصفحة الخامسة)

.. وفيما يلى مايسمح المقام بنشره من تلك الرسائل الكريمة ، حسب تاريخ ردها :

◆ ((قرأت العدد الاول من (كتابى) الذى ارجو ان يشغل فى المكتبة العربية ركنا محترما غنيا بالمعرفة حافلا بباقات من الادب الرفيع .. وانى اذ اشد على يدك مهنئا اتمنى لمشروعك هذا كل نجاح هو جدير به ، وحبذا هذا النوع من الانتاج والتعريب بعد ان سئمنا قراءة الغث من الادب الاباحى او القصص الرخيص حتى يخيل الى الآن ان ذوق القراء كاد يصيبه التلف والبوار ..))

دكتور أحمد عبد اللطيف

◆ ((.. انكم فى الحقيقة تستحقون ان ارسل لكم تهنئتى الخالصة وتقديرى، فلقد أصبتم الهدف فى اختياركم هذا الحجم وهذا الغلاف وهذا الطبع الانيق والاختصار فى العرض وحسن الترجمة وفوق كل شىء الذوق السليم فى الاخراج .. فاكرر تهنئتى ..))

اسكندر مكاريوس ــ صاحب «اللطائف المصورة»

«كتابى» : وصلتنى هذه الرسالة الكريمة من فقيد الصحافة الكبير فى اليوم التالى لصدور « كتابى » الاول .. دون أن يعرفنى أو أعرفه من قبل .. وكم يحز فى نفسى أن أرد له اليوم تحيته وقد صار ذكرى ، فى ذمة التاريخ !

◆ ((.. قرأت (كتابى) واعدت قراءته فاذا هو حدث جديد فى الثقافة جمع بين براعة الاختيار ودقة التضمين وروعة الاسلوب وجمال الاخراج.. فالى الامام ..))

صاغ ــ **السيد فرج**

◆ ((.. كنا ثمانية من القضاة فى قنا نزور زميلا لنا ، ووصل بائع الصحف فطلبت منه نسخة من كتابى ، وطلب اثنان نسختين آخريين .. ولم يكد الزملاء يتصفحون الكتاب حتى طلب كل منهم نسخة ، ولم يكن مع البائع سوى ثلاث نسخ فنزل كالبرق وعاد بالنسخ المطلوبة .. وكنت فى قطار الديزل المسافر من مصر للاسكندرية ، بعد وصولى من قنا ، وكان الى جوارى راكب يحمل كتابى ، وبعد أن انتهى من قراءة القصة الاولى سألته : هل أعجبك الكتاب ؟ فكان رده انه غاية فى الابداع .. !))

فهمى صليب ــ القاضى بمحكمة قنا الكلية

◆ « .. لقد بعثت الينا بتحفة حقا ، مجلوة مزهوة ، أنيقة رشيقة ، فشكرا ثم شكرا .. ومزيدا مزيدا من بعثاتك الفريدة الغالية .. فامض يا سيدى فى طريقك والله معك ، وقلوبنا وعقولنا دائما فى انتظار بعثاتك .. »

السيد عبد القادر شماله المحامى ـ بلقاس

◆ « .. اعجبنى فى كتابى اتساق التبويب وحسن الصياغة وجزالتها ، فالقصة التى صدرتم بها الكتاب كانت مليئة بالمعانى والمشاعر الانسانية ، عبرت عنها وافرغتها فى أسلوب شيق اخاذ يدل على نظر متزن نافذ وتقدير سليم للامور . كما حالفك التوفيق فى القصص المترجمة ، فلم يخل الايجاز بقوتها وحيويتها واحتفظت لكل قصة بطابعها وطابع مؤلفها .. »

دكتور فريد مشرقى ـ المدرس بكلية التجارة جامعة ابراهيم

◆ « .. لم اقرأ بين الكتب العربية كتابا مثل (كتابى) ، فى تبويبه واختيار موضوعاته .. فهو كتاب قيم فعلا ، له الى جانب قصصه ذات الاسلوب الشيق ، الفكرة والمعنى ذات القيمة التربوية ، وكذلك الاتجاهات الاجتماعية السليمة .. فلتثق يا سيدى انى اقدر المجهود الجبار الذى بذلته فيه ، فاشكرك كقارىء وانى فى انتظار الكتب التالية .. »

ك. ك. ابراهيم ـ بكالوريوس علوم ـ دبلوم تربية

◆« .. وجدت نفسى أقارن بين «كتابى» وبين كثير من الكتب والمجلات التى يكتظ بها سوق الصحافة دون ان يجنى منها القارىء اية فائدة .. فخرجت من المقارنة بنتيجة لاشك فيها ، هى أن (كتابى) يعتبر الاصل ، وما عداه فهو التقليد .. ومن عجب ان يسبق التقليد الاصل فى الظهور ! .. فشكرا على ما قدمتم من مجهود يحسه كل قارىء دون حاجة الى اعلان ، لان الشىء العظيم يعلن عن نفسه بنفسه دائما .. والى الامام والله يرعاكم .. »

لطفى ابراهيم اسماعيل ـ كلية الحقوق بجامعة فؤاد الاول

◆ « .. اول مارس ١٩٥٢ : اول اعياد الفكر التى ينبغى ان تخلد على مر الزمان.. ففى هذا اليوم الخالد طلعت علينا شمس «كتابى» ، هذا المشروع المنقطع القرين ، ذى الاثر والنفع البالغين .. سدد الله خطاكم ، واعانكم فى جهادكم العنيف الشاق بروح من عنده ... »

طـه حسين سليمان ـ الادارة العامة للصحة المدرسية

◆ « .. عندما قرأنا (كتابى) ـ واقصد ارتوينا من ذلك المنهل العذب ـ قدرنا ذلك المجهود الذى بذل ، وتصورنا ذلك العرق الذى تصبب وتلك التكاليف التى انفقت .. فعلى بركة الله ، ولا يفوتنى ان اذكر ان كل صفحة من كتابى تساوى ثمنه كله.. ان هذا الكتاب كان ينقص المكتبة العربية .. وكان الاولى بكم أن تسموه «كنزى» بدلا من «كتابى» ، لانه كنز لا يفنى ..»

فاضل قطبى ـ كلية الحقوق بجامعة فؤاد الاول

◆ « .. لقد اخطات فى قولك اننا لن نقدر مدى الجهد والاعصاب التى بذلتها فى اعداد (كتابى) ، فلقد قدرت كل ذلك فاشتريته .. واحتفظت به .. انا الذى لا احتفظ بشىء غير ما يبقى بعقلى .. فسر فى طريقك ، وتقدم نحو هدفك ، والله ينير لك السبيل ونحن من حولك نحيط بك .. »

محمد حافظ رجب ــ محطة الرمل ــ الاسكندريه

◆ « .. اقسم بالله تعالى ان هذا أول كتاب اقرأه من الغلاف للغلاف مرتين ، وربما بعد ارسال خطابى هذا ساقراه اكثر من عشر مرات .. انه الكتاب الوحيد والاول فى مجلات مصر والشرق العربى .. »

مدحت قنديل ــ مساعد بلوك محطة شرين

◆ « .. اكتب اليك وقد خرج «كتابى» الى النور ، فاذا هو رائـــع فى الاخراج ، رائع فى الشكل والموضوع والفكرة جميعا .. »

أحمد عبد الحميد يوسف ــ ليسانسيه فى الآداب

◆ « .. لقد حملتنى قراءة كتابى الاول على اقتناء هذه السلسلة الثقافية التى بذلتم وتبذلون فى سبيلها المجهود الفكرى الرائع الذى يظهر فى موادها الثقافية المغذية ، فاتمنى لكم التوفيق فى إتمام هذه الرسالة السامية .. »

توفيق حرب ــ أوتيل أمبسادور ، بحمدون المحطة ــ لبنان

◆ « بدات فى قراءة (كتابى) .. اقول .. «بدات» .. ومع ذلك ، ومن شدة اعجابى به امسكت القلم لاكتب لك .. فانى لم اكن اتوقع ان اجد (كتابى) بمثل هذه الروعة والاتقان ، وان يحوز مثل هذا النجاح .. وانى لفى انتظار الكتب التالية بشوق .. ولن اترك كتابى ! »

نادية .. القارئة بالقاهرة

◆ « .. لقد شرعت فى تصفح كتابى على اساس ان اقرأ منه قصة او اثنتين على الاكثر .. فاذا به يغرقنى فى طوفان من النشوة لم اشعر معــه الا وقد اتيت على الكتاب حتى آخره ! »

المعجب بكتابى : **عبد الحميد محمد عبد الفتاح** طالب بجامعة فاروق

◆ « .. لقد اصبتم باصدار هذه السلسلة التى تسد فراغا فى المكتبة والتى تضم شتى المواضيع الادبية والعلمية والاجتماعية .. »

عبد الرحيم صالح الناصر ــ حلب (سوريا)

« **كتابى** » : ونعتذر للقراء الاعزاء الذين يضيق نطاق هذا العدد عن نشر رسائلهم .. وموعدنا معهم العدد القادم بمشيئة الله

اجابات خاصـــة

فهيم محمد لبيب ابو الجدايل ـ السويس
يؤسفنى ان اعجز عن ارسال نسخة من العدد الاول اليك ، فقد نفدت نسخه عن آخرها .. وسأرد لك ثمن النسخة بالبريد .

محمد عبد العزيز الفوال ـ العباسية
لو علمت ان نفقات النسخة من (كتابى) تفوق الثمن الذى تباع به ، لما اعترضت على نشر الاعلانات التجارية فى الكتاب .. فالاعلانات هى عصب الصحافة الاول بلا مراء .

آنسة (ن) ـ شبرا مصر
اقتراحك الاشتراك فى كتابى لمدة ستة اشهر فقط مقبـول ، وقيمته ٤٥ قرشا

عبد الكريم عبد العزيز خراشي ـ شارع الجودرية ـ مكة المكرمة
يعجز قلمى عن شكرك على حرارة تحمسك لكتابى !

محمد فؤاد الشال ـ مهندس مناجم بشركة الفوسفات بالقصير (البحر الاحمر)
وصلتنى رسالتكم واشكركم من أعماق القلب

فايز عبد الشهيد ـ مهندس مناجم بشركة الفوسفات بالقصير (البحر الاحمر)
اشكركم على شعوركم النبيل .

ا . ل . بالفنون الجميلة
غلاف كتابى مطبوع بثلاثة الوان وليس بلونين . اما اقتراحاتكم الاخرى فهى موضع النظر ..

عبد الحميد محمد حنفى ـ موظف بهندسة السكة الحديد بالمنصورة
يؤسفنى أن لا أستطيع اجابتكم الى طلبكم ، لانه لا يتفق مع اهداف كتابى، كما ترى من تصفحه .

عبد المنعم ابراهيم على ـ بمخازن الاستيداع ـ جمرك الاسكندرية
شكرا على تحيتك .. أما طلبك بشان تلخيص (قصة مدينتين) لديكنز فسوف يجاب باذن الله ، ولكن فى فرصة أخرى .

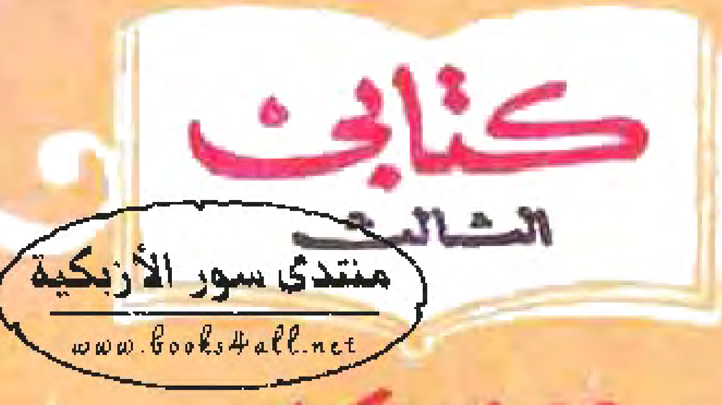
منير كامل موسى ـ مدرس ، سبك الضحاك ، منوفية
اقتراحاتك بشأن اضافة ابواب : روائع الشعر ، النوتة الموسيقية ، نحن فى خدمتك ، اسالنا فنجيب .. متعذرة التحقيق فى الوقت الحاضر

ايليا اسحق زكى ـ البنك الاهلى المصرى ـ القاهرة
ملاحظاتك بشأن ترتيب اعجابك بموضوعات كتابى مقبولة .. واقتراحك موضع النظر .

عبد الرؤوف السيد ـ ديرب نجم
اشكر لك شعورك النبيل ، أما اقتراحك الخاص بتقسيم كتابى الى قسمين ، فانه متعذر التحقيق فى الوقت الحاضر .

ميشيل سمعان ـ المنصورة
وصلتني رسالتك مع الشكر .

محتويات الكتاب



محتويات الكتاب